

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد[4]: فإن من صفات عباد الله المتقين الإيمان بالغيب قال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[5].

ومن الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر والتصديق الجازم بإتيانه والعمل بموجب ذلك فهو

---

(1) سورة آل عمران، (102).

(2) سورة النساء، (1).

(3) سورة الأحزاب، (70-71).

(4) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة وقدكان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، كما يعلمهم التشهد في الصلاة، أخرجها ابن ماجه في سننه كِتَاب النِّكَاحِ بَاب خُطْبَةِ النِّكَاحِ (1/609)، وانظر: صحيح مسلم كِتَاب الْجُمُعَةِ بَاب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ (2/593). وقد أفردها الشيخ -رحمه الله- في رسالة سماها "خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلِّمها أصحابه".

(1) سورة البقرة، (1-3).

أصل من أصول الإيمان الستة قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

وجاء في حديث جبريل: «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال ﷺ: «أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه»[2].

والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما ورد من أشراط الساعة الصغرى والكبرى والقبر والبرزخ وما فيهما من أهوال ونعيم وعذاب، والبعث والميزان والحوض والصراط والقنطرة والشفاعة وما ورد في يوم القيامة والجنة ونعيمها والنظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة والنار وعذابها وأصحاب الأعراف وغير ذلك مما سيقع في يوم الحساب والجزاء .

ومن الأمور الغيبية في الحياة الآخرة التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ ما يتعلق بالقنطرة التي يحبس عندها بعض المؤمنون قبل دخول الجنة ويحصل عندها اقتصاص المؤمنين من المظالم التي كانت بينهم في الدنيا وتنقية وتهذيب قلوبهم قبل دخول الجنة0

يدل على ذلك ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار, فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار, فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا

---

[1](2) سورة البقرة، (177).

[2](3) أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان, ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه, (ص:24), رقم (8).

هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة, فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا»[1].

ونظراً لأهمية العلم بما يتعلق بجميع مسائل الإيمان باليوم الآخر على سبيل التفصيل وتأثيرها في زيادة إيمان العبد ولأنه قد سجّلت كثير من الأطروحات العلمية المتعلقة بمسائل هذا الأصل العظيم من أصول الإيمان فإني لم أقف على دراسة تتعلق ببحث مسائل الإيمان للقنطرة التي بين الجنة والنار, وعليه فقد رأيت بعد الاستخارة والاستشارة، أن يكون موضوع بحث مرحلة الماجستير، بعنوان:**"المباحث العقدية المتعلقة بقنطرة المظالم يوم القيامة جمعاً ودراسة"**.

والله أسأل أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، إنه جوادٌ كريمٌ وهو حسبنا ونعم الوكيل ,وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تبرز أهمية هذا البحث من أسباب اختياره ويمكن إيضاحها من خلال الآتي:

أولاً: أن الإيمان بالقنطرة متعلق بأصل من أصول الإيمان بالله عز وجل وهو الإيمان باليوم الآخر وكلما زادت معرفة العبد به ازداد إيمانه بالله تعالى.

ثانياً: معرفة مسائل الإيمان بالقنطرة يورث العلم بفضل الله، وعدله، وحكمته ومجازاته وهذا يُعلم بمعرفة ما يكون في الدار الآخرة من الجزاء والحساب.

ثالثاً: بيان الانحرافات المتعلقة بالإيمان بالقنطرة وهو داخل في عموم النصوص الآمرة بالنصيحة0

رابعاً: عدم وجود دراسات موضوعية تجمع شتات الموضوع –حسب علمي-.

---

[1](1) سيأتي تخريجه بالتفصيل, (ص:43).

الدراسات السابقة:

بعد النظر في فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض , ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية , وقائمة الرسائل العلمية في الجامعات السعودية, وموقع الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب, لم أقف على دراسة مستقلة تتعلق بجمع المباحث العقدية المتعلقة بقنطرة المظالم يوم القيامة, بل وجدت رسائل علمية بحثت عموم مسائل الإيمان باليوم الآخر دون استقصاء لمباحث القنطرة ومنها ما يأتي:

1- الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار رسالة ماجستير, من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, من إعداد د0 غالب بن علي عواجي.

2- جهود شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في توضيح مسائل الإيمان باليوم الآخر جمعاً ودراسة, رسالة ماجستير, من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, من إعداد الباحث:حمزة بن عتيق الرحيلي0

3- جهود علماء الحنفية في تقرير مسائل الإيمان باليوم الآخر والرد على المخالفين, رسالة ماجستير, من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, من إعداد الباحث: محمد نعيم أحمد شاه0

4- الآثار الواردة عن السلف في الإيمان باليوم الآخر من تفسير الطبري, رسالة دكتوراه من جامعة الإمام للباحث: سعود بن عبدالعزيز العقيل0

5- آراء أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي في مسائل النبوات واليوم الآخر والقدر والأسماء

والأحكام ,رسالة ماجستير من جامعة الإمام للباحثة: سارة بنت عبدالله الرشيد0

والناظر في الرسائل العلمية السابقة يلحظ الفرق بينها وبين موضوع بحثي من جهتين:

أولاهما: أن الكتب المتقدمة عامّة تناولت دراسة مجمل مسائل الإيمان باليوم الآخر عند أتباع مذهب, أو دراسة جهود علم من الأعلام , أو ذكر مسائل الإيمان باليوم الآخر في كتاب معيّن , بخلاف موضوع بحثي فإنه عام متعلق بجمع المادة العلمية المتعلقة بقنطرة الآخرة على سبيل الاستقصاء0

ثانيهما: أن الكتب المتقدمة لم تفصل ما يتعلق بذكر مواقف المخالفين في القنطرة والرد عليهم بخلاف موضوع بحثي فإنه يتناول الردود التفصيلية على المخالفين في القنطرة0

خطة البحث

وتشتمل على مقدمة , وتمهيد , وستة فصول , وخاتمة , وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة. وتشتمل على ما يلي :

أولا: أهمية البحث وسبب اختياره.

ثانيا: الدراسات السابقة.

ثالثا: منهج البحث.

- **تمهيد**:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريف بالعقيدة والقنطرة 0

- المطلب الثاني: حكم الإيمان بالقنطرة0
- المطلب الثالث: منزلة الإيمان بالقنطرة من الإيمان0

❖ **الفصل الأول: أدلة إثبات القنطرة.**

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: أدلة الكتاب على إثبات القنطرة.
- المبحث الثاني: أدلة السنة النبوية على إثبات القنطرة.
- المبحث الثالث: الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في القنطرة0
- المبحث الرابع: الآثار الواردة عن التابعين رحمهم الله في القنطرة0
- المبحث الخامس: دلالة الإجماع على إثبات القنطرة0

❖ **الفصل الثاني: موضع القنطرة وعدد القناطر.**

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: موضع القنطرة .
- المبحث الثاني: عدد القناطر .

❖ **الفصل الثالث: المباحث العقدية المتعلقة بما يجري عند القنطرة0**

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: المقاصّة بين الخلق قبل القنطرة .
- المبحث الثاني: المستثنى من القنطرة الخاصّة بالمؤمنين .
- المبحث الثالث: ما جاء في المقاصّة .
- المبحث الرابع: الحكمة من تأخير حساب أهل القنطرة.
- المبحث الخامس: مدة المكوث في القنطرة.
- المبحث السادس: عموم الحبس في القنطرة للجن والإنس .
- المبحث السابع: العلاقة بين أصحاب الأعراف وأهل القنطرة .

❖ **الفصل الرابع: الدلالات العقدية المستنبطة من النصوص الواردة في القنطرة0**

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: إثبات القنطرة0
- المبحث الثاني: إثبات الجزاء والحساب 0
- المبحث الثالث: إثبات عدل الله جل وعلا .
- المبحث الرابع: إثبات صفة الرحمة لله تعالى .
- المبحث الخامس: إثبات نعيم الجنة وعذاب النار.

- المبحث السادس: بيان رحمة النبي – صلى الله عليه وسلم - بأمته .

- **الفصل الخامس: ثمرات الإيمان بالقنطرة0**

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: ظهور آثار أسماء الله وصفاته0
- المبحث الثاني: الإيمان بالقنطرة أمارة على صدق العبد وتقواه لربه0
- المبحث الثالث: الإيمان بالقنطرة يفتح باب الخوف والرجاء للعبد0
- المبحث الرابع: شفاء صدور المؤمنين والمظلومين0
- المبحث الخامس: الإيمان بالقنطرة يقوي جانب محبة العبد لنبيه محمد الرحيم بأمته0
- المبحث السادس:الإيمان بالقنطرة يزهد العبد في الدنيا0

- **الفصل السادس: موقف المخالفين من القنطرة والرد عليهم0**

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: موقف الجهمية من القنطرة والرد عليهم0
- المبحث الثاني: موقف المعتزلة من القنطرة والرد عليهم0

- المبحث الثالث: موقف الخوارج من القنطرة والرد عليهم0
- المبحث الرابع: موقف الباطنية من القنطرة والرد عليهم0

- الخاتمة0
- أهم النتائج – التوصيات والمقترحات.
- فهارس البحث وهي على النحو الآتي:
  - فهرس الآيات القرآنية
  - فهرس الأحاديث النبوية.
  - فهرس الآثار والأقوال.
  - فهرس الأعلام.
  - فهرس الفرق والمذاهب.
  - فهرس الكلمات الغريبة.
  - فهرس البلدان .
  - فهرس المصادر والمراجع العلمية.
  - فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

يستخدم الباحث في دراسته المنهج الآتي:

1- كتابة البحث وفق المنهج الوصفي الاستنباطي الذي يقوم على التتبع وينتهي باستخلاص النتائج والأحكام.
2- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.
3- تخريج الأحاديث النبوية، فإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما، وإذا كانت في غيرهما عزوت إلى من خرجها مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجة الحديث.
4- توثيق النقول إلى قائليها بذكر مصادرها الأصلية ما أمكن ذلك.
5- ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث ترجمة موجزة.
6- التعريف بالمصطلحات العلمية وشرح الكلمات الغريبة.
7- الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
8- عمل الفهارس العلمية اللازمة .

شكر وتقدير

أتقدم بشكري العظيم إلى الله العلي الكريم الذي بيده عوني وتيسير أمري, واعترافا بالفضل واستجابة لقول الرسول ﷺ:««من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1].
فإني أتقدم بالشكر الجزيل لحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة على ما توليه من عناية فائقة في سبيل نشر العلم بتوفير كافة وسائله ومتطلباته, كما أشكر سعادة القائمين على الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية على ما يبذلونه من الجهود المتواصلة لخدمة الطلاب وتوفير أسباب الراحة لهم.
ثم إني أتقدم بالشكر الجزيل والإمتنان العميق إلى من له اليد الطولي في مساعتي وتوجيهي أعني به المشرف على هذه الرسالة وهو فضيلة شيخي الدكتور: عارف بن مزيد السحيمي, الذي كان له الفضل في توجيهي إلى إختيار الموضوع ووضع خطته, ثم بعد ذلك في قراءته والإشراف على جزئياته, فهو صاحب فضل سابق ولاحق على هذه الرسالة.
وبالرغم من ضيق وقته كان يستحثني على الجد والنشاط والعمل المتواصل, وكان يراجع كل ما أكتب في بيته في أسرع وقت, فلم يكن مشرفاً فحسب بل كان أبًا عطوفاً, وإنني أعترف بعجزي عن تقديم الشكر له في عبارات إذ لا توفيه بعض حقه ولا أملك إلا أن أبتهل إلى الله تعالى أن يمده في عمره ويهبه الصحة والعافية وأن يبارك في وقته ويسدد خطاه, إنه سميع مجيب.

[1]() أخرجه الترمذي في سننه, كتاب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين, باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك, رقم(1955), والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (2/272).

كما أني أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كانت له يد المساعدة والتوجيه والإرشاد, وأرجو من المولى الكريم رب العرش العظيم أن يكلأ الجميع بعنايته وجميل رعايته, وأن يتولى جزاءهم عني بما يكافئهم إزاء ما بذلوه من جهود, إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖ **التمهيد: ويشتمل على ثلاثة مطالب:**

- **المطلب الأول: التعريف بالعقيدة والقنطرة0**
- **المطلب الثاني: حكم الإيمان بالقنطرة0**
- **المطلب الثالث: منزلة الإيمان بالقنطرة من الإيمان0**

المطلب الأول
التعريف بالعقيدة والقنطرة

أولاً: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة لغة: هو الربط والإحكام والشد بقوة, والعهد, والملازمة, والتأكيد والإثبات, ومنه اليقين والجزم, مأخوذة من العقد.

قال ابن فارس –رحمه الله تعالى-:"العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة, ووثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود"[1].

يقال "بناء معقود ومعقد:جعل عقوداً أي طاقات معطوفةً كالأبواب، وعقد بناءه وعقّده. وتعقّد السحاب إذا صار كأنه عقد مبني"[2].

وتدل مادة "عقد" في اللغة على التصميم والعزم والصلابة, يقال:"اعتقد كذا, يعني بقلبه, وعقد قلبه على الشيء, لزمه فلا ينزع عنه, كناية عن اليقين الجازم والعزم المؤكَد الذي ليس فيها أدنى ريب"[3].

والعقد نقيض الحل, يقال: عقد يعقد عقداً ومنه قوله تعالى ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾[4].

---

[1] () مقاييس اللغة, (4/86).

[2] () أساس البلاغة, للزمخشري, (1/668).

[3] (3) مقاييس اللغة, لابن فارس(4/87), ومفردات ألفاظ القرآن, للراغب الأصفهاني, (ص:186).

[4] () سورة طه, (28).

قال الإمام الطبري[1] –رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية:"وأطلق لساني بالمنطق وكانت فيه عليه السلام رتة وثقل فأحلها الله"[2].

وتطلق كلمة "عقد" في اللغة ويراد بها عدة معاني منها:

1. الربط والشد بقوة. يقال: عَقَدَ الحبل, يَعْقِدُه عقْداً, إذا ربطه وشده بقوة[3].
2. العهد والميثاق. ومنه قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ أي أوفوا بالعهود التي أكدتموها. ومنه قوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ "والمعاقدة هي المعاهدة والميثاق[4].
3. الإيجاب والإبرام:"ومنه عقدة النكاح وجوبه وإبرامه. والعقدة في البيع: إيجابه"[5].
4. الملازمة. يقال: عقد قلبه على الشيء, ومن هذا الباب قول النبي ﷺ «الخيل معقود في نواصيها الخير

---

[1] (5) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري, إمام عالم مجتهد, كان من أفرد دهره علماً وذكاءً وكثرة تصانيف, توفي سنة 310ه. انظر:: سير أعلام النبلاء (14/267) وما بعده, وميزان الاعتدال (6/90), وطبقات الشافعية الكبرى (3/130).

[2] (1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن, (16/53), الجامع لأحكام القرآن, للإمام القرطبي, (14/51).

[3] (انظر: تاج العروس من جواهر القاموس,للزَّبيدي, (8/394).

[4] (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير (3/270).

[5] (مقاييس اللغة, لابن فارس (4/86).

إلى يوم القيامة»[1]"فمعقود في نواصيها: أي ملازم لها, حتى لكأنه عقد عليها"[2].

5. ومن معاني عقد : تصلب الشيء وغلظه, ومما يدخل تحت هذا الباب: قولهم عقَد الرب والعسل, أي غلظ, وفي الحديث«من عقد لحيته فإن محمدا بريء منه»[3] "قيل: هو معالجتها حتى تتعَقد وتتجعد. وقيل: كانوا يعقدونها في الحروب، فأمرهم بإرسالها، كانوا يفعلون ذلك تكبّرا وعجبا, من قولهم: جاء فلان عاقدا عنقه: إذا لواها كبرا"[4].

فيتلخص مما تقدم أن المراد ب"عقد" في اللغة هو "الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الاستحكام والاستيثاق والاستيقان والربط والتأكيد والعهد اللازم والتدين الراسخ, وهو شامل لجميع ما يعقد عليه حسيا أو معنوياً"[5].

وهو تعريف عام يصدق على الاعتقاد المجرد "فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه, فهي عقيدة صحيحة سليمة تحصل بها النجاة من عذاب الله والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

1 (5) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الجهاد, باب باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة, ح(2694), ومسلم في صحيحه, كتاب الإمارة, باب فضيلة الخيل ,ان الخير معقود بنواصيها, (ص: 839), ح(1872).

2 ( ).انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير (3/271)

3 (7) رواه أبو داود في سننه, كتاب الطهارة, باب ما ينهى عنه أن يستنجى به, (ص: 12), ح(36), والنسائي في سننه, كتاب الزينة, باب عقدة اللحية,(ص: 769), ح(5067), وصححه الألباني, انظر:: صحيح سنن أبي داود (1/21), رقم (36).

4 (1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير (3/270).

5 (2) انظر: لوائح الأنوار السنية, للسفاريني, (1/149).

وإن كان هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه, فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة"[1].

العقيدة اصطلاحاً:

كلمة العقيدة من الألفاظ المولدة، فلم ترد هذه اللفظة في الكتاب والسنة، وكانت الأئمة السابقون يستعملون ما يدل على هذه اللفظة: كالسنة والشريعة، والإيمان، وأول من تم الوقوف على ذكره لجمعها "عقائد" هو القشيري[2] ومن بعده الغزالي[3]................ـ الذي جاء بمفردها عقيدة[4].

يقول الدكتور عبد القادر عطا -حفظه الله تعالى-:"وأول من استخدم هذا المصطلح -فيما أعلم- هو الإمام أبو حاتم الرازي[5] ففي كتابه الذي وسمه بـ"أصل السنة

1(3) انظر: الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد, للشيخ صالح بن فوزان الفوزان,(ص: 10).

2(4) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري الصوفي, ولد سنة 376ه وتوفي بنيسابور سنة 465ه. انظر: ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (3/243), ووفيات الأعيان (1/299), والأعلام للزركلي (4/57).

3(5) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي, قال عنه ابن كثير: كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه, له مصنفات منتشرة في فنون عديدة منها: «فضائح الباطنية» و«إحياء علوم الدين», كانت وفاته سنة 505ه. انظر: البداية والنهاية (12/173), وسير أعلام النبلاء (19/322).

4(1) انظر: الآثار عن أئمة السنة في أبواب الإعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء, لجمال بن أحمد ابن بشير, (1/26), ومعجم المناهي اللفظية, للشيخ بكر أبو زيد, (ص:232).

5(2) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي, أحد الحفاظ من الحادية عشرة, مات سنة سبع وسبعين. انظر:: تقريب التهذيب (ص:467).

واعتقاد الدين"، وتلاه الإمام أبو بكر الإسماعيلي[1] الذي وسم كتابه بـ"اعتقاد أئمة الحديث"، وتبعه الأئمة؛ كأبي القاسم اللالكائي[2] في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، وأبي عثمان الصابوني[3] في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، وأبي بكر البيهقي[4] في كتابه "الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة

1(3) هو الإمام الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني الإسماعيلي الشافعي, صاحب الصحيح و شيخ الشافعية, مولده في سنة سبع وسبعين ومائتين. وكتب الحديث بخطه وهو صبي مميز، وطلب في سنة تسع وثمانين وبعدها. قال الحاكم: كان الإسماعيلي واحد عصره, وشيخ المحدثين والفقهاء توفي سنة 371ه. انظر:: سير أعلام النبلاء (16/292-296).

2(4) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي, اللالكائي, وهذا اللقب نسبة إلى بيع (اللوالك)التي تلبس في الأرجل, كان حافظاً للحديث, من فقهاء الشافعية, من أهل طبرستان ثم استوطن بغداد, ومات معمرا بالدينور سنة 418ه. انظر: شذرات الذهب (3/211), و الأعلام للزركلي (9/57).

3(5) هو الإمام العلامة, القدوة, المفسر, المذكر, المحدث, شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن أبراهيم بن عامر النيسابوري, الصابوني توفي من السنة 499ه. انظر: سير أعلام النبلاء (18/40).

4(6) هو الحافظ العلامة, المثبت, الفقيه, شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي, تةفي في السنة 458ه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي, (18/163).

5(1) هو إسماعيل بن محمد بن فضل بن علي بن أحمد بن طاهر, أبو القاسم التيمي, الأصبهاني, المشهور بقوام السنة, له كتاب الترغيب والترهيب, ودلائل النبوة وغيرهما, مات سنة 535ه.انظر: سير أعلام النبلاء (20/80-88), وتذكرة الحفاظ (4/1277).

6 (المفيد في مهمات التوحيد, (ص:12).

وقد وردت ألفاظ متعددة مشتقة من كلمة "عقد" في القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذلك ما ثبت في كتاب الذي كتبه رسول الله لعمرو بن حزم[1] قال النبي له: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[2] عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم أمره بتقوى الله في أمره كله ف﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[3].وأمره أن يأخذ الحق كما أمر وأن يبشر بالخير الناس ويأمرهم به... »[4].

والعقيدة في الاصطلاح الشرعي:"هو الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع"[5].

---

[1] (3) هو أبو ضحاك عمرو بن حزم الأنصاري, شهد الخندق وما بعدها, استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على أهل نجران وهو ابن سبع عشرة سنة يفقههم في الدين وكتب له كتاباً فيه الفرائض والسنن, توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة إحدى وخمسين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة, لابن حجر, (2/525), والاستيعاب لابن عبد البر (2/510).

[2] () سورة المائدة, (1).

[3] (5) سورة النحل, (128).

[4] (6) دلائل النبوة, للبيهقي (5/413-415), والسيرة النبوية, لابن هشام (4/595), وتاريخ الأمم والملوك, للطبري (2/64), قال ابن عبد البر: كتاب مشهور عند أهل العلم معروف يستغنى بشهرته عن الإسناد, انظر: التمهيد, لابن عبد البر, (6/7).

[5] (1) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة, للشيخ ناصر العقل,(ص: 9), وعقيدة التوحيد, للشيخ الفوزان,(ص:8), والوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة لعبد الله بن عبد الحميد الأثري,(ص: 13).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية[1] –رحمه الله تعالى-:"أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة - وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر: خيره وشره"[2].

ثانياً: تعريف القنطرة لغة واصطلاحا:

تعريف القنطرة لغة:

القنطرة جمعها قناطر, وقنطرات. مصدر قنطر, وهي الجسر, وما ارتفع من البنيان[3], وهو أزج يبنى بالآجر أو بالحجارة على الماء يعبر عليه"[4]. فالقنطرة: كل شيئ ينصب على عين أو واد[5].

[1] (2) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي أبو العباس تقي الدين, المجتهد المطلق, صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة, توفي سنة 728ه, انظر: ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة (4/491), وما بعدها, وشذرات الذهب (6/80).

[2] (3) مجموع الفتاوى, (3/129).

[3] (4) معجم الفروق اللغوية, لأبي هلال العسكري, (1/163), والقاموس المحيط, لأبي طاهر الفيروزآبادى (1/466).

[4] (5) انظر: تهذيب اللغة, للأزهري (9/301), ولسان العرب لابن منظور (5/118), وانظر: المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2/762).

[5] (6) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري, للعيني, (12/285).

وتطلق كلمة "قنطرة" في اللغة ويراد بها عدة معاني منها:

1 - إحكام وشدة وعقد, يقال هذا البناء المقنطر, ومنه القنطار, والقنطار مأخوذ من عقد الشيئ وإحكامه, تقول العرب: قنطرت الشيئ إذا أحكمته, ومنه سميت القنطرة لإحكامها.

والقنطرة: المعقودة, فكأن القنطار عقد مال[1].

قال بعض أهل اللغة: القنطار: العقدة الوثيقة المحكمة من المال, وسميت القنطرة قنطرة لإحكامها[2].

2 – الجسر: يقال:"الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها"[3].

والقنطرة من المال: ما فيه عبور الحياة تشبيهاً بالقنطرة[4].

الفرق بين الجسر والقنطرة:

ذكر بعض أهل اللغة أنهما مترادفان, وفرق بينهما بعضهم[5].

فالذين فرقوا بينهما قالوا: القنطرة ما بينى على الماء، للعبور عليه، والجسر أعم منه، لأنه يكون بناء وغير بناء[6].

---

1 (1) تفسير البغوي للامام البغوي, (2/15), وفتح القدير للشوكاني, (1/371).

2 (2) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس, لأبي بكر الأنباري, (1/328).

3 (3) هذا القول ينسب إلى عيسى عليه السلام, انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (1/109), وإحياء علوم الدين, للغزالي (3/215).

4 (4) انظر: المفردات في غريب القرآن, للأصفهاني, (ص: 417).

5 (5) انظر تاج العروس من جواهر القاموس, للزبيدي, (13/483).

6 (6) معجم الفروق اللغوية, (1/163).

وقيل أن القنطرة أعم من الجسر, لأنه جسر متقوس مبني فوق النهر يعبر عليه[1].

وقيل ويوجد بين الجسر والقنطرة فرق أحيانا فالجسر يكون، من خشب أو سفن. أما القنطرة فتكون من الحجارة تبنى على شكل عقود[2].

تعريف القنطرة اصطلاحاً:

هي جسر بين الجنة والنار يوقف فيها المؤمنون بعد عبورهم الصراط ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم, لأجل تنقية وتهذيب ما في القلوب, حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل[3].

وأصحاب هذه القنطرة هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم, فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة, وقد ذهب ما في قلوب بعضهم لبعض من الغل[4], كما قال سبحانه: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[5].

---

[1] (7) انظر المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, (2/782).

[2] (8) انظر تكملة المعاجم العربية, رينهارت بيتر آن دُوزِي, (2/213).

[3] (1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر, (10/489), والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, للقرطبي, (ص:767), وشرح العقيدة الواسطية, للعثيمين, (ص:520).

[4] (2) سيأتي تفصيل ذلك في المباحث الآتية إن شاء الله.

[5] (3) سورة الحجر, (46-47).

المطلب الثاني
حكم الإيمان بالقنطرة

لا شك أن الإيمان بالقنطرة هو جزء من الايمان باليوم الآخر, وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب الإيمان باليوم الآخر على وجه الإجمال والتفصيل.

فمن أدلة الكتاب الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر على وجه الإجمال ما يأتي:

1 - قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[1].

وجه الدلالة من الآية: أن الله عز وجل وبخ اليهود الذين كانوا يتوجهون نحو المغرب في صلاتهم, والنصارى نحو المشرق, فبين لهم سبحانه أن البر الحقيقي هو لمن لزم فرائض الله من الإيمان به واليوم الآخر والملائكة والكتاب.

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ - أيها اليهود والنصارى، أنْ يولي بعضُكم وجهه قبل المشرق وبعضُكم قبل المغرب، ولكنّ البر مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وَالملائكة والكتاب"[2].

2 - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[3].

وجه الدلالة من الآية:"أخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وصدقوا رسلهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بضد هذه الحال،

[1] سورة البقرة, (177).
[2] جامع البيان في تأويل القرآن, للأمام الطبري (3/336).
[3] سورة البقرة, (62).

فعليه الخوف والحزن"[1].
قال الإمام الشوكاني[2] -رحمه الله تعالى-"وكأنه سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الملة الإسلامية وحال من قبلها من سائر الملل يرجع إلى شيء واحد، وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا استحق ما ذكره الله من الأجر، ومن فاته ذلك فاته الخير كله والأجر دقه وجله"[3].
3 – قوله تعالى:﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[4].
وجه الدلالة من الآية:"أن الله عز وجل أمر بقتال اليهود والنصارى لأنهم لا يؤمنون به إيمان الموحدين به, لأنهم أقرُّوا بأنه خالقُهم وأنَّه له ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرُّون بأنَّ أهل الجنة يأكلون ويشربون"[5].
فهم وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أنهم لا يقرون بحقوقه.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, للسعدي (1/66).
(2) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني, فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن, ومن أهل صنعاء, ولد بهجرة شوكان ونشأ بصنعاء, له مؤلفات كيرة نافعة, منها: "فتح القدير" في التفسير, و"نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار". توفي سنة 1250ه. انظر: الأعلام للزركلي (6/298).
(3) فتح القدير, للشوكاني (1/110).
(4) سورة التوبة, (29).
(5) زاد المسير في علم التفسير, لابن الجوزي (2/249).

قال الماوردي[1] –رحمه الله-:"إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقرُّون

بها، فكانوا كمن لا يُقِرُّ به"[2].

ومن حقوق الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما سيجري في ذلك اليوم من الحساب والميزان, والصراط, والقنطرة, والجنة والنار.

5 – قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[3].

وجه الدلالة من الآية:"أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض"[4].

6 - قوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5].

وجه الدلالة من الآية: أن إنكار البعث والنشور وما سيجري في ذلك اليوم هو من صفات الكفار لأن الله قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾.

---

[1] (6) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي الشافعي البصري, الإمام العلامة أقضى القضاة وصاحب التصانيف, كان عظيم القدر مقدماً عند السلطان, توفي سنة 450ه.انظر سير أعلام النبلاء (18/64), وطبقات الشافعية الكبرى (5/267).

[2]) زاد المسير في علم التفسير, لابن الجوزي (2/249).

[3]) سورة النساء, (136).

[4]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, للسعدي (1/370).

[5]) سورة الرعد, (5).

قال ابن عاشور[1] –رحمه الله تعالى-:"قولهم:﴿أَإِذا كُنَّا تُراباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد أن رأوا دلائل الخلق الأول حق عليهم بقولهم ذلك حكمان: أحدهما أنهم كفروا بربهم لأن قولهم: أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد لا يقوله إلا كافر بالله. أي بصفات إلهيته إذ

جعلوه غير قادر على إعادة خلقه, وثانيهما استحقاقهم العذاب"[2].

7 - وقد تضمنت أعظم سورة في كتاب الله سبحانه – سورة الفاتحة- الإيمان باليوم الآخر.

قال ابن القيم[3]-رحمه الله تعلى- في كلامه على هذه السورة »...وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها، وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل، وكل هذا تحت قوله:﴿مَٰلِكِ يَو﴿مِ ﴿الدِّينِ﴾[4]«[5].

ومن الأحاديث النبوية الدالة على وجوب الايمان باليوم الآخر على وجه الإجمال ما يأتي:

---

[1] (5) هو العلامة محمد طاهر بن عاشور, رئيس المفتين المالكيين, وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس, عالم مشهور, له مصنفات عدة, أشهرها: تفسير التحرير والتنوير, ومقاصد الشريعة الإسلامية, وغيرها, توفي سنة 1393ه. انظر: الأعلام للزركلي (6/174).

[2]) (13/91) التحرير والتنوير,).

[3] (2) هو الامام الحافظ شمس الدين, محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي, الحنبلي, المشهور بابن قيم الجوزية, أو ابن القيم, صنف كتباً كثيراً, تميز بالتحقيق, والدعوة إلى تصحيح المعتقد, توفي سنة 751ه. انظر طبقات الحنابلة, لابن رجب 2/447, وشذرات الذهب (6/168).

[4] (3) سورة الفاتحة, (3).

[5] (4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (1/13).

1 – عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله في حديث جبريل عليه السلام المعروف لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال رسول الله الإيمان «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

قال ابن أبي العز الحنفي [2] –رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث"فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع -: فهم متفاوتون في

جحدها وإنكارها"[3].

بل من أنكر أو جحد أحد هذه الأصول فقد خرج عن دائرة الإيمان وكان من الكافرين.

يقول الشيخ صالح الفوزان[4] -حفظه الله تعالى-:"وهذه الأصول العظيمة (وتسمى أركان الإيمان) قد اتفقت عليها الرسل والشرائع، ونزلت بها الكتب السماوية، ولم يجحدها أو شيئا منها إلا من خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين"[5].

2 – تقريره لأصول الايمان في خطبه.

---

[1] (5) تقدم تخريجه, (ص:4).

[2] (6) هو أبو الحسن علي بن علاء الدين علي المعروف بابن أبي العز الدمشقي الصالحي الحنفي, تولى التدريس في سن مبكرة وولي القضاء بدمشق, حصلت له فتنة بسبب بعض الفتاوى, توفي سنة 792ه. انظر: شذرات الذهب 6/326.

[3]).شرح العقيدة الطحاوية, (2/402) (

[4] (2) هو صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان, من الشماسية من قبيلة الدواسر, ولد عام 1354ه, وهو عضو هيئة كبار العلماء, وعضو في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. انظر: اتحاف القاري, (ص:17-19).

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-"وكذلك كانت خطبته ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانا وتوحيدا، ومعرفة بالله وأيامه"[1].

ويدخل في هذه الأدلة جميع الأمور التي ستجري في ذلك اليوم من الحشر, والميزان, والحوض, والصراط, والقنطرة, والجنة والنار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي مما يكون بعد الموت..." فذكر فتنة القبر والقيامة ونصب الموازين, ونشر الدواوين, وحساب الخلائق, والحوض والصراط ثم قال:"فإذا عبروا عليه, وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار, فيقتص لبعضهم من بعض, فإذا هذبوا ونقوا, أذن لهم بدخول الجنة"[2].

فيقع في النار من يقع، ومن يتجاوز النار فإنه يكون من أهل الجنة، والذين يتجاوزونها

يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، وهذا الاقتصاص لا يترتب عليه عذاب؛ لأنهم قد تجاوزوا النار، وإنما يترتب عليه التفاوت في الدرجات في الجنة، فيؤخذ من هذا لهذا، ومن هذا لهذا، ثم يكون الناس في الجنة على الدرجات التي انتهوا إليها وليس عليهم حقوق للآخرين، فالإيمان باليوم الآخر يدخل تحته كل ما يكون بعد الموت، وما يكون في الموقف، وما يكون في الحساب، وما يكون عند الميزان من وزن

---

[5](3) الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد, (ص:10).

[1]) (1/423) زاد المعاد في هدي خير العباد, (.

[2]) (3/147) مجموع الفتاوى, (.

الأعمال وتطاير الصحف باليمين والشمال، وكذلك الحوض الذي يكون في عرصات القيامة، فمن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، ثم بعد ذلك الذهاب إلى الجنة، والوصول إلى الجنة إنما هو عن طريق النار، فيقع في النار من يقع، ويسلم منها من يسلم، ثم يكون القنطرة لأجل التهذيب والتنقية لما في قلوب المؤمنين, ثم الناس في الجنة أو في النار، ومن دخل الجنة فإنه يبقى فيها أبد الآباد وليس بمخرج منها.

فالإيمان بالقنطرة هو جزء مما سيجري في ذلك اليوم العظيم, وقد ثبت ذلك في السنة, فعدم الإيمان بها رد للسنة الثابتة.

أما أدلة الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقنطرة على وجه التفصيل هي موضوع بحثنا في هذه الرسالة وسترد الأدلة التفصيلية في الفصل الأول من هذه الرسالة[1].

والواجب في جميع هذه الأخبار هو القبول والتصديق.

قال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله تعالى– "فالواجب كمال التسليم للرسول ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولا"[2].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى–"فينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله, فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به, فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب

ونكفر ببعض"[3].

---

[1]).انظر مباحث الفصل الأول (

[2]).شرح العقيدة الطحاوية, (ص:160) (

[3])كتاب الإيمان, (ص:33) (

وقال عبد الرحمن السعدي(1) -رحمه الله تعالى-في قوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(2)
قال:"وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه, وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار

---

[1](1) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي الشهير بعلامة القصيم, ولد بعنيزة سنة 1307ه, وأكب حتى كان مبرزاً في عدة علوم كالتفسير, والفقه, والأصول, وعرف بالتحقيق والتدقيق في مؤلفاته, توفي رحمه الله تعالى بعنيزة سنة 1376ه. انظر: الأعلام للزركلي (3/341), ومشاهير علماء نجد لعبد الرحمن آل شيخ, (ص:392).

[2](سورة النساء, (152).

[3](تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (1/378).

المطلب الثالث
منزلة الإيمان بالقنطرة من الإيمان

تتضح منزلة الايمان بالقنطرة من الإيمان فيما يأتي:

1 - الإيمان بالقنطرة جزء من الإيمان باليوم الآخر وهو ركن من أركان الايمان في الدين الاسلامي وله منزلة عظيمة من الإيمان, فإن الله سبحانه قد قرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به في غير موضع من كتابه قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[3].

2 - ومما يدل على أهميته ومنزلته أن الله عز وجل أقسم على وقوع اليوم الآخر, وأثنى على المؤمنين به, وأخبر أنه وعد صادق, وخبر لازم, وذم المكذبين بوقوعه ويدخل فيه جميع ما أخبر الشرع بوقوعه في ذلك اليوم ومنه القنطرة. قال الله سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4].

قال عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى-"يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه

---

[1] (سورة البقرة, (62).)
[2] (سورة التوبة, (18).)
[3] (سورة البقرة, (232).)
[4] (سورة التغابن, (7).)

على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق"[1].

3 - ولا يصح إيمان العبد ولا يقبل منه حتى يؤمن باليوم الآخر وبجميع ما سيجري في ذلك اليوم من الأهوال, ومنه الايمان بالقنطرة يقول الله سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[2].

قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية:"لأن جحود شيء من ذلك بمعنى جحود جميعه، ولأنه لا يصح إيمان أحدٍ من الخلق إلا بالإيمان بما أمره الله بالإيمان به، والكفر بشيء منه كفر بجميعه"[3].

وقال ابن كثير[4] -رحمه الله تعالى-:"يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه"[5].

4 – أن الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب,"ولا يتم الايمان بالغيب إلا بالإيمان بجميع ما أنزله الله تبارك وتعالى"[6].

---

[1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (ص:866).
[2]) سورة النساء, (136).
[3]) تفسير الطبري (9/314).
[4] (3) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصري الشيخ عماد الدين, ولد سنة سبعمائة, جمع التفسير والتاريخ الذي سماه البداية والنهاية, وعمل طبقات الشافعية, أخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن لسببه, توفي رحمه الله سنة 774ه. انظر: الدرر الكامنة (1/445).
[5]) تفسير القرآن العظيم, (2/384).
[6]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح, لشيخ الاسلام ابن تيمية, (1/137).

وقد امتدح الله المؤمنين بالغيب في كتابه, قال الله سبحانه في أول سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1], وهو الإيمان بجميع ما أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله, من أمور المعاد وتفصيله"[2].

5 – ما يترتب على الإيمان بالقنطرة من الثمرات الجليلة والآثار العظيمة التي تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة, ومنها:

أ – أداء عبادة الله سبحانه, فالإيمان باليوم الآخر وبكل ما سيجري فيه مما تعبدنا الله تعالى به, وكمال المخلوق في تحقيق العبودية لله تعالى.

ب – زيادة الإيمان, وذلك أن كلما ازدادت معرفة العبد بتفاصيل ذلك اليوم العظيم ازداد إيمانه, وقوي يقينه.

ج – انبعاث الرجاء والخوف, فالإيمان بالقنطرة يحمل على الصبر والإحتساب, رجاء لثواب الله تعالى في ذلك اليوم, ويحمل على ترك المظالم خوفا من عقاب الله سبحانه في ذلك اليوم.

د – العلم بفضل الله تعالى وحكمته, حيث يجازي من يستحق العذاب بعدله, ويجازي من يستحق الثواب بفضله, ويعلم ذلك بمعرفة ما يكون في الآخرة من الجزاء والحساب.

---

[1] سورة البقرة, (1-3).

[2] انظر مدارج السالكين, للإمام ابن القيم الجوزية, (2/378).

❖ الفصـــل الأول: أدلـــة إثبـــات القنطرة .

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول: أدلة الكتاب على إثبات القنطرة.**
- **المبحث الثـاني: أدلـة السـنة النبويـة على إثبات القنطرة.**
- **المبحث الثـالث: الآثـار الـواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في القنطرة0**
- **المبحث الرابـع: الآثـار الـواردة عن التابعين رحمهم الله في القنطرة0**
- **المبحث الخامس: دلالة الإجمـاع على إثبات القنطرة0**

المبحث الأول
أدلة الكتاب على إثبات القنطرة

لم يرد في كتاب الله عز وجل آية صريحة على إثبات القنطرة, لكن احتج بعض أهل العلم بآيات عامة على إثبات القنطرة, وبيان هذه الآيات فيما يأتي:

أولاً: الآيات التي استدل بها أهل العلم على إثبات القنطرة خاصة وهي:

1 – قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1] وقال عز وجل: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [2].

وقد استدل بهذه الآية على إثبات القنطرة كثير من أهل العلم, بل أول من استدل بهذه الآية على ذلك هو نبينا محمد ﷺ.

فأخرج البخاري –رحمه الله تعالى- عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ في هذه الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾, قال: « يخلص المُؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لِبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وَنقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزِلِه كان في الدنيا» [3].

---

[1] سورة الأعراف, (43).
[2] سورة الحجر, (47).
[3] سيأتي تخريجه, (ص:44).

وقال الزجاج [1] –رحمه الله تعالى-:"الغل الحقد، ويروى أنه يخلص المؤمنون من النار
فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبَعْضِهم من بعض، ثم يؤمر بهم إلى الجنة
وقد نُقُّوا وهذبوا فخلصت نياتهم من الأحقاد"[2].
وقد نقل الإمام الطبري عن أبي نضرة –رحمه الله- أنه قال في تفسير هذه الآية:«يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحدًا بقلامة ظُفُرٍ ظلمها إياه»[3].
وعن الحسن[4]- رحمه الله تعالى-قال: بلغني أن النبي قال: يحبس أهل الْجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤْخذ لِبعضهم من بعض ظلامتهم في الدنيا، فيدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل, وذلك قوله تعالى:وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ"[5].

---

[1] (4) هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل, أبو إسحاق الزجاج البغدادي, عالم بالنحو واللغة, كان فاضلاً ديناً,له المصنفات الحسنة, منها:"معاني القرآن", توفي رحمه الله سنة 311ه. انظر: البداية والنهاية (11/169), وسير أعلام النبلاء (14/360).

[2]).معاني القرآن وإعرابه, (3/180)

[3]).جامع البيان عن تأويل آي القرآن, للطبري (10/199)

[4] (2) هو الحسن بن أبي الحسن البصري, أبو سعيد مولى الأنصار, سيد التابعين في زمانه بالبصرة كان ثقة فاضلاً مشهوراً, مات سنة 110ه. انظر: طبقات بن سعد (7/156), وميزان الإعتدال (1/527).

[5] (3) سيأتي تخريجه في المبحث القادم, (ص:48).

وقال الشيخ ابن العثيمين[1] –رحمه الله تعالى-: في قوله تعالى﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾:"يعني أنهم إذا دخلوا الجنة نزع الله تعالى ما في صدورهم من غل وذلك أنهم يوقفون قبل دخول الجنة على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا ونقوا وبقيت قلوبهم صافية ليس فيها غل دخلوا الجنة بعد أن ينزع الله ما في قلوبهم من غل"[2].

وقال -رحمه الله تعالى- "فإذا وصلوا إلى الجنة لم يجدوها مفتوحة الأبواب، على خلاف أهل النار، فإنهم إذا وصلوا إلى النار فتحت الأبواب ليسوءهم العذاب والعياذ بالله، أما الجنة فلا تكون مفتوحة الأبواب، وإنما يوقفون هناك على قنطرة، وهي الجسر الصغير فيقتص لبعضهم من بعض اقتصاصاً غير الاقتصاص الأول الذي في عرصات القيامة، فيقتص لبعضهم من بعض اقتصاصاً يزيل ما في صدورهم من الغل والحقد؛ لأن الاقتصاص الذي في عرصات القيامة اقتصاص تؤخذ فيه الحقوق، وربما يبقى في النفوس ما يبقى، لكن هذا الأخير اقتصاص للتطهير والتهذيب والتنقية، حتى يدخلوا الجنة وما في صدورهم من غل"[3].

2 – قوله تبارك وتعالى:﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ٧٣ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا

---

[1] (2) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد العثيمين الوهيبي التميمي, ولد في مدينة عنيزة عام 1347ه, وهو العلامة الجليل الزاهد الورع الأصولي المفسر, له مؤلفات كثيرة, توفي رحمه الله تعالى عام 1421ه بمدينة جدة. انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد, للناصر الزهراني. والجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين, لوليد الحسين.

[2] (3) شرح العقيدة السفارينية, (ص: 476).

[3] (4) شرح العقيدة السفارينية, (ص: 477), وانظر شرح العقيدة الواسطية, للعثيمين, (ص:520).

وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[1].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة «زمرا» أي: جماعة بعد جماعة: المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، الشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضا.

«حتى إذا جاءوها» أي: وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة"[2].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى- :"وفي الصحيح أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية كما قال تعالى:﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. فالله هو طيب لا يقبل إلا طيبا، وهو نظيف يحب النظافة، وجميل يحب الجمال، وليس كل ما خلقه يصعد إليه، ويكون طيبا محبوبا له مرضيا عنده، بل إنما يسكن في جنته من يناسبها ويصلح لها، وكذلك النار"[3].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى-:"من لم يطهر الله قلبه فلا بد أن يناله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة، بحسب نجاسة قلبه وخبثه. ولهذا حرم الله سبحانه الجنة على من فى قلبه نجاسة وخبث، ولا

---

[1]) سورة الزمر, (73-74).
[2]) تفسير القرآن العظيم, لابن كثير (7/199).
[3]) منهاج السنة النبوية, (5/313).

يدخلها إلا بعد طيبه وطهره. فإنها دار الطيبين. ولهذا يقال لهم:﴿ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شىء من الخبث. فمن تطهر فى الدنيا ولقى الله طاهراً من نجاساته دخلها بغير معوق، ومن لم يتطهر فى الدنيا فإن كانت نجاسته عينية، كالكافر، لم يدخلها بحال. وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعد ما يتطهر فى النار من تلك النجاسة، ثم يخرج منها، حتى إن أهل الإيمان إذا جازوا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيهَذَّبون وينقَّون من بقايا بقيت عليهم، قصرت بهم عن الجنة، ولم توجب لهم دخول النار، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة.

والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفا على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر. وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفا على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر"[1].

وقوله:﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أي: طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم، كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات

:«إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»[2]"[3].

وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"ولا ريب إن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا ذهبوا ونفوا أذن لهم في دخول الجنة"[4].

---

[1] ( ). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان, (1/56).

[2] (1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق, باب الحشر (ص: 1130), رقم(6528), ومسلم كتاب الإيمان, باب بين كون هذه الأمة نصف أهل الجنة, (ص: 112), رقم(221).

[3] ( ).تفسير القرآن العظيم, لابن كثير (7/122).

[4] ( ).حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح, (ص:379).

قال مقاتل[1] –رحمه الله تعالى-:"إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه:" سلام عليكم" بمعنى التحية" طبتم فادخلوها خالدين"[2].

وقاله مجاهد[3] –رحمه الله تعالى-:"أنهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة، واقتص من بعضهم لبعض، فلما هذّبوا قالت لهم الخزنة: طبتم"[4].

ثانياً: الآيات التي استدل بها أهل العلم على القصاص العام يوم القيامة, وهي:

1- وقوله تبارك وتعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[5].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسيئة واحدة؛ ولهذا قال:﴿لا ظلم اليوم﴾ كما ثبت في صحيح

---

[1] (4) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسير, وأحد الأئمة المتفق على إمامته في التفسير. قال الامام الشافعي: الناس كلهم عيال على مقاتل في التفسير.اه, وقال مرة: من أحب التفسير فعليه بمقاتل.مات سنة خمسين ومائة للهجرو. انظر: تاريخ البغداد (13/169), وتهذيب الكمال (28/434-450).

[2] (5) الجامع لأحكام القرآن, للقرطبي (18/319), وذكره البغوي في تفسيره (4/89) بنحوه ونسبه لقتادة.

[3] (6) هو الإمام مجاهد أبو الحجاج بن جبر المكي, شيخ القراء والمفسرين, مولى لرجل من بني مخزوم, روى عن ابن عباس فأكثر وأطال, وعنه أخذ القرآن, والتفسير, والفقه, قيل في سنة وفاته رحمه الله 104ه وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (4/449), وتهذيب التهذيب (10/42).

[4] معالم التنزيل في تفسير القرآن, للبغوي 7/133, وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 4/28.

[5] سورة غافر, (17).

مسلم[1]، عن أبي ذر ، عن رسول الله -فيما يحكي عن ربه عز وجل-أنه قال:«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[2]"[3].

وقال الزجاج –رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية:"يختصم المؤمن والكافر، ويخاصم المظلوم الظالم"[4].

عن جابر رضي الله عنه قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي في القصاص فأتيت بعير فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرا حتى قدمت مصر فأتيت عبد الله بن أنيس فقلت له: حديث بلغني عنك في القصاص فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الله العباد حفاة عراة غرلا قلنا ما هما قال: ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منها حتى اللطمة قلنا كيف وان نأتي الله غرلا بهما قال: بالحسنات والسيئآت وتلا رسول الله ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾"[5].

وعن ابن عباس[6]-رضي الله عَنهما- قَالَ:"الذنوب ثلاثة فذنب يغفر وذنب لا يغفر وذنب لا يترك منه شيء.

---

[1] (3) هو مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين النيسابوري الحافظ صاحب الصحيح, ولد في سنة أربع ومائتين ,كان فريد عصره وإمام وقته, قدمه أبو زرعة وأبو حاتم في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وستين ومائتين. انظر: تهذيب الكمال 27/499-507 .

[2] (4) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب, باب تحريم الظلم رقم(2577), (ص:1128).

[3]).تفسير القرآن العظيم, لابن كثير (7/136)

[4]).معاني القرآن وإعرابه, لأبي إسحاق الزجاج (4/353)

[5]).سيأتي تخريجه في المبحث القادم, (ص:53)

فالذنب الذي يغفر, العبد يذنب الذنب فيستغفر الله فيغفر له, وأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك, وأما الذنب الذي لا يترك منه شيء فمظلمة الرجل أخاه ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [1] يؤخذ للشاة الجماء من ذات القرون بفضل نطحها"[2].

قال الشيخ حافظ الحكمي[3] -رحمه الله تعالى-:

وَعَنَتِ الوجوه للقيوم واقـ ... ـتص مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ

"واقتص من ذي الظلم أي اقتضى من الظالم للمظلوم قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا [4] وَقَالَ تَعَالَى: الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ "[5].

---

[6](2) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف, ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولد قبل الهجرة بثلاث سنين, ودعا له رسول الله بالفهم في القرآن, فكان يسمى بالبحر لسعة علمه. وهو أحد المكثرين من الصحابة للرواية, وأحد العبالة من فقهاء الصحابة. انظر: الاستيعاب (2/350), و أسد الغاية, (3/186-190).

[1] ((17) سورة غافر,).

[2] (أورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمنثور, (7/280.)

[3](5) هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي, علَم من أعلام منطقة الجنوب (تهامة), ولد الشيخ سنة 342ه, ولقد كان رحمه الله عميق الفهم سريع الحفظ, وكان على جانب كبير من الورع والكرم والعفة والتقوى. له مؤلفات كثيرة في التوحيد والمصطلح والفرائض. توفي رحمه الله 1377ه. انظر: معارج القبول وفيه نبذة عن المؤلف بقلم ابنه أحمد الحكمي.

[4] ((40) سورة النساء,).

[5] ((3/1002) معارج القبول,).

2 - وقوله تبارك وتعالى: ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ [1].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية:"ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيؤخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحقّ"[2].

وقال –رحمه الله تعالى-:"إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكلّ منكم ممن لصاحبه قبله حق حقُّه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ خطاب لجميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلا في حكمها كلّ ما كان في معنى ما نزلت به"[3].

وقال القرطبي –رحمه الله تعالى-:"يعني تخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم, وفي خبر فيه طول: إن الخصومة تبلغ يوم القيامة إلى أن يحاج الروح الجسد. وقيل تخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى، فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته، ويردها في حسنات من وجبت له. وهذا عام في جميع المظالم"[4].

فعن ابن عباس في قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ قال:

---

[1] سورة زمر, (31).
[2] تفسير الطبري, (21/287).
[3] المصدر نفسه, (21/288).
[4] الجامع لأحكام القرآن, للإمام القرطبي (18/276).

يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهدي الضال، وَالضعيف المستكبر"[1].

وعن الزبير[2] قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال:"نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه" فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد"[3].

وعن أنس قال: سألت أبا العالية عن قوله: لا تختصموا لديّ ثم قال: ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فكيف هذا؟ قال: أما قوله: لا تختصموا لدي فهو لأهل الشرك، وأما قوله: ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فهو لأهل القبلة، يختصمون في مظالم ما بينهم"[4].

"وهذه الآية -وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة-فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة"[5].

عن ابن عمر[6] قال: لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا وفي أهل

---

[1]).تفسير القرآن العظيم, لابن كثير (7/98) (

[2] (2) هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي, وهو حواري رسول الله وابن عمته, أمه صفية بنت عبد المطلب, وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى. انظر: الاستيعاب على حاشية الإصابة 1/560, الإصابة (1/526-528).

[3] (3) أخرجه الترميذي كتاب التفسير باب «ومن سورة الزمر» رقم (3236), (ص: 732) وقال الترمذي: الحديث حسن صحيح, وأخرجه الحاكم 2 / 435 وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في " الدر المنثور " 5 / 327 , والحديث حسنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي رقم (3236).

[4]) .أورده السمرقندي, في تفسيره بحر العلوم, (3/185) (

[5] (5) (7/86) المصدر السابق.

الكتابين ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فقلنا: وكيف نختصم ونبينا واحد ودِيننا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها فينا نزلت"[1].

وعن أبي سعيد الخدري[2] قال:«كنا نقول ربنا واحد ودِيننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين[3] وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا»[4].

وعن إبراهيم النخعي[5] –رحمه الله تعالى- قال:"لما نزلت:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال

---

(6) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن خطاب بن نفيل القرشي العدوي, أسلم مع أبيه وهاجر, كان عالماً عابداً, مات سنة ثلاث وسبعين, وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة 2/238, وسير أعلام النبلاء (3/203).

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن, للبغوي, (4/88)

(2) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري, أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة, واستصغر بأحد ثم شهد ما بعده, وروى الكثير, مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين, وقيل غير ذلك. انظر:التقريب 1/232.

(3) بكسرتين وتشديد الفاء، وحالها في الإعراب حال صريفين، وقد ذكرت في هذا الباب أنها تعرب إعراب الجموع وإعراب ما لا ينصرف، وقيل لأبي وائل شقيق بن سلمة: أشهدت صفّين؟ فقال: نعم وبئست الصّفّون: وهو موضع بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرّقّة وبالس، وكانت وقعة صفّين بين عليّ، رضي الله عنه، ومعاوية في سنة 37 في غرّة صفر. انظر معجم البلدان, للحموي, (3/415).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن, للإمام البغوي (4/88).

(5) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود, أبو عمران النخعي, من مذجح, من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً وروايةً وحفظاً للحديث, من أهل الكوفة, مات مختفياً من الحجاج, ولما بلغ الشعبي موته قال:" والله ما ترك بعده مثله", توفي سنة 96ه. انظر: سير أعلام النبلاء (1/398).

أصحاب النبي : ما خصومتنا هذه؟ وإنما نحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا: هذه هذه"[1].

3 – وقوله تبارك وتعالى:إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ[2].

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى:إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد :"إن ربك يا محمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قَصَصَهم، لِضُرَبائهم من أهل الكفر، لبالمِرصاد يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، يكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة"[3].

وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلّا بسعيه في الدنياوالأخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلا بما يستحقه. وهو المنزه عن الظلم والجور"[4].

وقال ابن عطية –رحمه الله تعالى-:"وروي في بعض الحديث أن على جسر جهنم ثلاث قناطر على إحداهما الأمانة وعلى إحداهما الرحم وعلى الأخيرة الرب تبارك وتعالى، فذلك قوله لَبِالْمِرْصادِ"[5].

عن الضحاك[6]-رحمه الله تعالى قال:"إذا كان يوم القيامة يأمر الرب بكرسيه فيوضع على النار فيستوي عليه ثم يَقُول: أنا الملك الديان وعزتي وجلالي لا يتجاوز

---

[1](6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن, للقرطبي (20/202).

[2](7) سورة الفجر, (14).

[3](1) جامع البيان في تأويل آي القرآن, (24/411).

[4](2) تفسير القرآن العظيم, (8/398).

[5](3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, (5/479).

[6](4) هو الضحاك بن مزاحم أبو محمد, وقيل أبو القاسم, الهلالي, الخراساني, صاحب التفسير. تابعي جليل, كان من أوعية العلم, وإماماً في التفسير. واختلف في سماعه لابن عباس, توفي رحمه الله تعالى سنة 105ه, وقيل غير ذلك. انظر: البداية والنهاية (9/249), وسير أعلام النبلاء (4/598).

اليوم ذو مظلمة بظلامته ولو ضربة بيد فذلك قَوْله:إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ"[1].
وعن ابن مسعود[2]–رضي الله عنه فِي قَوْله تعالى:إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ قال:"من وَرَاء الصِّرَاط جسور: جسر عليه الأمانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل"[3].
وعَن عَمْرو بن قيس[4]–رحمه الله تعالى- قَالَ:"بَلغنِي أَن على جَهَنَّم ثَلَاث قناطر: قنطرة عَلَيْهَا الْأَمَانَة إِذا مروا بهَا تَقول يَا رب هَذَا أَمِين هَذَا خائن, وقنطرة عَلَيْهَا الرَّحِم إِذا مروا بهَا تَقول يَا رب هذا واصل يا رب هذا قَاطع, وقنطرة عليها الرب إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ"[5].
وعن مقاتل بن سليمان[6]–رحمه الله تعالى- قَالَ:"أقسم الله إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ يَعْنِي الصِّرَاط وَذَلِكَ أَن جسر جَهَنَّم عَلَيْهِ سبع قناطر على كل قنطرة ملائكة قيام وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق سألون الناس

1(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن, للطبري (24/412).
2(6) هو عبد الله بن مسعود بن غافلبن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن, من السابقين الأولين, ومن كبار العلماءمن الصحابة, مناقبه جمة, وأمره عمر على الكوفة, ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. انظر: التقريب, لابن حجر (1/323).
3( ).الدر منثور في التفسير بالمأثور, للسيوطي (8/508)
4(2) هو عمر بن قيس الملائي, أبو عبد الله الكوفي, عالم عابد متقن ثقة, مات سنة بضع وأربعين ومائة. انظر: التقريب (ص: 426).
5(3) ذكره الإمام الطبري في تفسيره (24/412), والسيوطي في الدر المنثور (8/508), وعزاه للطبري.
6(4) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسي, وأحد الأئمة المتفق على إمامته في التفسير. قال الشعبة: ما وجدت علم مقاتل في علم الناس إلا كالبحر الأخضر في سائر البحوراه, وقد ضعفوه في الحديث, مات سنة خمسين ومائة للهجرة. انظر: الكامل لابن عدي (3/154), وتهذيب الكمال, (28/434-450).

فِي أول قنطرة عَن الإِيمان وفي الثانية يسألونهم عَن الصَّلَوَات الْخمس وَفِي الثَّالِثَة يَسْأَلُونَهُمْ عَن الزَّكَاة وَفِي الرَّابِعَة يَسْأَلُونَهُمْ عَن شهر رمضان وفي الخامسة يسألونهم على الحج وفي السادسة يسألونهم عن العمرة وفي السابعة يسألونهم عن المظالم فمن أتى بما سئل عنه كما أمر جاز على الصراط والا حبس فَذَلِك قَوْله: إِن رَبك لبالمرصاد"[1].

---

[1]) الدر منثور في التفسير بالمأثور, للسيوطي, (8/509).

المبحث الثاني
أدلة السنة النبوية على إثبات القنطرة

أدلة السنة النبوية على إثبات القنطرة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الأحاديث الصريحة الدالة على إثبات القنطرة وهما حديثان:

الأول: حديث أبي سعيد الخدري ، قال: قال رسول اللَّهِ : «يخلص المُؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لِبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وَنقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزِلِه كان في الدنيا»[1].

وهذا الحديث هو أصح حديث في هذا الباب وأصرحه, وقد أورده البخاري[2] في موضعين من صحيحه, وكذلك في الأدب المفرد[3].

1() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب المظالم, باب قصاص المظالم, (ص:393), رقم(2330), وكتاب الرقاق, باب القصاص يوم القيامة, (ص:1132), رقم(6535).

2() هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى مولاهم، أبو عبد الله بن أبى الحسن البخارى الحافظ صاحب "الصحيح", وولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومائة. و كان إماما حافظا حجة رأسا فى الفقه و الحديث، مجتهدا، من أفراد العلم مع الدين و الورع و التأله كان يقول:"صنفت "الصحيح" في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى".توفي سنة 256 هـ بـخرتنك، من قرى سمرقند. انظر: سير أعلام النبلاء (10/79), وتهذيب التهذيب (9/47).

3() باب الظلم ظلمات, (ص: 181), رقم(486).

وأورده الإمام أحمد[1]-رحمه الله تعالى- بلفظة:«فيحتبسون على قنطرة بين الجنة والنّار»[2].
والحاكم[3] -رحمه الله تعالى-«ليحبس أهل الجنة بعدما يجاوزون الصراط على قنطرة فيؤخذ لبعضهم من بعض مظالمهم التي تظالموها في الدنيا»[4].
والثعالبي[5]-رحمه الله تعالى-:«إذا خلص المؤمنون من الصراط، حبسوا على صراط بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض بمظالم كانت بينهم في الدنيا»[6].

1(4) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني, المروزي, نزيل بغداد, أبو عبد الله أحد الأئمة, ثقة حافظ, فقيه حجة, قال الشافعي: "خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولاأورع ولاأعلم من أحمد بن حنبل", وقال عبد الله الخريبي:"كان أفضل زمانه", مات سنة 241ه. انظر: تهذيب التهذيب (1/72).

2(5) المسند (18/146), رقم(11603).

3() محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف. مولده في يوم الاثنين, ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة بنيسابور, وأخذ فنون الحديث عن أبي علي الحافظ، والجعابي، وأبي أحمد الحاكم، والدارقطني، =وعدة. وتوفي في سنة ثلاث وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (12/572).

4(2) المستدرك (4/616), رقم(8706).

5(3) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكِي. مِمَّن أَخذ عَن أبي الْقسم العبدوسي وحفيد ابْن مَرْزُوق والبرزلي والغبريني، وَحج وَأخذ عَن الْوَلِيّ الْعِرَاقِيّ، وَكَانَ إِمَامًا عَلامَة مصنفا اختصر تَفْسِير ابْن عَطِيَّة فِي جزءين وَشرح ابْن الْحَاجِب الفرعي فِي جزءين وَعمل فِي الْوَعْظ وَالرَّقَائِق وَغير ذَلِك وَمَات فِي سنة سِتّ وَسبعين أَو فِي أَوَاخِر الَّتِي قبلهَا عَن نَحْو تسعين سنة رَحمَه الله. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (4/152).

6(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن, (3/411).

والبيهقي –رحمه الله تعالى-:«يخلص المؤمنون على الصراط فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة». [1] وغيرهم.

وقد استدل به أهل العلم على إثبات القنطرة.

قال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى- عند حديثه لأحوال الآخرة وأهوالها:"ثم ينصب الصراط مجازاً على متن جهنم أعاذنا الله منها, أدق من الشعر وأحد من الموسى كما وصفه رسول الله ، فيسقط أهل البدع في الباب السادس منه أو الخامس، وأهل الكبائر في السابع أو السادس، وإنما يسقط الساقط بعدما يعجز عن عمله, ويخلص المؤمنون على درجاتهم في تفاوتهم في النجاة ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت

بينهم في الدنيا حتى إذا صفوا وهذبوا، أدخلوا الجنة"[2].

وقال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"فالناجي قد يكون عليه تبعات وله حسنات توازيها أو تزيد عليها فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها"[3].

فمن جاوز الصراط من المؤمنين وله تبعات يوقف على القنطرة التي بين الجنة والنار للتطهير والتنقية, ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد.

قال الامام القرطبي- رحمه الله تعالى-:"فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله, لأنهم قد عبروا

---

[1] (5) شعب الإيمان, (1/523).

[2] (1) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, للامام القرطبي (ص: 741).

[3] (2) فتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر(11/399).

االصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه"[1].

وقال القسطلاني[2] –رحمه الله تعالى-:"واعلم أن فى الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من خلص من الصراط الأكبر حبسوا على صراط آخر لهم، ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم"[3].

فمن جاوز الصراط فقد أمن من دخول النار.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"فمن مرّ على الصراط؛ دخل الجنة. فإذا عبروا عليه؛ وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا وَنقوا؛ أذن لهم في دخول الجنة"[4].

وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فإذا جَاوز المؤمنون الصراط ولا يجوزه إلا مؤمن أمنوا من دخول النار فيحبسون هناك على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص

---

[1] (3) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, للامام القرطبي (767).

[2] (4) أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك بن الزين أحمد بن الجمال محمد بن الصفي محمد بن المجد حسين بن التاج علي القسطلاني الأصل المصري الشّافعي وَيعرف بالقسطلاني ولد في ثاني عشر ذي الْقعدَة سنة 851ه, وَمن مؤلفاته الْمَشْهُورَة شرح البخاري الْمُسَمّى إرشاد الساري على صَحِيح البخاري فِي أَربع مجلدات وَشرح صَحِيح مُسلم مثله وَلم يكمل والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية وَكَانَ متعففاً جيد الْقِرَاءَة لِلْقُرْآنِ والْحَدِيث والخطابة, توفي سنة 923ه. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع(1/103).

[3] (5) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية, للقسطلاني (3/668).

[4] (1) مجموع الفتاوى, (3/147).

لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في دار الدنيا حتى إِذا هذبوا أذن لهم في دخول الجنة"[1].

وقال في موضع آخر:"ولهذا يدخل النار من أهل التوحيد من فيه خبث وشر حتى يتطهر فيها ويطيب، ومن كان فيه دون ذلك حبس على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هذب ونقي أذن له بالدخول"[2].

فالجنة دار طيبة في جوار الطيب سبحانه, ولا يـدخلها إلا الطيب, كما قال سـبحانه: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ ﴾[3] فهي لا تصلح للنفوس الخبيثـة, ولـذلك من كان في نفسه خبث طهر وهذب قبل دخول الجنة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فالنفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد، أو غير ممكن.

بل إذا كان في النفس خبث طهرت وهذبت، حتى تصلح لسكنى الجنة. كَمَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخدري عن النبي :«ن المؤمنين ذا نجوا من النار - أي عبروا الصراط - وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار. فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم

في الدنيا. فإذا هذبوا ونقوا: أذن لهم في دخول الْجنة»[4]"[5].

الثاني: عن الحسن البصري- رحمه الله تعالى- قال:بلغني أن النبِي قَالَ:«يحبس أهل الْجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤْخذ لِبعضهم من بعض ظلامتهم

---

[1] (2) تحفة المودود بأحكام المولود, (ص:310).

[2] (3) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة, (ص: 261).

[3] (4) سورة الزمر, (73).

[4] (1) تقدم تخريجه, (ص:42).

[5] (2) مجموع الفتاوى, (14/344).

في الدنيا، فيدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل»[1].

2- القسم الثاني: الأحاديث القصاص العامة وهي كثيرة جداً منها:

1 - عن أسامة بن زيد[2] قال: قال رسول الله ﷺ:«قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد[3] محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»[4].

قال الامام النووي –رحمه الله تعالى-:"أي لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة"[5].

وقال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"قوله محبوسون أي ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال وكأنّ ذلك عند القنطرة التي يتقاصّون فيها بعد الجواز على

1(3) أورده ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره 5/1478 برقم (8468), وهو من مراسيل الحسن, وأورده الحافظ ابن الحجر في الفتح (11/399) وقال:"سنده صحيح".

2(4) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد, وهو مولى رَسُول اللَّهِ ﷺ من أبويه، وكان يسمى: حب رَسُول اللَّهِ. وكان أسامة أسود أفطس، وتوفي آخر أيام معاوية سنة ثمان، أو تسع وخمسين، وقيل: توفي سنة أربع وخمسين. انظر أسد الغابة (1/194).

3(5) أي ذوو الحَظ والغنى والإقبال فِي الدنيا. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (1/244).

4(6) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب النكاح, (ص:929), رقم(5196), ومسلم في صحيحه, كتاب الرقاق, باب أكثر أهل الجنة الفقراء, وأكثر أهل النار النساء, وبيان الفتنة بالنساء, (ص:1186), رقم(2736).

5(7) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين, للإمام النووي, (ص:104).

الصراط"[6]

وقال العيني-رحمه الله تعالى- عند سياقه لأقوال أهل العلم على تفضيل الغني على الفقير أو الفقير على الغني, قال:"والذي يظهر لي أن الأفضل ما اختاره الله لنبيه ، ولجمهور صحابته، رضي الله تعالى عنهم، وهو الفقر غير المدقع، ويكفيك من هذا أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، وأصحاب الأموال محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار سألون عن فضول أموالهم"[2].

وهناك قول عند بعض أهل العلم بأن هذا الحبس سيكون عند الحساب في عرصات القيامة[3].

والذي يظهر والعلم عند الله أن الحبس المذكور في هذا الحديث يكون بعد مرور الصراط عند القنطرة وذلك لما يأتي:

1. أن الحبس في عرصات القيامة يكون لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة, قال الله تعالى:﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[4] وقال تعالى:﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾[5].
   قال الامام البغوي –رحمه الله تعالى-:"أي محبوسون للحساب يوم القيامة"[6].

وعن أنس بن مالك قال أن النبي ، قَالَ:«يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك، فيقولون: لو

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر 11/420.
(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري, للعيني (6/132), وقد نسب هذا القول إلى القرطبي.
(3) وهذا قول ابن بطال في شرحه لصحيح البخارى, (7/318).
(4) سورة سبأ, (31).
(5) سورة الصافات, (24).
(6) معالم التنزيل في تفسير القرآن, للامام البغوي 3/682.

استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم, فيقولون: أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا...»[1], فدل الحديث على أن هذا الحبس هو في أرض المحشر.

2. وقال القرطبي –رحمه الله تعالى-:"وقد صح عن النبي أنه قال: «أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم»[2].

ويدل عليه كذلك حديث ابن عباس , أن رسول الله قال:«التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غني، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير، فيقول: أي أخي، ماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك. فيقول: أي أخي، إني حبست بعدك محبسا فظيعا كريها، وما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير، كلها آكلة حمضا[3] لصدرت عنه رواء[4]»[5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣, (ص:1281), رقم(7440).

(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمر الآخرة, (2/179), قال محقق الكتاب, يوسف البديوي:"ولم أجده بهذا اللفظ".

(3) الحمض من النبات، وهو للإبل كالفاكهة للإنسانِ. انظر النهاية, لإبن الأثير, (1/441).

(4) الرواء بالكسر والمد: الرواء: الماء الكثير الذي للواردة فيه ري. انظر الفائق في غريب الحديث, للزمخشري, (2/164).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (4/491), رقم(2770), والضياء المقدسي في صفة الجنة (ص: 157), رقم(167), قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/263):"فيه دويد غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عن سفيان فقد ذكره العجلي في كتاب الثقات،

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي بين أن هذا الحبس يكون عند باب الجنة ولا شك أن القنطرة هي آخر أهوال يوم القيامة, ولا يبقى بعده إلا دخول الجنة, فلعلها المقصودة بهذه الأحاديث, نسأل الله من فضله.

2- عن أبى هريرة[1] أن النبى قال:«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه»[2].

وإن كان غيره لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير مسلم بن بشير، وهو ثقة".

(1) الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله أبو هريرة الدوسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه على أقوال جمة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر. حمل عن: النبي علما كثيرا، طيبا، مباركا فيه، لم يلحق في كثرته، وعن: أبي، وأبي بكر، وعمر، وأسامة، وعائشة، والفضل، وبصرة بن أبي بصرة، وكعب الحبر. حدث عنه: خلق كثير من الصحابة والتابعين. وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة.انظر: سير أعلام النبلاء (3/578-588).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الرقاق, باب القصاص يوم القيامة, (ص: 1131), رقم(6534).

3 - عَنْ سَلْمَانَ الفارسي[1] أن رسول الله قال:«يجيء الرجل يوم القيامة من الحسنات ما يظن أن ينجو بها فلا يزال يقوم رجل قد ظلمه مظلمة فيؤخذ من حسناته فيعطى المظلوم حتى لا تبقى له حسنة، ثم يجيء من قد ظلمه ولم يبق من حسناته شيء فيؤخذ من سيئات المظلوم فتوضع على سيئاته»[2].

4 – عن أبي بردة بن نيار[3] ، قال : قال رسول الله :«إن الله عز وجل حابس الغريم على غريمه كأشد ما حبس شئ على شئ فيقول: يا رب كيف أعطيه وقد حشرتني حافيا عريانا: فمن أين؟ فيقول الله عز وجل: سأعطيهم ما أعطوك من حسناتك، فيطرح على حسنات

---

[1](3) سلمان الفارسي أَبُو عَبْد اللَّهِ ويعرف بسلمان الخير مولى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان بْن الإسلام. أصله من فارس، من جي، وهي مدينة أصفهان، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك، من ولد آب الملك. وكان ببلاد فارس مجوسيا سادن النار. وسئل علي عن سلمان، فقال: علم العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت. وتوفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر، والأول أكثر. انظر: أسد الغابة (2/510).

[2](4) أخرجه البزار في مسنده, البحر الزخار (6/490), رقم(2524), والطبراني في المعجم الأوسط (6/258), رقم(6153). قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/1120):" وهذا إسناد رجاله =كلهم ثقات من رجال "التهذيب "؛ غير خالد بن حمزة العطار، وذكره المزي في الرواة عن عثمان بن غياث، ووصفه بـ (الأحمر) ، ولم أجد له ترجمة. .

[3](1) ابن عمرو بن عبيد بن عمرو بن كلاب بن دهمان البلوي القضاعي الأنصاري من حلفاء الأوس.
واسمه: هانيء وهو خال البراء بن عازب. شهد العقبة وبدرا والمشاهد النبوية وبقي إلى دولة معاوية. وحديثه في الكتب الستة. توفي سنة اثنتين وأربعين.انظر أسد الغابة (5/358).

القوم، فإن كانت وإلا أخذت من سيئات القوم فطرحت على سيئاتك»[1].

5 - عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله :«رحم الله عبدا كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال، فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته، وإن لم تكن له حسنات حملوه عليه من سيئاتهم»[2].

6 - وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامةحتى يقاد للشاة الجلحاء[3] من الشاة القرناء[4] »[5].

7 - وعَنْ أبي هريرة أنَّ رسول الله قَالَ:«يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة»[6].

---

1 (2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط, (4/26), رقم(3524),وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (10/354), رقم(18419), وقال:"وفيه حماد بن شعيب، وهو ضعيف جدا", وقال البخاري في التاريخ الكبير, (3/25):"فيه نظر", وللحديث شواحد في الأحاديث الصحيحة.

2 (3) أخرجه الترمذي في سننه, كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله , باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص, (ص:545), رقم(2419), وأبو يعلى الموصلي في مسنده رقم(653), والطبراني في معجم الأوسط رقم(1683), وقال الترمذي:"هذا حديث حسن صحيح", وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ص:545).

3 (4) هِيَ الَّتي لَا قَرْنَ لَهَا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لإبن الأثير, (1/284).

4 (5) القرناء هي ذَات الْقرن. النهاية في غريب الحديث والأثر, لإبن الأثير, (1/300).

5 (6) أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب تحريم الظلم, (ص:1130), رقم(2582).

6 (1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (14/364), رقم(8756), قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/608):" وهذا

8 - عنه يرفعه: «ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة, حتى الشاتان فيما انتطحتا[1]»[2].

9 - عن أبى ذر أن النبى رأى شاتين تنتطحان فقال المصطفى لأبى ذر «هل تدرى فيما تنتطحان؟» قال: لا قال المصطفى: «ولكن اللـه يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة»[3].

10 – عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم يقول:«من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»[4].

11- عن عبد الله بن أنيس[5] قال: سمعت رسول الله يقول:«يحشر الله الناس يوم

إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

[1](2) كمنعه وضَرَبَه: أصابَه بقَرْنِه. انظر: القاموس المحيط,للفيروزآبادى, (ص:245).

[2](3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (2/290), بإسناد قال المنذري : "حسن", وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/116):"وإسناده حسن في المتابعات".

[3](4) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (1/386), رقم(482), وقال عنه الألباني في الصحيحة (1588):"وهذا إسناد صحيح, رجاله ثقات رجال الشيخين غير أصحاب المنذر, فإنهم لم يسموا, وذلك مما لا يضر, لأنهم جمع من التابعين, فينجبر جهالتهم بكثرتهم", والحديث أخرجه البويصر في الإتحاف بذيل المطالب رقم(4537) وعزاه للمصنف.

[4](5) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الحدود, باب قذف العبيد, (ص:1182), رقم(6858), ومسلم في صحيحه, كتاب الأيمان, باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنى, (ص:731), رقم(1660).

[5](6) عَبْد اللَّهِ بْن أنيس الأسلمي. روى عنه جابر بْن عَبْد اللَّهِ الأنصاري. وكان مهاجرًيا أنصاريًا عقيبًا، شهد بدرًا، وأحدًا، وما بعدهما. وهو أحد الذين كانوا يكسرون أصنام بني سلمة. انظر أسد الغابة (3/178).

القيامة وأشار بيده إلى الشام عراة غرلاً بهمًا -قلت ما بهمًا- قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه قالوا: وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً قال: بالحسنات والسيئات»[1].

12 – عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة»[2].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (25/432), رقم(16042), والبخاري في خلق أفعال العباد (ص:40), والحاكم في مستدركه رقم(3638), والطبراني في المعجم الكبير رقم(331),قال الحاكم في المستدرك, (3/475):"صحيح الإسناد ولم يخرجاه", وقال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة (ص: 489):"هذا حديث حسن جليل، وعبد الله بن محمد بن عقيل صدوق حسن الحديث، وقد احتج به غير واحد من الأئمة", والحديث حسنه العراقي في تخريج أحاديث إحياء, (1/1909).

(2) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط 2/120, رقم(1445), والبزار في البحر الزخار 16/220, رقم(9446), قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 2/280: الحديث حسن صحيح.

13 - عن أبي أيوب[1] أن رسول الله قال:«أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها ، يشهدان عليها بما كانت تغيب لزوجها، وتشهد يداه ورجلاه بما كان يوليها، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك، ثم يدعى بأهل الأسواق، فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط، ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي
ظلم ، وتدفع سيئات هذا إلى الذي ظلمه»[2].

14 - وعن عائشة ، وبعض أصحاب النبي أن رجلا من أصحاب النبي جلس بين يديه فقال:«يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني ويعصونني ، وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال له رسول الله :«بحسب ما خانوك، وعصوك، وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ويهتف، فقال له رسول الله :«ما لك؟» ما تقرأ كتاب الله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْس شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ

[1] (3) هو أبو أيوب الأنصاري واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري.شهد: العقبة، وبدرا، وأحدا، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مع عَلِيّ بن أبي طالب، رضي الله عَنْهُ، ومن خاصته. وهو الَّذِي نزل عَلَيْهِ رسول الله لِمَا قدم المدينة مهاجرا إلى أن بنى مسجده ومساكنه. قال خليفة: مات سنة خمسين. وقال يحيى بن بكير: سنة اثنتين وخمسين. انظر أسد الغابة (6/22), وسير أعلام النبلاء 4/52).

[2] (1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/148), رقم(3969), وأورده السيوطي في البدور السافرة (ص:283) وقال: "الإسناد لا بأس به".

بِنَا حَسِبِينَ ﴾[1] فقال الرجل :«يا رسول الله، ما أجـد شـيئاً خـيراً لي من فـراق هـؤلاء -يعـني عبيـده- أشـهدك أنهم أحرار كلهم»[2].

15 - عن عقبة بن عامِر[3] ، قال: قال رسول الله :«أول خصمين يوم القيامة جاران»[4].

16 - عن عائشة قالت: قال رسول الله «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة[5] ديوان لا يعبأ الله به شيئا

---

[1](2) سورة الأنبياء, (47).

[2](3) أخرجه الترمذي في سننه, كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام, (ص:711), رقم(3165), وأخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم(26401), قال الترمذي:" هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان", قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2/280):" عبد الرحمن هذا ثقة احتج به البخاري وبقية رجال أحمد وثقهم البخاري ومسلم والله أعلم".

[3](4) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني يكنى أبا حماد، وقيل: أبو لبيد، وأبو عمرو، وأبو عبس، وَأَبو أسيد، وَأَبُو أسد، وغير ذَلِكَ. وكان من أصحاب معاوية بْن أَبِي سُفْيَان، وولي لَهُ مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ثمان وخمسين، وكان يخضب بالسواد. وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن. انظر: أسد الغابة (4/51).

[4](1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (27/601), رقم(17372), والطبراني في المعجم الكبير رقم(836-852), والحديث حسنه السيوطي في البدور السافرة (ص:286), والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2/344) وقال:"رواه أحمد واللفظ له والطبراني بإسنادين أحدهما جيد".

[5](2) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:"فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه, وظلم الناس بعضهم

وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله عز وجل إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز ان شاء وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة»[1].

بعضا لابد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة, فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع, وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله, فبه صار من أهل الشفاعة". مجموع الفتاوى, (7/78).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى-:"ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفِّرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرَّم الجنة على أهله فلا تدخل الجنةَ نفسٌ مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به". الصلاة وأحكام تاركها, (ص: 43).

وقال رحمه الله تعالى:"وأما حديث الدواوين فإنما فيه أن حق الرب تعالى لا يؤوده أن يهبه ويسقطه ولا يحتفل به ويعتني به كحقوق عباده وليس معناه أنه لا يؤاخذ به البتة أو أنه كله صغائر وإنما معناه أنه يقع فيه من المسامحة والمساهلة والإسقاط والهبة ما لا يقع مثله في حقوق الآدميين". مدارج السالكين, (1/336).

[1] (1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (43/155), رقم(26031), والحاكم في مستدركه (4/619), رقم(8717), وقال:"هذا

17 - عبد الله بن عمر ، يقول: سمعت رسول الله يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته» قال: وحسبت أن قد قال - «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»[1].

18 - وعنه قال: قال رسول الله :«لا تموتن وعليك دين، فإنما هي الحسنات والسيئات، ليس ثم دينار ولا درهم، جزاء وقصاص ليس يظلم الله أحدا»[2].

19 - عن أبى هريرة قال: قال رسول الله :«أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه،
أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح فى النار»[3].

حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه", والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (7/133).

¹(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الجمعة, باب الجمعة في القرى والمدن, (ص:143), رقم(893), ومسلم في صحيحه, كتاب الإمارة, باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر, والحث على الرفق بالرعية, والنهي عن إدخال المشقة عليهم, (ص:820), رقم(1829).

²(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط, (3/216), رقم(2959), وأبو نعيم في الحلية, (3/302), وقال:"هذا حديث صحيح ثابت من حديث المقبري عن أبي هريرة، مشهور من حديث ابن عمر, ورواه عن ابن عمر جماعة منهم: عطاء ونافع ويحيى بن راشد".

³() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب تحريم الظلم, (ص:1129), رقم (2581).

20 - عن عمار بن ياسر[1] ، قال: قال رسول الله : «ما من رجل يضرب عبدا له إلا أقيد منه يوم القيامة»[2].
21 - عن أبي عثمان النهدي قال: أن النبي قال: «ترفع للرجل صحيفة يوم القيامة، حتى يرى أنه ناج، فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما تبقى له حسنة، ويزاد عليه من سيئاتِهم»[3].
22 - عن أنس بن مالك ، قال: بينا رسول الله جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ

---

[1](1) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن بأمّ بن عنس، بنون ساكنة، ابن مالك العنسيّ، أبو اليقظان، حليف بني مخزوم، وأمّه سمية مولاة لهم كان من السابقين الأولين، هو وأبوه، وكانوا ممن يعذّب في اللَّه، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر على الكوفة، وكتب إليهم: أنه من النّجباء من أصحاب محمد. وتواترت الأحاديث عن النبي أن عمارا تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين في ربيع وله ثلاث وتسعون سنة. انظر: الإصابة (4/474).

[2](2) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (9/445),رقم(17954), والبزار في البحر الزخار (4/236), رقم(1399), وأورده السيوطي في البدور السافرة (ص:287), وقال:"إسناده حسن", وقال الألباني في صحيح أدب المفرد (ص:88):"صحيح الإسناد".

[3](3) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن شعبة عن خالد الجذاء عن عن أبي عثمان النهدي, (2/45), رقم(2268), وقال الحاكم:" «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وَلَا أَعْرِفُ لِشُعْبَةَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ حَدِيثًا مُسْنَدًا غَيْرَ هَذَا ", وقال المنذري فالترغيب والترهيب (3/198):"إسناده جيد".

لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري قال: وفاضت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال:«إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: «ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه، فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله عز وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة » فقال رسول الله عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين»[1].

23 - عن أم هانئ ابنة أبي طالب ، عن النبي قال: «إن الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد، إن الله عز وجل قد عفا عنكم، فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا، ثم ينادي مناد: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم عن بعض، وعلي الثواب»[2]

---

[1] (1) أخرجه الحاكم في مستدركه (4/620), من طريق عَبَّادُ بْنُ شَيْبَةَ الْحَبَطِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحاكم: "هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه", فتعقبه الذهبي بقوله: "عباد ضعيف. وشيخه لايعرف", وقال ابن كثير في النهاية في الفتن (20/40), :"إسناد غريب, وسياق غريب, ومعنى حسن عجيب", وضعفه الالباني في ضعيف الترغيب والترهيب (2/71).

[2] (2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/87), رقم (1336), وقال:" لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: أَبُو عَاصِمٍ الثَّقَفِيُّ الْكُوفِيُّ ", وقال الهيثمي في

24 - عن جابر □، قال: لما رجعت إلى رسول الله □ مهاجرة البحر، قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل، بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا، قال: يقول رسول الله □: «صدقت، صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟»[1].

ووجه الشاهد من هذه الأحاديث: أن النبي □ بين فيها وقوع القصاص يوم القيامة بين جميع الخلق, ومن ذلك القصاص الحاصل بين المؤمنين بعضهم على بعض, وذلك عند القنطرة.

مجمع الزوائد, (10/358): "فيه أبو عاصم بن ربيع ابن إسماعيل منكر الحديث".

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه, كتاب الفتن, باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, (ص:662), رقم(4010), وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (ص:662).

المبحث الثالث
الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في القنطرة

الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم على إثبات القنطرة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الآثار الصريحة الدالة على إثبات القنطرة, وهو أثر واحد:

1 – عن ابن عباس قَالَ:«إن على جهنم سبع قناطر، يسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان، فإن جاء به تاما جاز إلى القنطرة الثانية، ثم يسأل عن الصلاة، فإن جاء بها جاز إلى الثالثة، ثم يسأل عن الزكاة، فإن جاء بها جاز إلى الرابعة. ثم يسأل عن صيام شهر رمضان، فإن جاء به جاز إلى الخامسة. ثم يسأل عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما جاز إلى السادسة. ثم يسأل عن صلة الرحم، فإن جاء بها جاز إلى السابعة. ثم يسأل عن المظالم، وينادي مناد: ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيقتص للناس منه، ويقتص له من الناس»[1].

القسم الثاني: الآثار القصاص العامة, وهي كثيرة جدا:

1 - عن ابن مسعود قال:«يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة، فينصب على رءوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد: أعط هؤلاء حقوقهم، فيقول: أي ربّ، فَنِيت الدنيا، فمن أين أعطيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته، فإن كان له فضلُ مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة، ثم تلا ابن مسعود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[2]

---

(1) أورد هذا الأثر القرطبي في تفسيره, (20/50).

(1) سورة النساء, (40).

وإن كان عبدا شقيا، قالت الملائكة: ربنا، فنيت حسناتُه وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته، وصُكُّوا له صَكًّا إلى النار»[1].

2 - وعنه قال:«من وَرَاء الصِّرَاط جسور:جسر عَلَيْهِ الْأَمَانَة وجسر عَلَيْهِ الرَّحِم وجسر عَلَيْهِ الرب عز وجل»[2].

3 - عن أبي هريرة قال:«كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة, وهو لا يعرفه, فيقول: ما لك إلي؟ وما بيني وبينك معرفة, فيقول: كنتَ تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني»[3].

4 – وعنه قال:«يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شي، فيبلغ من عدل الله تعالى يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول:-كُونِي

---

[1] (2) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد رقم(1416), وابن جرير في التفسير(17/113),وابن أبي الدنيا في الأهوال رقم(249), وأبو نعيم في الحلية(4/201), قال أبو نعيم:" اسناده حسن تفرد به هارون بن أبي وكيع عن زاذان".

[2] (3) أخرجه الحاكم في مستدركه (2/569), رقم(3930), وقال:" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ", والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود رضي الله عنه (2/344), رقم(914), قال البيهقي:"هذا مرسل بين سالم بن أبي الجعد وابن مسعود, ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله غير مرفوع إلى عبد الله", وأورد هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور (8/508), والشوكاني في فتح القدير (5/593).

[3] (1) رواه رزين في كتابه التجريد في الجمع بين الصحاح, كما في جامع الأصول لابن الأثير (10/432), وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب(3/164). انظر: السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات (ص:423), وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(2/53):"إسناده ضعيف".

ترابا- فذلك قوله تعالى وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا [1]»[2].

5 - عن أبي أمامة[3] قَالَ:«يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلماء والوعرة، لقيه المظلوم، وعرفه، وعرف ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينتزعوا ما في أيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا حسناتهم رد عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يوردوا في الدرك الأسفل من النار»[4].

6 – عنه قال:« إن في جهنم جسرا له سبع قناطر على أوسطهن القضاء، فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل له: ماذا عليك من الدين؟ وتلا هذه الآية وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا[5]، قال فيقول: يا رب

---

[1]) سورة النبأ, (40).

[2] (3) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (2/46), والإمام الطبري في تفسيره (11/347), والحاكم في مستدركه (2/345), من طريق جعفر الجذري، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة.قال الحاكم: جعفر الجذري هذا هو ابن برقان، قد احتج به مسلم وهو صحيح على شرطه ولم يخرجاه".

[3] (4) هو أبو أمامة الباهلي صاحب رسول اللهِ ، ونزيل حمص.روى علما كثيرا, وحدث عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، وغيرهم, توفي أبو أمامة سنة ست وثمانين.وقيل: مات سنة إحدى وثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء (4/395), وتهذيب التهذيب (4/420).

[4] (5) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد, رقم(1420), والبخاري في التاريخ (1/228), رقم(2292), والطبراني في المعجم الأوسط, (6/455), رقم(5973), وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/1122), وقال:"يصلح للاستشهاد به".

[5] (1) سورة النساء, (42).

علي كـذا وكـذا، فيقـال لـه: اقض دينـك، فيقـول: مـا لي شيء، وما أدري ما أقضي؟ فيقال: خذوا من حسناته فما زال يؤخذ من حسناته حتى مـا تبقى لـه حسـنة حـتى إذا أفنيت حسناته قيل قـد فـنيت حسـناته، يقـال: خـذوا من سـيئات من يطلبـه، فركبـوا عليـه، فقـد بلغـني أن رجـالا يجيئون بأمثال الجبال من الحسنات، فما يزال يؤخـذ لمن يطلبهم حتى ما تبقى لهم حسنة»"[1].

7 - عن ابن عباس قَالَ:«الذنوب ثلاثة فذنب يغفر وذنب لا يغفر وذنب لَا يتْرك مِنْهُ شَيْء. فالذنب الذي يغفر, العَبد يُذنب الذَّنب فيستغفر الله فيغفر له, وَأما الذنب الَّذِي لَا يغْفر فالشرك, وأما الذنب الذي لا يترك منه شيء فمظلمة الرجل أَخَاهُ ثمَّ قَرَأَ ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا الْيَوْم تجزى كل نفس بِمَا كسبت لَا ظلم الْيَوْم إِن الله سريع الْحساب[2] يؤخذ للشاة الجماء من ذات القرون بِفضل نطحها»[3].

8 – وعَنه في قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ قال:«يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، وللمهدي الضال، والضعيف المستكبر»[4].

---

[1] (2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, (8/100), رقم(7493), وابن كثير في جامع المسانيد والسنن (8/525), رقم(10884), قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/354):"فيه كلثوم بن زياد، وبكر بن سهل الدمياطي، وكلاهما وثق، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح".

[2] (3) سورة غافر, (17).

[3] **(4) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (7/280), وعزاه إلى عبد بن حميد.**

[4] **(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم(15758), والإمام الطبري في تفسيره (21/287), والسيوطي في الدر المنثور (7/227).**

9- وعنه قال:«من الناس من يُقتل يوم القيامة, ويُقطع, ويُقتص منه»[1].

10 - وقَالَ :«تحشر الوحوش غدا فتجمع حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها كونِي ترابا فتموت»[2].

11 – وقال :«بلغ من الخصومة يوم القيامة حتى إن الروح ليخاصم الجسد. فيقول الروح: رب، هذا الذي عمل العمل فخلد عليه العذاب»[3].

12 - وعن أبي ليلى قال: خرج سلمان الفارسي فإذا علف دابته يتساقط من الآري[4]، فقال لخادمه: لولا أني أخاف القصاص لأوجعتك»[5].

---

[1](2) كشف المشكل من حديث الصحيحين, (3/402), من طريق إسماعيل بن أبي سعيد عن عكرمة, وإسماعيل هذا وثقه ابن حبان في الثقات. انظر الثقات لابن حبان (6/33).

[2](3) أورد هذا الأثر القرطبي في تفسيره (22/97) عن عكرمة عن ابن عباس, وقال:" وَهَذَا أَصَحُّ مِمَّا رَوَاهُ عَنْهُ عِكْرِمَةُ".

[3](4) أورده ابن كثير في تفسيره (7/98), والسيوطي في الدر المنثور (7/227).

[4]() الآري: بمد الهمزة وراء مكسورة وتشديد الياء: مربط الدواب أو معلفها. انظر الفائق في غريب الحديث والأثر, للزمخشري, (1/29).

[5]() أخرجه البخاري في الأدب, باب قصاص العبد, رقم(182), وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد, (ص:88).

المبحث الرابع
الآثار الواردة عن التابعين رحمهم الله في القنطرة

الآثار الواردة عن التابعين رحمهم الله تعالى على إثبات القنطرة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الآثار الصريحة الدالة على إثبات القنطرة, وهي:

1 - عن مقاتل بن سليمان -رحمه الله تعالى-
قَالَ:«أقسم الله ﴿إِن رَبك لبالمرصاد﴾[1] يعني الصراط وذلك أن جسر جهنم عليه سبع قناطر على كل قنطرة ملائكة قيام وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق يسألون الناس في أول قنطرة عن الإِيمان وفي الثانية يسألونهم عن الصلوات الخمس وفي الثالثة يسألونهم عن الزكاة وفي الرابعة يسألونهم عن شهر رمضان وفي الخامسة يسألونهم عن الحج وفي السادسة يسألونهم عن العمرة وفي السابعة يسألونهم عن المظالم فمن أتى بما سئل عنه كما أَمر جاز على الصراط والا حبس فذلك قوله: ﴿إِن رَبك لبالمرصاد﴾»[2].

2- وعنه قَالَ:" إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه:" سلام عليكم" بمعنى التحية" طبتم فادخلوها خالدين"[3].

3 - عمرو بن قيس[4] –رحمه الله تعالى- قَالَ: «بَلغني أن على جهنم ثلاث قناطر: قنطرة عليها الأمانة إِذا مروا

---

[1] (6) سورة الفجر, (14).

[2] (1) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (2/345), رقم(915), والسيوطي في الدر المنثور (8/509).

[3] (2) الجامع لأحكام القرآن, للقرطبي (18/319), وذكره البغوي في تفسيره (4/89) بنحوه ونسبه لقتادة.

بها تقول يا رب هذا أمين هذا خائن, وقنطرة عليها الرحم إذا مروا بها تقول يا رب هذا واصل يا رب هذا قاطع, وقنطرة عليها الرب»[1].

4- عَن أَيفع بن عبد الكلَاعِي[2] قال:«إن لجهنم سبع قناطر- قال: والصراط عليهن، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى، فيقول: وقفوهم إنهم مسؤلون قال: فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثاني حوسبوا على الأمانة كيف أدوها، وكيف خانوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا. قال: والرحم يومئذ مدلية إلى الهوى في جهنم تقول:اللهم من وصلني فصله ومن قطعني فاقطعه قال: وهي التي يقول الله عز وجل- ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾»[3].

---

[4](3) هو عمرو بن قيس الكوفي, الملائي, البزاز, الحافظ, من أولياء الله. قال عنه الثوري: عمرو بن قيس هو الذي أدبني, علمني قراءة القرآن والفرائض, وكنت أطلبه في سوق, فإن لم أجده, ففي بيته, إما يصلي, أو يقرأ في المصحف كأنه يبادر أمرا يفوته فإن لم أجده وجدته في مسجد قاعدا يبكي وأجده في المقبرة ينوح على نفسه. قال عنه أبو زرعة: ثقة, مأمون. كان من ثقات أهل الكوفة ومتقنيهم وعباد أهل بلده وقرائهم. توفي سنة 146 ه . انظر: سير أعلام النبلاء (6/359), وتهذيب التهذيب (8/93).

[1](4) ذكره الإمام الطبري في تفسيره (24/412), والسيوطي في الدر المنثور (8/508).

[2](7) هو أيفع بن عبد الكلاعي الشامي ذكره أَبو بكرٍ الإسماعيلي، وعبدان بن محمد في الصحابة. وقال أَبُو الفتح الأزدي الموصلي: أيفع بن عبد كلال له صحبة. وقال ابن الحجر في الاصابة :"تابعي صغير". انظر: أسد الغاية في معرفة الصحابة (1/343), والإصابة في تمييز الصحابة (1/396).

5 - عن سلام بن أبي الجعد[1] -رحمه الله تعالى- قال:«إن لجهنم ثلاث قناطر: قنطرة فِيهَا الْأَمَانَة وقنطرة فِيهَا الرَّحِم وقنطرة فِيهَا لرب تبَارك وَتَعَالَى وَهِي المرصاد لَا ينجو مِنْهَا إِلَّا ناجٍ فَمن نجا من ذَلِك لم ينج من هَذِه»[2].

القسم الثاني: الآثار في القصاص العامة, وهي كثيرة جدا:

1 - عن الأوزاعي[3] –رحمه الله تعالى- قال:«بلغني أنه يقال للعبد يوم القيامة: قم فخذ حقك من فلان, فيقول: ما لي قبله حق, فيقال: بلى, ذكرك يوم كذا وكذا بكذا وكذا»[4].

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم(19269), وابن كثير في تفسيره (8/398), والسيوطي في الدر المنثور (8/508).

(2) هو سالم ابن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي ثقة وكان يرسل كثيرا من الثالثة, وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة والنسائي مات سنة سبع أو ثمان وتسعين وقيل مائة أو بعد ذلك ولم يثبت أنه جاوز المائة. انظر: تقريب التهذيب (1/226).

(3) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن الْفرْيَابِيّ وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن سَلام بن أبي الْجَعْد (8/508).

(1) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعيّ. قال محمد بن سعد: قال: وولد سنة ثمان وثمانين، وكان خيرا، فاضلا، مأمونا، كثير العلم والحديث والفقه، حجة. وقال مالك عنه: الأوزاعي إمام يقتدى به.توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (7/107-133).

(2) شعب الإيمان, للبيهقي (12/125), رقم(6313), قال محققه:"إسناد رجاله ثقات", والأثر أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه للبيهقي 7/576.

2 - عن سفيان بن عيينة[1] –رحمه الله تعالى-:«أنه سئل عن قول النبي :«كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به»[2] فقال: «هذا من أجود الأحاديث وأحكمها, إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده, ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم, فيتحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم فيدخله بالصوم الجنة»[3].

وقد اعترض بعض أهل العلم على حمل حديث رسول الله على هذا المعنى, قال الحافظ القرطبي –رحمه الله-:"ظن بعض العلماء أن الصيام مختص بعامله موفراً له أجره, ولا يؤخذ منه شيء لمظلمة ظلمها, ممتمسكاً بقوله تعالى:«الصيام لي وأنا أجزي به», وأحاديث هذا الباب ترد قوله, وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياماً كان أوغيره"[4].

---

[1] (3) سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، حَافِظُ العَصْرِ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي.مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومائة. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز. قال عبد الرحمن بن مهدي: كان ابن عيينة من أعلم الناسِ بحديث الحجاز. انظر: سير أعلام النبلاء (7/414).

[2] (4) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الصوم, باب هل يقول إني صائم إذا شتم, 0ص:306), رقم(1904), ومسلم في صحيحه, كتاب الصيام, باب فضل الصيام, (ص:469), رقم(1151).

[3] (1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (5/204-205), رقم(3309), وإسناده ضعيف فيه المظفر بن سهل وهو مجهول.

[4] (2) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة, (2/659).

وقال في موضع آخر:"قد كنت استحسنته إلى أن فكرت في حديث المقاصة, فوجدت فيه ذكر الصوم في جملة الأعمال المذكورة للآخذ منها"[5].

3 - عن قتادة[2] –رحمه الله تعالى-:«الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر, وظلم لا يترك, وظلم يغفر, فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله , وأما الظلم الذي لا يترك فظلم الناس بعضهم بعضاً, فأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه»[3].

4 - عن الضحاك-رحمه الله تعالى- قال:«إذا كان يوم القيامة يأمر الرب بكرسيه فيوضع على النار فيستوي عليه ثم يقول: أنا الملك الديان وعزتي وجلالي لا يتجاوز اليوم ذو مظلمة
بظلامته ولو ضربة بيد»[4].

---

[5](3) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (3/212).

[2](4) هو قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخَطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه. وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ, وقال عنه الامام أحمد: كان قتادة أحفظ من أهل البصرة لم يسمع شيئا إلا حفظه وقرئ عليه. مات سنة سبع عشرة ومائة بواسط. انظر، سير أعلام النبلاء (5/269-282), وتهذيب التهذيب (8/355).

[3](5) أخرجه الامام عبد الرزاق في مصنفه رقم (20276), وقد ورد هذا الأثر عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم, أخرجه البويصري في إتحاف الخيرة 7/838, وقال الألباني: "حسن لشواهده". انظر: سلسلة الصحيحة (ص: 1927).

[4](1) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (24/375), والسيوطي في الدر المنثور (8/508).

5 - وقال سفيان الثورى[1] –رحمه الله تعالى-:«المرصاد القنطرة الثالثة من جهنم»[2].
6 - عن سفيان الثوري –رحمه الله تعالى- قال:"يؤمر بالرجل يوم القيامة إلى النار فيقال: هذا أكل عياله حسناته"[3]
7 - وعن قتادة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4] قال:«والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بعمله»[5].

---

[1] (2) هو شيخ الإسلام, إمام الحفاظ, سيد العلماء العاملين في زمانه, المجتهد, هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري, أبو عبد الله الكوفي, ولد سنة سبع وتسعين اتفاقا. وقال ابن عيينة: قال ما رأيت رجلا أعلم بالحلال، والحرام من سفيان الثوري. مات سنة إحدى وستين ومائة. انظر تهذيب التهذيب (4/110), وسير أعلام النبلاء (6/620-639).

[2] (3) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (24/412), والقرطبي في تفسيره (22/275).

[3] (4) أخرجه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل 1/93, وأبو نعيم في الحلية 7/81 وكلاهما من طريق الأشج عن حسن بن مالك عن بكر العابد به.

[4] (5) سورة الإسراء, (15).

[5] (6) أخرجه الامام الطبري في تفسيره (14/526), وأورده السيوطي في الدر المنثور (6/309), وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

المبحث الخامس
دلالة الإجماع على إثبات القنطرة

أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان باليوم الآخر, وما يجري فيه, ويدخل في ذلك الإجماع على وجوب الإيمان بالقنطرة.
وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني-رحمه الله-:"ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله من أهوال ذلك اليوم الحق"[1].
وقال الإمام ابن حزم[2] –رحمه الله-:"اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة, وعَلى تَكْفِير من أنكر ذَلِك"[3].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- عند بيانه لعقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة, وما أجمع عليه أهل السنة من العقائد:"ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي مما يكون بعد الموت..."

---

[1] (2) عقيدة السلف أصحاب الحديث, للإمام أبو عثمان الصابوني, (ص:60).

[2] (4) هو الإمام الأوحد البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد؛ علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -رضي الله عنه-, قال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار, توفي ابن حزم بقريته وهي على خليج البحر الأعظم في جمادى= =الأولى سنة سبع وخمسين. وقال غيره: مات ليومين بقيا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة, أرخه في سنة ست غير واحد. انظر: سير أعلام النبلاء (13/373), وتذكرة الحفاظ (3/227-231).

[3] (1) الفصل في الملل والأهواء والنحل, لابن الحزم (4/66).

فذكر فتنة القبر والقيامة ونصب الموازين, ونشر الدواوين, وحساب الخلائق, والحوض والصراط ثم قال:"فإذا عبروا عليه (يعني الصراط)، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار, فيقتص لبعضهم من بعض, فإذا هذبوا ونقوا, أذن لهم بدخول الجنة"[(1)].

وذكر الإمام البربهاري[(2)]-رحمه الله- الإيمان بالقصاص عموماً ويدخل فيه القصاص في القنطرة, عند سياقه لعقيدة أهل السنة والجماعة, فقال:"والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم، بني آدم والسباع والهوام حتى للذرة من الذرة، حتى يأخذ الله لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة وأهل الجنة بعضهم من بعض وأهل النار بعضهم من بعض"[(3)].

فالإيمان بالقنطرة هو من الإيمان باليوم الآخر وقد اتفق على الإيمان به جميع المسلمين سنيهم وبدعيهم, ولم ينكره إلا شواذ الناس ممن تغيرت فطرتهم, فاجتالتهم الشياطين عن طريق الهداية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"المسلمون سنيهم وبدعيهم متفقون على وجوب الإيمان بالله...واليوم الآخر"[(4)].

فالإيمان باليوم الآخر لم ينكره أحد من المسلمين ولهذا نص على وجوب الإيمان به سائر من صنف في اعتقاد أهل السنة, سواءً كان نصاً على البعث, أو نصاً على

---

[1](1) مجموع الفتاوى, لابن تيمية (3/147).

[2](2) هو شيخ الحنابلة القدوة الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه. كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم.، ومن عبارة الشيخ البربهاري، قال: احذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغار البدع، تعود كبارا. تُوُفِّيَ مستتراً فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. انظر سير أعلام النبلاء (11/395).

[3](3) شرح السنة, للبربهاري, (ص:175).

[4](1) مجموع الفتاوى, (7/357).

أحداث يوم القيامة مثل الحساب والميزان والصراط والقنطرة والجنة والنار وغير ذلك من أهوال يوم القيامة, فإن الإيمان بها يتضمن الإيمان باليوم الآخر.

قال الإمام الطحاوي[1] –رحمه الله-:"والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به"[2].

وقد صح قي إثبات القنطرة الخبر عن رسول الله □.

ذكر مستند الإجماع على وجوب الإيمان القنطرة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله □ قال:«يخلص المُؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لِبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وَنقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزِله كان في الدنيا»[3].

---

[1](2) الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر. مولده: في سنة تسع وثلاثين ومائتين. يقول الذهبي: من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم، وسعة معارفه. توفي رحمه الله تعالى سنة 321ه. انظر: سير أعلام النبلاء (363-11/360).

[2](3) متن الطحاوية بتعليق شيخ الألباني (ص:64).

[3](3) تقدم تخريجه (ص:43).

الفصل الثاني: موضع القنطرة وعدد القناطر
وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: موضع القنطرة .**
- **المبحث الثاني: عدد القناطر .**

المبحث الأول
موضع القنطرة

اتفق أهل العلم على أن القنطرة تكون بعد الصراط وقبل دخول الجنة, واختلفوا في موضعها هل هي من تتمة الصراط أو هي صراط مستقل بين الصراط الأول المضروب على متن جهنم والجنة على قولين:

القول الأول: أن القنطرة هي جزء من الصراط وتتمة له, فهي طرفه الذي يلي الجنة وهو قول السيوطي, ومال إليه ابن حجر في الفتح واختاره الكرمي[1], وأحمد بن محمد السحيمي[2], والشيخ صالح آل الشيخ.

قال الامام السيوطي–رحمه الله- عند وروده لأقوال أهل العلم في القنطرة:"والأول أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة, وهو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط"[3].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله تعالى-:"القنطرة والصراط متقاربة, لأن الصراط هو

---

[1]() هو مرعى بن يوسف بن أَبى بكر بن أَحمد بن أبى بكر بن يوسف بن أحمد الكرمى نسبة لطوركرم قرية بِقرب نابلس ثم المقدسى أحد اكابر علماء الحنابلة بمصر كان اماما محدثا فقيها ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة. صاحب المؤلفات الكثيرة الحافلة منها: غاية المنتهى، ودليل الطالب. توفي سنة 1033ه. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر, لمحمد المحبي الحموي (4/358), والأعلام للزركلي (7/203).

[2]() هو أحمد بن محمد بن علي الحسني القلعاوي، المعروف بالسحيمي: فقيه مصري، من أعيان الشافعية وصلحائهم. نسبته إلى قلعة الجبل. صاحب الكتب الكثيرة, من كتبه: "العطايا الربانية على المواهب اللدنيّة للقسطلاني" وتاج البيان لألفاظ القرآن", وغيرهما كثير. توفي سنة 1178ه. انظر:الأعلام للزركلي (1/243).

[3]() البدور السافرة في علوم الآخرة (ص:370).

الطريق الواسع في اللغة والقنطرة كذلك, لكن صفتها أنها مرتفعة, يعني مرتفع من المكان واصل بين تلك العرصات ودخول الجنة"[1].

ومما استدلوا به على أن القنطرة هي من تتمة الصراط ما يأتي:

1 - قول النبي ﷺ:«الجنة بعد الصراط»[2].

2 – لفظة البيهقي في الشعب لحديث أبي سـعيد ﷺ، عن النبي ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾, قَالَ:«يخلص المؤمنون على الصــراط فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضـهم من بعض مظالم كـانت بينهم في الـدنيا، حـتى إذا هـذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[3].

وجـه الدلالـة على أن القنطـرة من تتمـة الصـراط: أن ظاهر هذا اللفظ يـدل على أن النـاس بعـد خلوصـهم من النــار, وهم على الصــراط, يحبســون على قنطــرة بين الجنة والنار, فلا يلزم من مجاوزة النار انتهاء الصراط.

3- عن معاذ بن أنس الجهني[4] ﷺ عن النـبي ﷺ قـال:«من حمى مؤمنـا من منـافق يعيبـه بعث اللـه تبـارك وتعـالى

---

[1] () اللآلئ البهية شرح العقيدة الواسطية, (2/264).

[2] () أورده الإمام القرطبي في التذكرة, (ص:768), والعيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (12/285), و عزوه للدارقطني ولم أجده في سننه, وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم(366), وقال:"منكر جداً".

[3] () شعب الإيمان, للبيهقي, (1/523), رقم(339).

[4] () هو معاذ بن أنس الجهني والد سهل. قال أبو سعيد بن يونس: صحابي كان بمصر والشام قد ذكر فيهما. وقال ابن سعد:" صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَ، وَسَكَنَ مِصْرَ، وَهُوَ أَبُو سهل بن معاذ، الذي روى عنه زبان بن فائد وغيره من الشاميين والمصريين". انظر: أسد الغابة (5/186),والطبقات الكبرى لابن سعد (7/502).

ملكا يحمي لحمـه يـوم القيامـة من نـار جهنم، ومن بغى مؤمنا بشيء
يريد به شينه[1] حبسه الله تعالى على جسـر جهنم حـتى يخرج مما قال»[2].
وجه الدلالة: دل الحـديث أن الحبس يـوم القيامـة يكـون على جسر جهنم.
4- حديث عائشة –رضي الله عنهـا-:«يـا رسـول اللـه قـد علمنا النـور والظلمـة, فمـا الصـراط؟ قـال:«طريـق بين الجنة والنار, يجاز الناس عليها, وهى مثـل حـد الموسـى, والملائكة صـافون يمينـا وشـمالا يتخطفـونهم بـالكلاليب, مثـل شـوك السـعدان, وهم يقولـون:رب سـلم سـلم, وأفئدتهم هواء, فمن شـاء اللـه سـلمه, ومن شـاء كبكبـه فيها»[3].

---

[1]() الشين وقد شانه يشينه, وهو: العَيبُ. انظر: النهاية, لابن الأثير, (2/521).

[2]() أخرجه الإمام أحمد في مسنده (24/406), رقم(15649), وأبو داود في سننه رقم(4986), والبيهقي في الشعب رقم(7225), والبغوي في شرح السنة رقم(3527), إسناده ضعيف، إسماعيل بن يحيى المعافري، روى عنه عبد الله بن سليمان: وهو الطويل المصري، ويحيى بن أيوب: وهو الغافقي المصري، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال الذهبي في الميزان (1/254): "فيه جهالة"، وذكر هذا الحديث من غرائبه، ويحيى بن أيوب، مختلف فيه، حسن الحديث، إلا أن له غرائب ومناكير يتجنبها أصحاب الصحاح، وينقون حديثه, وعبد الله بن سليمان، روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وبقية رجاله ثقات. أحمد بن الحجاج: هو البكري المروزي، ويعمر بن بشر: هو الخراساني، وعبد الله: هو ابن المبارك. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (2/125). .

[3]() رواه الطبراني في العجم الكبير (8/15), والآجوري في الشريعة (3/1337), قال محقق كتاب الشريعة والحديث ضعيف لأن فيه القاسم بن عبد الرحمن: صوق يرسل كثيراً, و علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف, وكذلك عثمان بن أبي العاتكة

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي أخبر بأن الصراط يكون بين الجنة والنار, كما أخبر عن القنطرة بأنها تكون بين الجنة والنار, فدل ذلك أنها طرف الصراط وتتمة له.

القول الثاني: أنها صراط مستقل بين الصراط الأول المضروب على متن جهنم والجنة, وهذه القنطرة خاصة للمؤمنين. وهذا القول هو اختيار مقاتل, وابن كثير والقرطبي,والعيني[1], والثعالبي والقسطلاني وغيرهم.

قَالَ مُقَاتِلٌ –رحمه الله تعالى-:إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه:"سلام عليكم" بمعنى التحية" طبتم فادخلوها خالدين**"**[2].

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار: اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حسبوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من

ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد.

[1]() هو أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى، بدر الدين العينى. ولد فى شهر رمضان فى السادس والعشرين منه، سنة اثنتين وستين وسبعمائة، فى درب كيحن بعين تاب، حفظ القرآن منذ الصغر على يد محمد بن عبيد الله، ولازم الشيخ محمد الراعى فى الصرف، والعربية، والمنطق. له مؤلفات كثيرة، منها: البناية فى شرح الهداية، وفرائد القلائد, وغيرها. توفى، رحمه الله، سنة (855هـ). انظر: وسير أعلام النبلاء (5/255) ، والأعلام للزركلى (7/162).

[2]**() أورده القرطبي في تفسيره (15/286), والشوكاني في فتح القدير (4/548).**

هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا االصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه"[1].

وقال في موضع آخر بعد ذكره لأحوال الناس في الصراط:"ويخلص المؤمنون على درجاتهم في تفاوتهم في النجاة ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا"[2].

وقال:"معنى يخلص المؤمنون من النار أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال"[3].

وقال الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر كلام القرطبي ورأيه في هذه القنطرة من أنها صراط ثان, قال معلقاً عليه:"قلت: هذه القنطرة تكون بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، ولا نعلمه نحن. والله أعلم"[4].

وقال العيني –رحمه الله تعالى-:"هي قنظرة كائنة بَين الْجنَّة والصراط الَّذِي على متن النَّار، وَلِهَذَا سمي بالصراط الثَّانِي"[5].

وقال:"فإن الحديث مصرح بأن تلك القنطرة بين الجنة والنار, وَقَوله «بين», يدل على أنها قنطرة مستقلة غير متصلة بالصراط، وهذا هو المعنى قطعا"[6].

وقال القسطلاني–رحمه الله تعالى-:"واعلم أن فى الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من خلص من الصراط الأكبر حبسوا على

---

[1]() التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة, (767).

[2]() المصدر نفسه, (768).

[3]() المصدر السابق, (768).

[4]() البداية والنهاية, (20/101).

[5]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/285).

[6]() المصدر السابق, (12/285).

صراط آخر لهم، ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم"[1].

والثعالبي –رحمه الله تعالى- عقد باباً في كتابه "العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآحرة" فقال:" باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار"[2].

وهذا القول مال إليه الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله تعالى- حيث قال:"...بعدما يتجاوزون الصراط وقبل أن يدخلوا الجنة يوقفون ويقتص لبعضهم من بعض"[3].

وهناك من توقف ولم يترجح لديه أحد الأمرين كابن حجر, والكرماني[4], وابن عثيمين.

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"واختلف في القنطرة المذكورة فقيل هي من تتمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل إنهما صراطان"[5] فذكر القولين ولم يرجح أحدهما.

وقال الكرماني –رحمه الله تعالى-:"فإن قلت: هذا يشعر بأن في القيامة جسرين، هذا والآخر على متن جهنم المشهور بالصراط. قلت: لا محذور فيه، ولئن ثبت

1() المواهب اللدنية بالمنح المحمدية, للقسطلاني (3/668).

2() العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآحرة, (2/32).

3() شرح السنة للبربهاري, صالح الفوزان (ص:175).

4() هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني: عالم بالحديث. أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، قال ابن حجي: تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة. وأقام مدة بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري) خمسة وعشرون جزءا صغيرا، قال ابن قاضي شهبة: فيه أوهام وتكرار كثير ولا سيما في ضبط أسماء الرواة. وله مصنفات كثيرة منها: النقود والردود في الأصول, و ضمائر القرآن وغيرها. توفي سنة 786ه. انظر: الأعلام للزركلي (7/153).

5() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/399).

بالدليل أنه واحد فلا بد من تأويله: أن هذه القنطرة من تتمة الصراط وذنابته، وَنحو ذلك"[1].

وقال السفاريني[2]–رحمه الله تعالى-"واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: إنها من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل إنها صراط آخر"[3] فذكر القولين ولم يرجح أحدهما على الآخر.

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى:"واختلف العلماء في هذه القنطرة, هل هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أوهي جسر مستقل؟!

والصواب في هذا أن نقول: الله أعلم, وليس يعنينا شأنها, الذي يعنينا أن الناس يوقفون عليها"[4].

والراجح فيما يظهر: أن القنطرة صراط مستقل وليس طرف الصراط العظيم الذي يعبر عليه جميع البشر وذلك لما يأتي:

1. "أن الحديث مصرح بأن تلك القنطرة بين الجنة وَالنار, وَقَوله «بين»، يدل على أنها قنطرة مستقلة غير متصلة بالصراط"[5].

---

[1]() الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري, (6/89).

[2]() هو الإمام محدث الشام وأثريه مسند عصره وشامته أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي الزاهد الصوفي، كان ناصراً للسنة قامعاً للبدعة قوالاً بالحق مقبلاً على شأنه ملازماً لنشر علوم الحديث محباً في أهله, ولد في قرية سفارين من أعمال نابلس سنة 1114 ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق وأخذ عن أعيانها, وله مصنفات كثيرة منها:" الدرر المصنوعات في أحاديث الموضوعات, ولوامع الأنوار البهية بشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية, وغيرهما. توفي بسفارين سنة 1188ه. انظر: الأعلام للزركلي (6/240).

[3]() لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية, (2/190).

[4]() شرح العقيدة الواسطية (ص:520).

[5]() انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري, للعيني (12/285).

2. "إن قول النبي : »حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار« يدل على أن هذه القنطرة منفصلة عن جهنم, لأن الصراط فوق النار, ويمتد إلى إنتهائها, ثم تبدأ بعد ذلك القنطرة التي هي بين الجنة والنار, كما هو ظاهر الحديث, وإذا كانت منفصلة وهي صراط آخر فكيف وصولها والصراط قد انتهى؟ ولم أجد جواباً ثابتاً, ولعله والله أعلم مشوا على شيء لا نعلمه, وأن هناك قناطر, ولكن هذه القنطرة هي التي يقف عليها المؤمنون"[1].
3. أنه قد جاء في بعض روايات حديث أبي سعيد «إذا خلص المؤمنون من الصراط، حبسوا على صراط بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض بمظالم كانت بينهم في الدنيا»[2] فهذه الرواية إن صحت فهي تدل دلالة صريحة قاطعة على أن هناك صراطان.
4. وقد دلت الأدلة على أن المقصود من وضع الصراط العظيم على متن جهنم غير المقصود من وضع القنطرة, إذ الصراط المقصود من وضعه ليسقط عنه من استحق النار.
قال المرداوي[3] –رحمه الله تعالى-:"والصراط جسر ممدود على جهنم فيرده الأولون والآخرون,

---

[1] () الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار, للدكتور غالب عواجي, (3/1331).
[2] () أورده الثعالبي في تفسيره عن الداوديّ: عن النبيّ , دون ذكر الإسناد, (3/401).
[3] () أحمد بن عبد الله المرداوي. وهس نسبة إلى قرية (بردا), قرب مدينة نابلس في فلسطين, وهذه القرية خرج منها علماء, وفقهاء ومحدثون, وكلهم من الحنابلة. وكان له ميل إلى التفويض في الأسماء والصفات, وهذه المسلك سلكه متأخرو الحنابلة. توفي سنة 1236ه.

فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار"[1], وأما القنطرة المظالم فليست كذلك وإنما هي لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

5. إن القنطرة قد إختصت بمزايا زائدة عن الصراط, ومن أهمها:

أ - أنه لايسقط في النار أحد منهم.

ب - أنها وضعت لاقتصاص مظالم خاصة بين أهل الجنة.

ج - أن ذلك الاقتصاص فيما بينهم لا يستنفذ حسنات أحد منهم[2].

أما استدلال الامام السيوطي بأحاديث القناطر على أن القنطرة هي طرف الصراط وتتمة له فيجاب عنه: أن هذه الآثار المروية عن السلف في القناطر إن صحت فإنما هي غير القنطرة المذكورة في حديث أبي سعيد التي تكون بين الجنة والنار, وذلك أن حديث أبي سعيد الخدري مُصَرِح بِأن تِلْكَ القنطرة بَين الْجنَّة وَالنَّار, وأنها لا تكون إلا بعد أن يخلصوا ويسلموا وينجوا المؤمنون من النار, أما أحاديث القناطر فإن صحت فإنها دالة على قناطر أخرى التي تكون على متن جهنم كما في حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي قال:«إن في جهنم جسرا له سبع قناطر»[3], وفي أثر عن ابن عباس قال:«إن على جهنم سبع قناطر»[4], فهذا يدل دلالة صريحة أن هذه القناطر تكون على جسر جهنم, وسيأتي الكلام على أحاديث القناطر في المبحث الذي يأتي.

---

[1] () شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية, (ص:140).

[2] () انظر الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار, للشيخ غالب عواجي (3/1332), والحوض والصراط والميزان في القرآن الكريم والسنة النبوية, لمراد الجنابي, (ص: 187-189).

[3] () سيأتي تخريجه, (ص:84).

[4] () سيأتي تخريجه, (ص:85).

أما استدلالهم بحديث «الجنة بعد الصراط» فقد أجاب عنه القرطبي بجوابين, فقال:"ولعله أراد بعد القنطرة بدليل حديث البخاري والله أعلم.
أو يكون ذلك في حق من دخل النار وخرج بالشفاعة فهؤلاء لا يحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة"[1].
وقال العيني –رحمه الله تعالى-:"فَإِن قلت: ذكر الدارقطني[2] حديثا فيه: أَن «الجنة بعد الصراط»، وهذا يعارض حديث القنطرة؟ قلت: لا، لأن المراد بعد الصراط الثاني الذي هو القنطرة"[3].
ويقول الشيخ غالب عواجي–حفظه الله تعالى-:"إن ما يذكره بعض العلماء من أن الجنة تكون بعد الصراط مباشرة, فيها إيهام وإغفال لذكر القنطرة, ولا يصدق ذلك إلا على الخارجين من النار, لأنهم إذا خرجوا منها فإنهم لا يحبسون على القنطرة لعدم الداعي لذلك"[4].
وأما استدلالهم بلفظة البيهقي في الشعب:«يخلص المؤمنون على الصراط فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار»فالجواب عنها بأن هذا اللفظ شاذ يخالف لفظة الصحيح الثابتة لحديث أبي سعيد الخدري عند البخاري وغيره.
وأما حديث معاذ بن أنيس –رضي الله عنه-:« ومن بغى مؤمنا بشيء يريد به شينه حبسه الله تعالى على جسر

---

[1] () التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص: 768).
[2] () هو الإمام الحافظ المجود, شيخ الإسلام, علم الجهابذة, أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي, المقرئ المحدث, من أهل محلة دار القطن ببغداد. ولد سنة ست وثلاثمائة, هو أخبر بذلك. وكان من بحور العلم, ومن أئمة الدنيا. مات ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (12/415)
[3] () عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/286).
[4] () الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار, للشيخ غالب عواجي, (3/1338).

جهنم حتى يخرج مما قال» وحديث عائشة رضي الله عنها:« فما الصراط يا رسول الله؟ قال:"طريق بين الجنة والنار, يجاز الناس عليها», فالجواب: أنهما لا يصحان.

قال الشيخ محمد خليل هـراس:"ولم أجـد في السـنة مـا يثبت أن الصـراط بين الجنـة والنـار, والـذي ثبت أنـه بين ظهراني جهنم"[1].

---

[1] شرح العقيدة الواسطية, (ص:210).

المبحث الثاني
عدد القناطر

لقد ظهر مما سبق أن الأدلة كلها تدل على وجود قنطرة يعبر عليها المؤمنون إلى الجنة, وأنها قنطرة واحدة, غير أن بعض العلماء يذكر أنها قناطر متعددة, ويجعلونها متصلة بالجسر, بما فيه هذه القنطرة.

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1] يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، يكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة"[2].

وقال الإمام مكي بن أبي طالب القيرواني[3]–رحمه الله تعالى-:"ويروى أن على جسر جهنم سبع قناطر محابس، بين كل قنطرتين سبعون عاما، وعرض الجسر كحد السيف مدحضة مزلقة، في الرقة مثل الشعرة، فيسأل الناس عند أول قنطرة عن الإيمان، فإن جاء به تاماً جاز إلى القنطرة الثانية، ثم يسأل عن الصلوات الخمس، فإن جاء بها تامة جاز إلى القنطرة الثالثة، ثم يسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابعة، ثم يسأل عن صيام رمضان فإن جاء به تاما جاز إلى الخامسة، ثم يسأل عن الحج، ثم يسأل عن صلة الرحم"[4].

---

[1] () سورة الفجر, (14).

[2] () جامع البيان في تأويل آي القرآن, (24/411).

[3] () هو العلامة المقرىء، أبو محمد، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، القيسي القيرواني، ثم القرطبي، صاحب التصانيف. ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاث مائة. وكان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم, توفي في المحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مائة. انظر سير أعلام النبلاء (13/232).

[4] () الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره, (12/8250).

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"روي عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر، أما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن أجاز بها مخلصاً، والإخلاص قول وعمل جاز.
ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز.
ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تاماً جاز.
ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز.
ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامتين جاز.
ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامين جاز.
ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس"[1].
وقال الإمام السفاريني -رحمه الله تعالى-:"وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر يسأل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف"[2].
فمن الآثار التي تدل على أن على جسر جهنم سبع قناطر ما يأتي:
1 - عن أبي أمامة الباهلي قَالَ: قال رسول الله : «إن في جهنم جسرا له سبع قناطر على أوسطهن القضاء، فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل له: ماذا عليك من الدين؟ وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾[3]، قال فيقول: يا رب علي كذا

---

[1]() التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:329).
[2]() لوامع الأنوار البهية, (2/191).
[3]() سورة النساء, (42).

وكذا، فيقال له: اقض دينك، فيقول: ما لي شيء، وما أدري ما أقضي؟ فيقال: خذوا من حسناته فما زال يؤخذ من حسناته حتى ما تبقى له حسنة حتى إذا أفنيت حسناته قيل قد فنيت حسناته، يقال: خذوا من سيئات من يطلبه، فركبوا عليه، فقد بلغني أن رجالا يجيئون بأمثال الجبال من الحسنات، فما يزال يؤخذ لمن يطلبهم حتى ما تبقى لهم حسنة»[1].

2 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:«إن على جهنم سبع قناطر، يسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان، فإن جاء به تاما جاز إلى القنطرة الثانية، ثم يسأل عن الصلاة، فإن جاء بها جاز إلى الثالثة، ثم يسأل عن الزكاة، فإن جاء بها جاز إلى الرابعة. ثم يسأل عن صيام شهر رمضان، فإن جاء به جاز إلى الخامسة. ثم يسأل عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما جاز إلى السادسة. ثم يسأل عن صلة الرحم، فإن جاء بها جاز إلى السابعة. ثم يسأل عن المظالم، وينادي مناد: ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيقتص للناس منه، يقتص له من الناس»[2].

---

[1](4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, (8/100), رقم(7493), وابن كثير في جامع المسانيد والسنن (8/525), رقم(10884), قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/354):" فيه كلثوم بن زياد، وبكر بن سهل الدمياطي، وكلاهما وثق، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح".

[2](1) أورده الإمام القرطبي في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس, (22/274), وذكره بنحوه السمعاني في تفسيره (6/221), والواحدي في الوسيط (4/483), وأخرجه بنحوه البيهقي في الأسماء والصفات (915), وأورده البغوي في تفسيره (5/201), عن مقسم عن ابن عباس, ومقسم أبو القاسم، مَولَى ابْن عَبّاس, قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل, (8/414): وقد سئل عن رواية مقسم عن ابن عباس "فقال: صالح الحديث لا بأس به".

3 - عَن أَيفع بن عبد الكلَاعِي قَالَ:«إِن لِجَهَنَّم سبع قناطر والصراط عَلَيْهِنَّ فَيحْبس الْخَلَائق عِنْد القنطرة الأولى فَيَقُول: قفوهم إِنَّهُم مسؤلون فيحاسبون على الصَّلَاة ويسألون عَنْهَا فَيهْلك فِيهَا من هلك وينجو من نجا فَإِذا بلغُوا القنطرة الثَّانِيَة حوسبوا على الْأَمَانَة كَيفَ أدوها وَكَيف خانوها فَيهْلك من هلك ينجو من نجا فَإِذا بلغُوا القنطرة الثَّالِثَة سئلوا عَن الرَّحِم كَيفَ وصلوها وَكَيف قطعوها فَيهْلك من هلك وينجو من نجا وَالرحم يَوْمئِذٍ متدلية إِلَى الْهوى فِي جَهَنَّم تَقول: اللَّهُمَّ من وصلني فَصله وَمن قطعني فاقطعه»[1].

4 – عن مقاتل بن سليمان–رحمه الله تعالى- قال:«أن جسر جهنم عليه سبع قناطر على كل قنطرة ملائكة قيام وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق يسألون الناس في أول قنطرة عن الإيمان وفي الثانية يسألونهم عن الصلوات الخمس وفي الثالثة يسألونهم عن الزكاة وفي الرابعة يسألونهم عن شهر رمضان وفي الخامسة يسألونهم عن الحج وفي السادسة يسألونهم عن العمرة وفي السّابعة يسألونهم عن المظالم فمن أتى بما سئل عنه كما أمر جاز على الصراط والا حبس فذلك قَوْله: إِن رَبك لبالمرصاد»[2].

وهناك آثار تدل على أن على جسر جهنم ثلاث قناطر من ذلك ما يأتي:

[1] (2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم(19269), وابن كثير في تفسيره (8/398), والسيوطي في الدر المنثور (8/508), والخبر في الحلية لأبي نعيم (5/131), والسنة للإمام أحمد (2/525), رقم(1208).

[2] (1) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (2/345), رقم(915), والسيوطي في الدر المنثور (8/509).

1 - عن ابن مسعود قال: «من وَرَاء الصِّرَاط جسور: جسر عَلَيْهِ الْأَمَانَة وجسر عَلَيْهِ الرَّحِم وجسر عَلَيْهِ الرب عز وجل»[1].

2 - عن عمرو بن قيس –رحمه الله تعالى- قَالَ: «بلغني أن على جهنم ثلاث قناطر: قنطرة عليها الأمانة إذا مروا بها تقول يا رب هذا أمين هَذَا خائن, وقنطرة عَلَيْهَا الرَّحِم إِذا مروا بهَا تقول يا رب هذا واصل يا رب هذا قاطع, وقنطرة عليها الرب»[2].

3 - وقال سفيان الثورى–رحمه الله تعالى-:«المرصاد القنطرة الثالثة من جهنم»[3].

4 – وعنه -رحمه الله تعالى- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال:"عليها ثلاث قناطر, قنطرة فيها الرحمة، وقنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الربّ تبارك وتعالى"[4].

5 - عَن سَلام بن أبي الْجَعْد قَالَ:«إِن لِجَهَنَّم ثَلَاث قناطر: قنطرة فِيهَا الْأَمَانَة وقنطرة فِيهَا الرَّحِم وقنطرة

---

[1] (2) أخرجه الحاكم في مستدركه (2/569), رقم(3930), وقال:"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ", والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود رضي الله عنه (2/344), رقم(914), قال البيهقي:"هذا مرسل بين سالم بن أبي الجعد وابن مسعود, ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله غير مرفوع إلى عبد الله", وقال في العلو للعلي الغفار رقم(337):" رَوَاهُ الْعَسَّال بِإِسْنَاد صَحِيح" وأورد هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور (8/508), والشوكاني في فتح القدير (5/593).

[2] (3) ذكره الإمام الطبري في تفسيره (24/412), والسيوطي في الدر المنثور (8/508), وعزاه للطبري.

[3] (4) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (24/412), والقرطبي في تفسيره (22/275).

[4] (5) رواه الطبري في تفسيره (24/412) من طريق مهران، عن سفيان, والقرطبي في تفسيره (19/177).

فِيهَا لرب تبَارك وَتَعَالَى وَهِي المرصاد لَا ينجو مِنْهَا إِلَّا ناجٍ فَمن نجا من ذَلِك لم ينج من هَذِه»[1].
وورد أثر يدل أن على جهنم أربعة جسور:
عن كعب الأحبار –رحمه الله تعالى- أنه قال:"في جهنم أربعة جسور، أولها جسر يجلس عليه كل قاطع رحم، والثاني من كان عليه دين حتى يقضي دينه، والثالث فأصحاب الغلول، والرابع عليه الجبارون، والرحمة تقول: أي رب سلم سلم"[2].
والذي يظهر والله تعالى أعلم تعدد القناطر على جسر جهنم, وهي غير القنطرة الشهيرة التي أعدها الله للمؤمنين خاصة. وذلك لصحة أثري ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.
فالكلام في هذه المسألة الغيبية يجب المصير فيها إلى نص أو إجماع أو قول صحابي.
فالقول بتعدد القناطر معتمد على نص عند من يحسن الحديثين بطرقهما, أو من يضعفهما ويعتمد على أقاويل الصحابة رضي الله عنهم, ولا شك أن هذه الآثار عن الصحابة لها حكم الرفع كما هو مقرر في علم الحديث وذلك أن مثل هذه الأخبار عن الأمور الغيبية لا تقال بالرأي, وبالله التوفيق.

---

[1] (1) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن الْفرْيَابِيّ وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن سَلام بن أبي الْجَعْد (8/508), والبيهقي في الأسماء والصفات (2/344), رقم (914), قال البيهقي:"هذا موقوف على عبد الله, ومرسل بينه وبين سالم بن أبي الجعد، ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله غير مرفوع إلى عبد الله", وقال الألباني في مختصر العلو (ص:131):" رواه العسال بإسناد صحيح."

[2] (2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (5/372).

الفصل الثالث: المباحث العقدية المتعلقة بما يجري عند القنطرة 0

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: المقاصّة بين الخلق قبل القنطرة .
- المبحث الثاني: المستثنى من القنطرة الخاصّة بالمؤمنين .
- المبحث الثالث: ما جاء في المقاصّة .
- المبحث الرابع: الحكمة من تأخير حساب أهل القنطرة.
- المبحث الخامس: مدة المكوث في القنطرة.
- المبحث السادس: عموم الحبس في القنطرة للجن والإنس .
- المبحث السابع: العلاقة بين أصحاب الأعراف

وأهل القنطرة .

تمهيد

اتّفق الْمُسلمُونَ وسائر أهل الملل على أَن الله تَعَالَى عدل قَائِم بِالْقِسْطِ لَا يظلم شَيْئا بل هُوَ منزه عَن الظُّلم .

والظُّلم هو وضع الشَّيْء فِي غير مَوْضِعه, وَالْعدْل وضع كل شَيْء فِي مَوْضِعه, فالله سُبْحَانَهُ حكم عدل يضع الْأَشْيَاء موَاضعهَا وَلَايضع شَيْئا إِلَّا فِي مَوْضِعه الَّذِي يُنَاسِبه وتقتضيه الْحِكْمَة والْعدْل.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فكل مَا يَفْعَله الرب فَهُوَ عدل وَأَنه لَا يضع الْأَشْيَاء فِي غير موضعها فَلَا يظلم مِثْقَال ذرة وَلَا يجزي أحدا إِلَّا بِذَنبِهِ, وَلَا يخَاف أحد ظلما وَلَا هضما, لَا يهضم من حَسَنَاته وَلَا يظلم فيزاد عَلَيْهِ فِي سيئاته, لَا من سيئات غَيره وَلَا من غَيرهَا بل من يعْمل مِثْقَال ذرة خيرا يره, وَمن يعْمل مِثْقَال ذرة شرا يره, وَأَنه لَا تزر وَازِرَة وزر أُخْرَى وَأَن لَيْسَ للْإنْسَان إِلَّا مَا سعى"[(1)].

وقال الإمام الترمذي[(2)] –رحمه الله تعالى-:"فإن الله وضع العدل بين خلقه، ثم لم يرض من الظلم بقليل، ولا كثير، ولامثقال ذرة، ولا حبة خردل، وليس بتارك أحدا من خلقه يوم القيامة حتى يقضي له"[(3)].

---

[1]() جامع الرسائل, (1/125).

[2]() هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك وقيل بن السكن السلمي أبو عيسى الترمذي أحد الأئمة طاف البلاد وسمع خلقا من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين, كان الترمذي أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف الجامع والتواريخ والعلل تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ. توفي سنة 279ه. انظر تهذيب التهذيب, (9/388).

[3]() المنهيات, (ص:174).

فليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم، لأن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى، فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنك، فإذا كان الذنب بينك وبين العباد، فلا حيلة لك سوى رضا الخصم، فينبغي للظالم أن يتوب عن الظلم، ويتحلل من المظلوم في الدنيا، فإذا لم يقدر عليه، فينبغي أن يستغفر، ويدعو له، فإنه يرجى أنه يحلله بذلك[1].

فلا تعجل على أحد بظلم   فإن الظلم مرتعه وخيم[2]

"والظلم نوعان: ظلم يتعلق بحق الله عز وجلّ، وظلم يتعلق بحق العباد، فأعظم الظلم هو المتعلق بحق الله تعالى والإشراك به، فإن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال:«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»[3] ويليه الظلم في الكبائر، ثم الظلم في الصغائر.

أما في حقوق عباد الله فالظلم يدور على ثلاثة أشياء، بينها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع، فقال:«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[4].

---

[1] () تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين, للسمرقندي, (ص:377).

[2] () أورده البيهقي في الشعب, عن يونس بن إبراهيم أنه أنشد لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبد الله, (9/551).

[3] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الأدب, باب قتل الولد خشية أن يأكل معه, (ص:1050), رقم(6001), ومسلم, كتاب الإيمان, باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب, (ص:53), رقم(86).

[4] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب العلم, باب كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة والعلم كي لا ينفروا, (ص:17), رقم(69), ومسلم, كتاب القسامة والمحاربين, باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال, (ص:743), رقم(1679).

الظلم في النفس هو الظلم في الدماء، بأن يعتدي الإنسان على غيره، بسفك الدماء أو الجروح أو ما أشبه ذلك، والظلم في الأموال بأن يعتدي الإنسان ويظلم غيره في الأموال، إما بعدم بذل الواجب، وإما بإتيان محرم، وإما بأن يمتنع من واجب عليه، وإما بأن يفعل شيئاً محرماً في مال غيره. وأما الظلم في الأعراض فيشمل الاعتداء على الغير بالزنا، واللواط، والقذف، وما أشبه ذلك. وكل الظلم بأنواعه محرم"[1].

ولا شك أنَّ كلَّ خيرٍ وصلاح داخل في القسط والعدل، وكل شرٍ وفسادٍ داخل في الظلم، والظلم يتفاوت، وبعضه أشد ضررًا من بعض، فهو في جميع أنواعه وأفراده ممنوع، ينفر عنه الطبع السليم، وتأباه الفطرة، وكذلك يمتنع عمومًا من حيث متعلقه، سواء كان الظلم ظلمًا لمسلم، أو لكافر، قريبٍ، أو بعيدٍ، صاحب، أو عدو، اعتدى عليك أم لم يعتد. فهو محرم في كل شيء، ولكل أحد.

وقد دلت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة على تحريم الظلم منها ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[2].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"اليوم يثاب كلّ عامل بعمله، فيوفى أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخير، وعامل الشر يجزى جزاءه. ولا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسنا، ولا حُمِل على مسيء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه"[3].

---

[1] () شرح رياض الصالحين, (2/485).
[2] () سورة غافر, (17).
[3] () جامع البيان في تأويل القرآن, (21/366).

وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسيئة واحدة"[1].

2- قوله تعالى: مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ[2].

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:" أي أنه يوم القيامة لا يجد الظالم حميماً ولا صديقاً ينجيه من عذاب الله، ولا يجد شفيعاً يشفع له فيُطاع؛ لأنه منبوذ بظلمه وغشمه وعدوانه، فالظالم لن يجد من ينصره يوم القيامة"[3].

3 – قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا[4].

قال الإمام الطبري–رحمه الله تعالى-:"فتأويل الآية: إن الله لا يظلم عبدًا وجب له مثقال ذَرّة قِبَل عبد له آخر في مَعاده ويوم لقائه فما فوقه، فيتركه عليه فلا يأخذه للمظلوم من ظالمه، ولكنه يأخذه منه له، ويأخذ من كل ظالم لكل مظلوم تَبِعَتَهُ قِبَله"[5].

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله-:"فالآية على هذا التأويل في الخصوم، وأنه تعالى لا يظلم مثقال ذرّة للخصم على الخصم يأخذ له منه، ولا يظلم مثقال ذرّة تبقى له بل يثيبه عليها ويضعّفها له"[6].

4 - عن أبي ذر قال: قال رسول الله فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا»[7].

---

[1] () تفسير القرآن العظيم, (7/136).
[2] () سورة غافر, (18).
[3] () شرح رياض الصالحين, (2/485).
[4] () سورة النساء, (40).
[5] (2) جامع البيا في تأويل آي القرآن, للإمام الطبري (8/365).
[6] (3) الجامع لأحكام القرآن, للامام القرطبي (6/324).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي –رحمه الله تعالى-:"أنه تعالى حرم الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرام على كل عبد أن يظلم غيره، مع أن الظلم في نفسه محرم مطلقا"[1].

وقال ملا علي القاري –رحمه الله تعالى-:"«وجعلته بينكم محرما» أي تحريما غليظا جدا"[2].

5 - عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ، قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم»[3].

قال المناوي –رحمه الله تعالى-:"اتقوا الظلم الذي هو مجاوزة الحد والتعدي على الخلق فإن الظلم في الدنيا ظلمات على أصحابه في الدنيا, بمعنى أنه يورث ظلمة في القلب فيصير صاحبه في ظلمات يوم القيامة فلا يهتدي بسببه"[4].

"وإذا تقــرر هــذا، فيجب على كــل مســلم البــدار إلى محاسبة نفسه، كما قال عمر : «حاسبوا أنفسـكم قبـل أن تحاسـبوا وزنوهـا قبـل أن توزنـوا»[5]، وإنمـا حسـابه

---

[7]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب تحريم الظلم, (ص:1127), رقم(2577).

[1]() جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم, (2/36).

[2]() مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, (4/1611).

[3]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب تحريم الظلم, (ص:1129), رقم(2578).

[4]() التيسير بشرح الجامع الصغير, (1/29), وفيض القدير شرح الجامع الصغير, للمناوي, (1/134), وانظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, لأبي الحسن المباركفوري, (6/288).

[5]() أخرجه الترمذي في سننه, كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن النبي , رقم(2459), وضعفه الألباني في ضعيف

لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول عاملتني فغششتني، وهذا يقول بايعتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخاليبهم وحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[2].

سنن الترمذي, (ص: 554).

(1) سورة غافر, (17).

(2) سورة إبراهيم, (42-43).

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم، وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفهت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً، فعندذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى أخصامك عوضاً عن حقوقهم"[1].

فاحذر الظلم بجميع أنواعه سواء كان صغيراً أو كبيرا فإنه ظلمات يوم القيامة .

لا تظلمن إذا كنـــت مقتدرا فالظلـم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلـوم منتبـــه يدعو عليك وعيـــن الله لم تنم

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"ألا إن الأمر خطير, وحقوق الناس لا بد أن تعطى لهم, إما في الدنيا وإما في الآخرة"[2].

ولله در القائل[3]:

أما والله إن الظلم شُؤْمٌ ولا زال المسيءُ هو الظلُوم

ستعلم يا ظلومُ إذا التقينا غدا عند المليكِ مَن المَلُوم

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

المبحث الأول
المقاصّة بين الخلق قبل القنطرة

---

[1] () التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, للقرطبي, (1/655-657).

[2] () شرح رياض الصالحين, (2/510).

[3] () القائل هو علي بن أبي طالب كتب هذه الأبيات فأرسلها إلى معاوية بن أبي سفيان . انظر: شعب الإيمان, للبيهقي, (9/549).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات المقاصة بين الخلائق قبل القنطرة وذلك كله ثمرة من ثمار الظلم السيئ.

وقد دلت النصوص الشرعية على إثبات المقاصة فبل القنطرة بين عموم الخلائق في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا إلا من استثني وهم غير المكلفين.

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"يحشر يوم القيامة كل شيء، يقضي الله تعالى بينهم بحكمه وعدله، وهو السميع العليم، يقتص من البهائم بعضها مع بعض، ومن الآدميين بعضهم مع بعض، ومن الجن بعضهم مع بعض، ومن الجن والإنس بعضهم مع بعض، لأن الإنس قد يعتدون على الجن، والجن قد يعتدون على الإنس"[1].

وقال حافظ الحكمي –رحمه الله تعالى-:"فيقضي سبحانه بين خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء"[2].

ويمكن بيان أنواع من تحصل المقاصة بينهم قبل القنطرة فيما يلي:

1- المقاصة بين المسلم والمسلم, ويدل على ذلك ما يأتي:

أ - حديث أبى هريرة أن النبى قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه»[3].

---

[1] (1) المصدر نفسه, (2/489).
[2] (2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول, (2/804).
[3] (3) تقدم تخريجه, (ص:49).

ب - وعنه ، قال : قال رسول الله :«رحم الله عبدا كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال، فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته، وإن لم تكن له حسنات حملوه عليه من سيئاتهم»[1].

وجه الدلالة من هذين الحديثين على المقاصة بين المسلم والمسلم:

أن النبي قال«لأخيه» والمراد بذلك الأخوة الإيمانية.

قال علي القاري –رحمه الله تعالى-:"«لِأَخِيهِ» أَيْ: فِي الدِّينِ"[2].

ج – عموم قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [3].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"هذه الآية -وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة, فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة"[4].

عن أبي العالية، في هذه الآية قال:"هم أهل القبلة يختصمون يوم القيامة في مظالم بينهم"[5].

وعن الزبير قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال:"نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه" فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد"[6].

---

[1](4) تقدم تخريجه, (ص:51).

[2](1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, (8/3201).

[3]() سورة زمر, (31).

[4]() تفسير القرآن العظيم, (7/96).

[5]() أخرجه الإمام الطبري في تفسيره, (21/288), والثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن, (8/235).

[6](5) تقدم تخريجه, (ص:39).

وعن أبي سعيد الخدري قال:«كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا»[1].

وعن ابن عمر ، يقول:لقد عشنا برهة من دهر وما نرى هذه الآية نزلت إلا فينا وفي أهل الكتاب, فقلت:
«نختصم أما نحن فلا نعبد إلا الله، وأما ديننا فالإسلام، وأما كتابنا فالقرآن فلا نغير ولا نحرف أبدا، وأما قبلتنا فالكعبة، وأما حرامنا أو حرمنا فواحد، وأما نبينا فمحمد فكيف نختصم حتى كفح[2] بعضنا وجوه بعض بالسيوف، فعرفت أنها نزلت فينا»[3].

وعن إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ –رحمه الله تعالى- قال: " لَمَّا نَزَلَتْ: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ : مَا خُصُومَتُنَا هَذِهِ؟ وَإِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَانٌ فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ قَالُوا: هَذِهِ هَذِهِ"[4].

د - عن أبى هريرة قال: قال رسول الله :«أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح فى النار»[5].

وجه الدلالة من هذا الحديث على المقاصة بين المسلم والمسلم:

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن, للإمام البغوي (4/88) (6).

[2] (1) أي دافعت وقاتلت وأصل المكافحة المضاربة تلقاء الوجوه. انظر النهاية, لإبن الأثير, (4/185).

[3] (2) أخرجه الحاكم في مستدركه, (4/617)و رقم(8709), وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

[4] (3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن, للقرطبي (20/202).

[5] () تقدم تخريجه, (ص:56).

أن النبي أخبر أن هذا المفلس من أمته, وأنه يأتي يوم القيامة وعليه صلاة وصيام وزكاة,
ومعلوم أن الذي يأتي بالصلاة والزكاة والصوم هو المسلم.

2- المقاصة بين المسلم والكافر, ويدل على ذلك ما يلي:

أ – عموم قوله تعالى:ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ[1].

قال مقاتل بن سليمان –رحمه الله تعالى-:"أنت يا محمد وكفار مكة يوم القيامة عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ"[2].

ونقل الطبري عن ابْن زَيْدٍ في هذه الآية:"هم أهل الإسلام وأهل الكفر"[3].

وقال الزجاج رحمه الله تعالى-:"يختصم المؤمن والكافر، ويخاصم المظلوم الظالم"[4].

ب - عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله يقول:«يحشر الله الناس يوم القيامة وأشار بيده إلى الشام عراة غرلاً[5] بهمًا[6] -قلت ما بهمًا- قال:ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا

---

[1] (5) سورة زمر, (31).

[2] (6) تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي, (3/677).

[3] (1) جامع البيان في تأويل القرآن, (21/287).

[4] (2) معاني القرآن وإعرابه, (4/353).

[5] (3) الغرل: جمع الأغرل، وهو الأقلف. والغرلة: القلفة. انظر النهاية, لإبن الأثير, (3/362).

[6] (4) هو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا كالعمى والعور والعرج وغير ذلك. انظر النهاية, لإبن الأثير, (1/167).

ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه قالوا: وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً قال: بالحسنات والسيئات»[1].

وجه الدلالة من الحديث على المقاصة بين المسلم والكافر:

أن النبي أخبر أنه لا يدخل أحد من المؤمنين الجنة وأحد من الكفار يطلبه بمظلمة, ولا يدخل أحد النار من الكفار وأحد من المؤمنين يطلبه بمظلمة.

قال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله تعالى-:"حتى المؤمن إذا ظلم الكافر فإنه يقتص للكافر منه يوم القيامة, والعكس, الكافر إذا ظلم المؤمن يقتص للمؤمن يوم القيامة. فلا أحد يترك وعليه مظلمة, حتى المؤمن يقتص منه للمؤمن"[2].

"وأما مطالبة الكافر المؤمن فإنما تكون لمن ظلم من أهل الذمة والعهد أو تكون فيما لم يأذن الله به من غيرهم وَالله أعلم"[3].

وقد دلت نصوص كثيرة على وجوب أداء الحقوق للذميين والمعاهدين.

---

[1] (5) تقدم تخريجه, (ص:53).
[2] (6) شرح السنة, (ص:176).
[3] (7) العاقبة, للإشبيلي, (ص:306).

وعن أبي بكرة[1] ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :«من قتل معاهدا في غير كنهه[2] حرم الله عليه الْجنّة»[3].

وعن عبد الله بن عمرو ، عن النبي قال:«ألا من ظلم معاهدا وانتقصه وكلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة، ألا ومن قتل معاهدا حرم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفا »[4].

قال علي الملا القارئ –رحمه الله تعالى:"المراد بذلك أَنْ يأخذ ممن لا يجب عليه الجزية، أو يأخذ ممّن يجب عليه أكثر مِمّا يطيق، أو فوق نصف العشر من مال تجارته إن كان ذميا. وَفَوْقَ عشر مال تجارته إنْ كان حربيًّا مُسْتأمنا أو أخذ منه شيئًا بغيْر طِيب نَفْس, «فأنا حَجِيجه» أي: خصْمه وَمحاجّه وَمغالبه بإظهار الْحجج عَلَيْه يَوْم الْقيامة"[5].

---

[1] () هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عَمْرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غير بن عوف بن ثقيف الثقفي، واسم ثقيف: قسي. وَكَانَ أبو بكرة من فضلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصالحيهم, وَكَانَ أبو بكرة كَثِير العبادة حَتَّى مات، وَكَانَ أولاده أشرافا فِي البصرة، بكثرة المال والعلم والولايات. وتوفي أبو بكرة بالبصرة سنة إحدى، وقيل: اثنتين وخمسين، وأوصى أن يصلي عَلَيْهِ أبو برزة الأسلمي رضي الله عنهم أجمعين. انظر: أسد الغابة, (6/35).

[2] ()كنه الأمر: حقيقته. وقيل: وقته وقدره. وقيل: غايته. يعني من قتله في غير وقته أو غاية أمره الذي يجوز فيه قتله. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (4/206).

[3] (3) أخرجه أبو داود في سننه, كتاب الجهاد, باب في الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته, رقم(2760), والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (ص:488).

[4] (4) أخرجه أبو داود في سننه, كتاب الخراج والفيء والإمارة, باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة, رقم(3052), والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (ص:548).

[5] (5) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, (6/2625).

فهذه النصوص تدل على حرمة الاعتداء على الكافر، وأن ذلك من الظلم الذي حرمه الله تعالى، وللمظلوم حق عنده سبحانه.

ولذلك كان الصحابة والفقهاء يدركون أن حق الذمي محفوظ عند الله عز وجل، فلا يجترئ أحد عليه إلا أخذه الله به.

روى القاضي أبو يوسف –رحمه الله تعالى-:أن علي بن أبي طالب كتب إلى عُمَّالِه على الخراج:

"إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة، شتاءً ولا صيفاً، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرَضاً في شيء من الخراج، فإنا إنما أَمَرَنا الله أن نأخذ منهم العفو, فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتُك"[1]._

---

[1]() الخراج, (ص:25).

وهنا مسألة: هَلْ الكفار يُحَاسَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ لَا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى, (305/4-306):"فيه نزاع بين أهل العلم... وفصل الخطاب أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر. وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب, فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ سورة النحل, (88). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي الْكُفْرِ﴾ سورة التوبة, (37). وَالنار دَركات فَإِذَا كَانَ بَعْض الكفار عذابه أشد عذابا من بعض - لكثرة سيئاته وقلة حسناته -

3 - المقاصة بين الكافر والكافر, ويدل على ذلك ما يأتي:

أ – عموم قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [1].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكلّ منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه.

فهذه الآية خطاب لجميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به"[2].

ب – عن أبي نضرة –رحمه الله تعالى- قال:"يحبس أهل النار دون النار, حتى يقضى من بعضهم لبعض, فيدخلون النار حين يدخلونها, ولا يطلب أحد منهم أحداً بظلامة ظفر ظلمها إياه"[3].

وجه الدلالة من الأثر على القصاص بين الكافر والكافر: ظاهر, حيث أنهم يحبسون قبل دخولهم النار من أجل أن يقتص لبعضهم على بعض عن مظالم كانت بينهم في الدنيا.

ج - عن أبي هريرة يرفعه: «ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة, حتى الشاتان فيما انتطحتا»[4].

كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة".

[1] (2) سورة زمر, (31).

[2] (3) جامع البيان في تأويل القرآن, (21/288).

[3] () أخرجه الإمام الطبري في تفسيره, (12/439), والقرطبي في تفسيره, (10/200), والسيوطي في الدر المنثور, (6/393).

[4] (5) تقدم تخريجه, (ص:52).

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"وإذا كان هذا حكم الحيوانات التي ليست مكلفة، فتخليص الحقوق من الآدميين، وإنصاف بعضهم من بعض، أولى وأحرى"[1].

وقال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"إن الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببني آدم"[2].

فالحديث عام يدخل فيه القصاص بين الكافر والكافر.

4 - المقاصة بين الجن والإنس, وبين الجن والجن ويدل على ذلك ما يأتي:

أ – عموم الأدلة التي فيها الأمر بالتحلل عن المظالم قبل ألا يكون دينار ولا درهم, وذلك "لأن الإنس قد يعتدون على الجن، والجن قد يعتدون على الإنس، فمن عدوان الجن على الإنس الشيء الكثير، ومن عدوان الإنس على الجن أن يستجمر الإنسان بالعظم؛ لأن النبي ﷺ نهى أن نستنجي بالعظام وقال: «إنها زاد إخوانكم من الجن»[3] الجن يجدون العظام، فإذا استجمر أحد بها فقد اعتدى عليهم وكدرها عليهم، ويخشى أن يؤذوه إذا أذاهم بها"[4].

ب – عموم حديث عبد الله بن أنيس ﷺ الذي تقدم وفيه:«أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه»[5].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

---

(1) النهاية في الفتن, (2/52).

(2) الجامع لأحكام القرآن, (19/229).

(3) أخرجه مسلم, كتاب الصلاة, باب الجهر بالقراءة في الصبح, رقم(450), والترمذي, كتاب الطهارة, باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به, رقم(18).

(4) شرح رياض الصالحين, (2/489).

(5) تقدم تخريجه, (ص:53).

أن القصاص عام سواء أكان بين المسلم والمسلم, أو بين المسلم والكافر, وبين الإنس والجن وغيرهم. فكل الخلائق يقتص من بعضهم لبعض.

5 - المقاصة بين البهائم, ويدل على ذلك ما يأتي:

أ – قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾[1].

ب - وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾[2].

قال ابن عباس : «تحشر الوحوش غدا: أي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها كوني ترابا فتموت»[3].

وقال الإمام البغوي–رحمه الله تعالى-:"يعني دوابّ البر، حشرت، جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض"[4].

وقال الشوكاني–رحمه الله تعالى-:"ومعنى حشرت: بعثت حتى يقتص بعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء"[5].

وقال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله تعالى-:"حتى للذرة وهي النملة الصغيرة من الذرة يقتص لبعضها من بعض, لأن الله لايقر الظلم أبداً, لأنه أحكم الحاكمين, وهو الحكم العدل, فلا يقر الظلم, حتى بين البهائم والذر, يوم القيامة يبعثها ثم تقتص لبعضها من بعض"[6].

---

(1) سورة الأنعام, (38).
(2) سورة التكوير, (5).
(3) أخرجه الإمام القرطبي في تفسيره, (19/229).
(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن, (8/346).
(5) فتح القدير, (5/470).
(6) شرح السنة, (ص:175).

ج – عَنْ أبي هريرة أن رسول الله قال:«يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة»[1].

د - عن أبى ذر أن النبى رأى شاتين تنتطحان فقال المصطفى لأبى ذر «هل تدرى فيما تنتطحان؟» قال: لا قال المصطفى: «ولكن اللـه يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة»[2].

والدواب وإن كانت غير مكلفة، إلا أن قصاصها قصاص مقابلة واستحقاق، كي يقام العدل الذي به تقوم السماوات والأرض.

قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى- :"أما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف ، إذ لا تكليف عليها ، بل هو قصاص مقابلة "[3].

وقال علي القاري -رحمه الله تعالى- "فإن قيل: الشاة غير مكلفة، فكيف يقتص منها؟ قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل، والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع، بل يقتص حق المظلوم من الظالم, وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف، والقوي والضعيف؟"[4].

وقد أشكل على بعض أهل العلم هذا الذي ذكره الرسول من حشر البهـائم والاقتصـاص لبعضـها من بعض، وقـد وضح هـذا النـووي –رحمـه اللـه تعـالى- في شـرحه على صـحيح مسـلم فقـال:"هـذا تصـريح بحشـر البهـائم يـوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعـاد أهـل التكليـف من

[1] (7) تقدم تخريجه, (ص:51).
[2] (1) تقدم تخريجه, (ص:51).
[3] () المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, (16/137).
[4] () مرقاة المفاتيح, للشيخ علي القاري (4/761).

الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة. وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره"[1].

وعقب على هذا الشيخ الألباني[2] –رحمه الله تعالى- قائلاً: "ومن المؤسف أن ترد كل هذه الأحاديث من بعض علماء الكلام بمجرد الرأي، وأعجب منه أن يجنح إليه العلامة الألوسي[3]! فقال بعد أن ساق الحديث عن أبي هريرة من رواية مسلم عند تفسيره آية: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال:"ومال حجة الإسلام الغزالي وجماعة إلى أنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفاً، ولا أهلاً لكرامة بوجه، وليس في هذا الباب نص من كتاب أو سنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر

---

[1] () المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, (16/136).

[2] () هو محمد ناصر الدين بن نوح الألباني, ولد في مدينة أشقودرة, عاصمة الأبانية, عام 1914م, ثم هاجر أبوه مع عائلته على الشام, فبدأ الغلام المهاجر دراسته في الشام, وتوجه اهتمامه إلى علم الحديث في نحو العشرين من عمره. كان ساحة علم الحديث, عالم من علماء المسلمين, وعلَم من أعلام الدعوة السلفية. توفي رحمه الله سنة 1999م. انظر: حياة الألباني وآثاره (1/44-فما بعده).

[3] () هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم. ولد فى سنة 1217 هـ, فى جانب الكرخ من بغداد. وقد توفى رحمه الله فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة 1270 هـ (سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة) ، ودُفن مع أهله فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى فى الكرخ، فرضى الله عنه وأرضاه. انظر: التفسير والمفسرون, لمحمد السيد حسين الذهبي, (1/250), والأعلام للزركلي, (7/176).

مسلم والترمذي وإن كان صحيحاً، لكنه لم يخرج مخرج التفسير للآية، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام. وإلى هذا القول أميل، ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول، لأن لهم ما يصلح مستنداً في الجملة. والله تعالى أعلم"[1].

قلت (الألباني) :"كذا قال - عفا الله عنا وعنه - وهو منه غريب جداً لأنه على خلاف ما نعرفه عنه في كتابه المذكور، من سلوك الجادة في تفسير آيات الكتاب على نهج السلف، دون تأويل أو تعطيل، فما الذي حمله هنا على أن يفسر الحديث على خلاف ما يدل عليه ظاهره، وأن يحمله على أنه كناية عن العدل التام، أليس هذا تكذيباً للحديث المصرح بأنه يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء، فيقول هو تبعاً لعلماء الكلام: إنه كناية!. أي لا يقاد للشاة الجماء. وهذا كله يقال لو وقفنا بالنظر عند رواية مسلم المذكورة، أما إذا انتقلنا به إلى الروايات الآخرى, فإنها قاطعة في أن القصاص المذكور هو حقيقة وليس كناية"[2].

وقال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"إن البهائم تحشر وتبعث قال به أبو ذر، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، والحسن البصري وغيرهم وهو الصحيح"[3].

ر - عن عبد الله بن عمرو قال:"إذا كان يوم القيامة مد الأديم[4]، وحشر الدواب والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال

---

[1]() روح المعاني في تفسير القرآن العظيم, (15/255).

[2]() سلسلة الأحاديث الصحيحة, (4/612).

[3]() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:652).

[4]() أَدِيمُ الأَرضِ : وجهها, وأَدِيمُ كل شيءٍ : ظاهِرُه, وزيد في سعتها. انظر: تاج العروس, للزَّبيدي, 19/36).

لها: كوني تراباً، قال فعند ذلك يقول الكافر:﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾"[1][2].

ز - عن أبو هريرة قال:«يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والطير والدواب وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً»[3].

قال الإمام القرطبي-رحمه الله تعالى-:"فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه وأنه لا محيص لمخلوق عنه"[4].

6 - المقاصة بين البهائم والإنس, و بين البهائم والجن ويدل على ذلك ما يلي:

أ - قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾[5].

"وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم ، بينها وبين بني آدم, والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله «عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعا لا هي

---

[1]() سورة النبأ, (40).

[2]() أخرجه ابن جرير في تفسيره, (24/180), وقال الألباني-رحمه الله تعالى-:" وإسناد جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي المغيرة هذا وهو القواس لا يسمى". انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة, (4/607).

[3]() أخرجه ابن جرير من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم, (24/180), قال الألبابني:"وهذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم غير ابن ثور وهو محمد الصنعاني وهو وإن كان موقوفا فإنه شاهد قوي للمرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي". انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة, (4/607).

[4]() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:653).

[5]() سورة الأنعام, (38).

أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[1] أي من حشراته"[2].
ب - أن رسول الله قال:«بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث»[3].
وجه الدلالة من الحديث:
أن هذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه
وتعذيبه .
قال أبو سليمان الداراني[4] –رحمه الله تعالى-:"ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع
رأسه ونظر إلي وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر قال: فقلت: لا أضرب شيئاً بعده أبدا"[5].
ج - عن أبي هريرة يرفعه: «ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة,

---

[1]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب المساقاة, باب فضل سقي الماء, (ص:380), رقم(2365).
[2]() مجلة البحوث الإسلامية, العدد (34), بحث بعنوان "وجوب الرفق بالحيوان وتحريم ظلمه وتعذيبه", لعبد الله بن حمد العبودي.
[3]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب أحاديث الأنبياء, باب, (ص:585), رقم(3471).
[4]() هو الإمام الكبير زاهد العصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد وقيل: عبد الرحمن بن عطية. وقيل: ابن عسكر العنسي الداراني. ولد في حدود الأربعين ومائة. توفي أبو سليمان سنة خمس عشرة، ومائتين وقال أحمد بن أبي الحواري: مات سنة خمس ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء, للذهبي, (8/328).
[5]() أوره الإمام الذهبي في الكبائر, 0(ص/205), والهيتمي في الزواجر, (2/131).

حتى الشاتان فيما انتطحتا»[1].
قال ابن حجر الهيتمي –رحمه الله تعالى-:"فهذا من الدليل على القصاص بين البهائم، وبينها وبين بني آدم، حتى الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوَّعها، أو عطَّشها، أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بنظير ما ظلمها أو جوَّعها"[2].

7 - المخاصمة بين الروح والجسد, ويدل على ذلك ما يلي:

عن أنس بن مالك ، قال: كنا عند رسول الله فضحك، فقال:«هل تدرون مم أضحك؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال:«من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول:
بعدا لكي وسحقا، فعنكن كنت أناضل»[3].
وروي عن رسول الله أنه قال:«لا تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تتخاصم الروح والجسد، فيقول الجسد: إنما كنت بمنزلة جزع ملقى، لا أستطيع شيئا. وتقول الروح: إنما كنت ريحا، لا أستطيع أن أعمل شيئا. فضرب لهما مثل الأعمى والمقعد، فحمل الأعمى المقعد، فيدله المقعد ببصره، ويحمله الأعمى برجليه»[4].

---

[1]() تقدم تخريجه, (ص:52).
[2]() الزواجر عن اقتراف الكبائر, (2/141).
[3]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الزهد, باب «الدنيا سجن المؤمن وجنة للكافر, (ص:1287), رقم(2969).
[4]() أورده السمرقندي في بحر العلوم, (3/185), ولم أجده في كتب السنة.

وعن عكرمة عن ابن عبّاس قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتّى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح: يا رب الروح منك وأنت خلقته لم تكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها، ويقول الجسد إنما خلقتني كالخشب ليس لي يد ابطش بها ولا عين أبصر بها ولا رجل أمشي بها، فجاء هذا كشعاع النور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشت رجلي فجدد عليه العذاب. قال: فيضرب الله لهما مثال أعمى ومقعدا دخلا حائطا فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله، فنادى المقعد الأعمى: أتيني هاهنا حتّى تحملني، قال: فدنا منه فحمله فأصابوا من الثمر فعلى من يكون العذاب، قالا: عليهما قال: عليكما جميعا العذاب"[1].

وقَالَ وَغَيْرُهُ فِي خَبَرٍ فِيهِ طُولٌ:"إن الخصومة تبلغ يوم القيامة إلى أن يحاج الروح الجسد"[2].

- ✓ **المقاصة بين غير المكلفين من الأطفال والمجانين:**

أما المقاصة بين غير المكلفين فإنها لا تقع لحديث عائشة ، أن رسول الله قال:«رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى
يكبر»"[3].

---

[1]() أخرجه البغوي في تفسيره, (5/48), والثعلبي في تفسيره, (6/48).

[2]() أخرجه القرطبي في تفسيره, (15/254).

[3]() أخرجه أبو داود في سننه, كتاب الحدود, باب في المجنون يسرق أويصيب حداً, رقم(4398), وابن ماجه في سننه, كتاب الطلاق, باب طلاق المعتوه والصغير والنائم, رقم(2041), والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود, (ص:789).

قال السبكي[1] –رحمه الله تعالى-:"رفع القلم عن ثلاثة فيه احتمالان:
الاحتمال الأول: أنه كناية عن عدم التكليف إذ التكليف يلزم منه الكتابة فعبر بالكتابة عنه وعبر بلفظ الرافع إشعارا بأن التكليف لازم لبني آدم إلا لثلاثة وأن صفة الرفع لا تنفك عن غيرهم.
والاحتمال الثاني: أن يراد حقيقة القلم الذي ورد فيه الحديث أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فأفعال العباد كلها حسنها وسيئها يجري به ذلك القلم ويكتبه حقيقة وثواب الطاعات وعقاب السيئات يكتبه حقيقة, وقد خلق الله ذلك وأمر بكتبه وصار موضوعا على اللوح المحفوظ ليكتب ذلك فيه جاريا إلى يوم القيامة وقد كتب ذلك وفرغ منه وحفظ وفعل الصبي والمجنون والنائم لا إثم فيه فلا يكتب القلم إثمه
ولا التكليف به"[2].
قال عمر بن الخطاب :"الصغير تكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات"[3].
وقال ابن عثيمين في تفسيره لقوله تعالى:﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾[4]وفي قراءة "زاكية" "لأنه غلام صغير، والغلام الصغير تكتب له

---

[1]() هو تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وسمع من ابن الصواف، والدمياطي وبدمشق من أبي جعفر ابن الموازيني، والطبقة، "وكان جم الفضائل حسن الديانة صادق اللهجة، قوي الذكاء من أوعية العلم. مات سنة ست وخمسين وسبعمائة. انظر تذكرة الحفاظ, للذهبي, (4/1507).
[2]() إبراز الحكم من حديث رُفِعَ القَلم, (ص:53), وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود, (12/48).
[3]() الاستذكار, لابن عبد البر, (3/39).
[4]() سورة الكهف, (74).

الحسنات، ولا تكتب عليه السيئات، إذاً فهو زكي لأنه صغير ولا تكتب عليه السيئات"[1].

وقد تقرر فيما سبق أن المقاصة بين الخلق يوم القيامة إنما تكون بالحسنات والسيئات, وهؤلاء رفع عنهم السيئات, فكيف يقتص منهم؟!.

وبوَب البخاري في صحيحه باباً:"لا يرجم المجنون والمجنونة ".

وقال علي ، لعمر:"أما علمت: أن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ"[2].

قال العيني –رحمه الله تعالى-:"أَجْمع أهل العلم على أنه لَا يرْجم الرجل الْمَجْنُون وَلَا الْمَرْأَة الْمَجْنُونَة إِذا وَقع الزِّنَا فِي حَالَة الْجُنُون"[3].

فإذا كان القصاص في الدنيا يرفع عن المجنون بسبب جنونه, فالقصاص في الآخرة من باب أولى, والله تعالى أعلم.

وقبل ختام هذا البمحث فإنه يحسن بنا أن نذكر بعض صور القصاص يوم القيامة, لكي يكون المسلم على حذر منها.

- ذكر لبعض صور القصاص يوم القيامة:

1. القصاص في الدماء, وهو أول ما يقضى به بين الناس:

معلوم لدينا جميعاً أن الله تعالى خلق الإنسان بيــده ونفخ فيه من روحه, وضمن له حق الحياة, وليس لأحد البتة أن يسلب هذه الحياة إلا خالقها , ولهذا توعد لكل من تجـرأ على قتـل النفس بوعيـد شـديد, فقـال :وَمَن يَقتُـل

---

[1]() تفسير سورة الكهف, (ص:117).
[2]() الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه, للبخاري, (ص: 1174).
[3]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (23/292).

مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣[1].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله"[2].

فحرمة الدماء عند الله عظيمة, أعظم من حرمة الكعبة التي شرفها الله تعالى, بل زوال الدنيا أعظم عند الله تعالى من قتل المسلم بغير حق.

فلهذا وغيره, كانت الدماء أول ما سيقضي الله فيها بين العباد.

عن عبد الله ابن مسعود عن النبي , أنه قال:« «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[3].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"وفي الحديث عظم أمر الدم, فإن البداءة إنما تكون بالأهم, والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة, وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك"[4].

وعن ابن عباس قال: قال النبي :«يجيء المقتول متعلقا بالقاتل, يقول يا رب سل هذا فيم قتلني؟»[5].

2. القصاص ممن يضرب الناس ظلماً:

---

[1]() سورة النساء, (93).

[2]() تفسير القرآن العظيم, (2/376).

[3]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الرقاق, باب «القصاص يوم القيامة», (ص:1130), رقم(6533), ومسلم في صحيحه, كتاب القسامة والمحاربين, باب المجازاة بالدماء في الآخرة, وأنها أول ما يقضى به بين الناس يوم القيامة, (ص:742), رقم(1679).

[4]() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/397).

[5]() أخرجه الامام أحمد في مسنده, (1/222), وابن ماجه في سننه رقم(2621) والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه, (2/874).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«من ضرب بسوط ظلما اقتص منه يوم القيامة»[1].

وعن ابن مسعود البدري قال:«كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي، «اعلم، أبا مسعود» ، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: «اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود» ، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» ، قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا»[2].

3. القصاص ممن قذف مملوكه بالزنا وهو بريء:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«من قذف مملوكه، وهو بريء مما قال، جلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»[3], وفي رواية لمسلم: «من قذف مملوكه بالزنا، يقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»[4].

4. القصاص ممن يعذب الناس في الدنيا:

مر هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط[5] بالشام، قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ،

---

[1]() تقدم تخريجه, (54).

[2]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الأيمان, باب صحبة المماليك, وكفارة من لطم عبده, رقم 1659, (ص:730).

[3]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الحدود, باب قذف العبيد, رقم 6858, (ص:1182).

[4]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الأيمان, باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنى, رقم 1659, (ص:730).

[5]() هم قوما يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (3/95).

يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» [6].

5. القصاص بين أهل الديون:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله :«إن صاحبكم محبوس على باب الجنة _ أحسبه قال: بدينه»[2].

قال الربيع بن خيثم[3] –رحمه الله تعالى-:"إن أهل الدين في الآخرة أشد تقاضيا له منكم في الدنيا يحبس لهم فيأخذونه، فيقول: يا رب ألست تراني حافيا؟ فيقول: خذوا من حسناته

بقدر الذي لهم فإن لم يكن له حسنات يقول: زيدوا على سيئاته من سيئاتهم"[4].

وقد جمعت بعض الذنوب في حديث المفلس, كالشتم, والقذف, وأكل الأموال بالباطل, والقتل, ونحوها, ولا شك في خطر هذه الذنوب, وعظم شأنها.

---

[6]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق, رقم 2613, (ص:1141).

[2]() أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار, رقم(5144), (11/331), والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (7/1224), وقال:" قلت: وهذا إسناد صحيح، مسلسل بالسماع".

[3]() هو ربيع بن خثيم, ويقال خثيم بن عائذ, الامام القدوة, أبو يزيد الثوري الكوفي, أحد الأعلام, أدرك زمان النبي وأرسل عنه, توفي قبل سنة 65ه. انظر سير أعلام النبلاء, (4/258), وتذكرة الحفاظ, كلاهما للذهبي, (1/54).

[4]() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, للقرطبي, (ص:641).

المبحث الثاني
المستثنى من القنطرة الخاصة بالمؤمنين

دلت النصوص الشرعية على أن بعض المؤمنين مستثنون من الحبس على القنطرة وهم الأصناف الآتية:

1 – الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

فإنه ليس عليهم مظالم لأحد من الخلق, وهم أول من يمر على الصراط.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله «ويضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»[1].

وأول البشر دخولاً الجنة على الإطلاق هو رسولنا محمد , ثم الأنبياء عليهم السلام بعده. وأول الأمم دخولاً الجنة أمته، وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق .

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله :«أنا أكثر الأنبياء تبعاً ليوم القيامة، وأول من يقرع باب الجنّة»[2].

وعنه ، عن رسول الله أنه قَالَ:«آتي باب الجنة، فأستفتح، فيقول خازنها: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»[3].

وقد يرد إشكال في هذا الباب أنه قد ورد في بعض الأحاديث أن النبي قد لعن ودعا على بعض أصحابه, وأجاب الإمام النووي رحمه الله تعالى عن هذا الإشكال.

---

[1] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الرقاق, باب الصراط جسر جهنم, (ص:1137), رقم(6573).

[2] () أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب في قول النبي :«أنا أول الناس من يشفع في الجنة, وأنا أكثر الأنبياء تبعاً», (ص:105), رقم(196).

[3] () أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب في قول النبي :«أنا أول الناس من يشفع في الجنة, وأنا أكثر الأنبياء تبعاً», (ص:106), رقم(197).

بقوله –رحمه الله تعالى-:"فالجواب ما أجاب به العلماء، ومختصره وجهان:
أحدهما: أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.
والثاني: أن ما وقع من سبه ودعائه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله:«تربت يمينك»[1], و«عقرى حلقى»[2] وفي حديث معاوية «لا أشبع الله بطنه»[3]، ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف أن يصادف شيء من ذلك إجابةً، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن فاحشاً متفحشاً ولا لعاناً[4] ولا منتقماً لنفسه، وقد صح أنهم قالوا له: ادع على دوس، فقال: «اللهم اهد

---

[1]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الوضوء, باب الحياء في العلم, (ص:28), رقم(130), ومسلم, كتاب الرضاع, باب تحريم الرضاع من ماء الفحل, (ص:613), رقم(1445).

[2]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الحج والعمرو, باب إذا حاضت المرأة بعد ما أفاضت, (ص:284), رقم(1762), ومسلم, كتاب الحج, باب جواز تعليق الإحرام, (ص:517), رقم(1221).

[3]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب من لعنه النبي , أوسبه أو دعا عليه, وليس هو أهلاً لذلك, كان له زكاة وأجراً ورحمة, (ص:1134), رقم(2600).

[4]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب المناقب, باب صفة النبي , (ص:597), رقم(3559), ومسلم, كتاب الفضائل, باب كثرة حيئه , (ص:1024), رقم(2321).

دوساً»[1]، وقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2]،
والله أعلم"[3].

"ويحتمل أن يقال إنه كان لا يقول ولا يفعل في حال غضبه إلا الحق لكن غضبه الله قد يحمله على تعجيل معاقبة مخالفة وترك الاغضاء والصفح، ويؤيده حديث عائشة «ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله»[4]"[5].

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"وهذا من كمال شفقته على أمته وجميل خلقه وكرم ذاته حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم"[6].

ويمكن أن يقال أيضاً أن النبي قد تحلل من جميع الحقوق –وحاشا أن يكون له حق على أحد- في آخر حياته كما في حديث الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ خَرجَ يَوْمًا عَاصبًا رَأْسَهُ بعصابَةٍ حَمْراءَ مُتّكئًا، أَوْ قَالَ: مُعْتمدا عليه، فَقَالَ: «الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر، وقال أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد دنا مني حقوق، من بين أظهركم، فمن شتمت له عرضا

---

[1] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الجهاد والسير, باب الدعا للمشركين بالهدى ليتألفهم, (ص:485), رقم(2937).
[2] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب أحاديث الأنبياء, باب, (ص:586), رقم(3477).
[3] () المنهاج شرح صحيح مسلم, (16/153).
[4] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب المناقب, باب صفة النبي , (ص:597), رقم(3560), ومسلم, كتاب الفضائل, باب مباعدته للآثام, واختياره من المباح أسهله, وانتقامه لله تعالى عند انتهاك حرماته, (ص:1026), رقم(2327).
[5] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر, (11/172), ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, لأبي الحسن المباركفوري, (7/345).
[6] () المصدر نفسه, (11/172).

فهذا عرضي، فليستقد[1] منه، ومن ضربت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يقولن أحدكم إني أتخوف الشحناء من رسول الله ألا، وإنها ليست من طبيعتي، ولا من خلقي، وإن أحبكم إلي من أخذ حقا إن كان له، أو حللني فلقيت ربي، وأنا طيب النفس» ، فقام رجل فقال: أنا أسألك ثلاثة دراهم، فقال: «من أين؟» قال: أسلفتكم يوم كذا، وكذا فأمر
الفضل بن عباس أن يقضيها إياه»[2].

2 – من أدى جميع الحقوق, ولا مظلمة عليه لأحد, وقلبه نقي طاهر من الغل والحقد, ويدل على ذلك ما يلي:

أ – حديث أبي سعيد الخدري ، قال: قال رسول الله : «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة» [3].

وجه الدلالة من الحديث على أن من ليس له مظلمة لأحدٍ فإنه لا يحبس على القنطرة[4]:

أن النبي بين أن هذا الحبس في هذه القنطرة إنما تكون لأجل القصاص بين المؤمنين لمظالم كانت بينهم في الدنيا, فمفهوم المخالفة منه يدل على أن من ليس له مظلمة لأحد فإنه لا يحبس. ويشهد لذلك مرسل

---

[1]() استقد:يقال صبر فلان من خصمه واصطبر: أي اقتص منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, (3/8).

[2]() اخرجه عبد الرزاق في مصنفه, باب قود النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه, رقم(18043), والطبراني في المعجم الأوسط, رقم(2629), وضعفه الألباني وله شواهد ترتقي إلى درجة حسن.

[3]() تقدم تخريجه, (ص:43).

[4]() انظر فتاوى اللجنة الدائمة, (3/463), رقم(2224).

الحسن وفيه أن النبي قال:«حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلامتهم في الدنيا»[1].

وقد تبين مما سبق أن الحكمة من وضع هذه القنطرة إنما هو من أجل اقتصاص المظالم والتنقية والتهذيب حتى يدخلوا الجنة وليس لأحد غل على أحد.

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"والناجي قد يكون عليه تبعات وله حسنات توازيها أو تزيد عليها فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها"[2].

وقال –رحمه الله تعالى-:"ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة"[3].

فلفظة المؤمنين الواردة في هذا الحديث ليست على عمومها وإنما المراد بعض المؤمنين.

قال العيني –رحمه الله تعالى- عند شرحه لقوله «يخلص المؤمنون من النار»:" والمراد بالمؤمنين هنا بعضهم "[4].

ب - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم[5] الألوة[6]، ورشحهم[7] المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف

---

[1]() تقدم تخريجه, (ص:47).

[2]() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/399).

[3]() المصدر السابق, (11/439).

[4]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/285), وفتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر (5/96).

[5]() المجامر: جمع مجمر ، فالمجمر بكسر الميم: هو الذي يوضع فيه النار للبخور. انظر النهاية في غريب الحديث, لابن الأثير, (1/293).

[6]() الألوة: ضرب من خيار العود وأجوده بفتح الهمزة وضمها. انظر النهاية في غريب الحديث, لابن الأثير, (1/63).

بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً»[1].
وجه الدلالة من الحديث:
أن النبي بين أن من صفات هذه الزمرة التي تلج الجنة أولاً أنهم لا اختلاف بينهم ولا تباغض, قلوبهم قلب رجل واحد, فقلوبهم سليمة صافية من كل غل وحقد.
ج – عموم الأدلة التي فيها أن القصاص إنما يكون على من كانت عنده مظالم لأحد من الناس, ومن ذلك حديث أبي هريرة الذي تقدم وفيه:«من كانت عنده مظلمة لأخيه من
عرضه أو شىء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم...» [2].
وجه الدلالة من الحديث:
أن من تحلل من مظالم العباد في هذه الدنيا فليس عليه قصاص في الآخرة, ولذلك أرشد النبي بأن يتحلل الناس من الحقوق ولا يخشون الفضيحة فإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة.
د – أن أكثر المفسرين أوردوا حديث أبي سـعيد الخـدري عند تفسيرهم لقوله تعالى وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ

---

[7]() الرشح: العرق لأنه يخرج من البدن شيئا فشيئا كما يرشح الإناء المتخلخل الأجزاء. انظر النهاية في غريب الحديث, لابن الأثير, (2/224).
[1]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب بدء الخلق, باب ما جاء في صفة الجنة, (ص:541), رقم(3245), ومسلم, كتاب الجنة ونعيمها, باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر, (ص:1231), رقم(2834).
[2]() تقدم تخريجه, (ص:49).

[3], مما يدل على أن من سلم من الغل والحقـد والحسـد فإنه لا يحبس على القنطرة.
قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فالنفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد، أو غير ممكن. بل إذا كان في النفس خبث طهرت وهذبت، حتى تصلح لسكنى الجنة"[1].
ولذلك بشر النبي رجلاً من أهل الأنصار بالجتة لسلامة قلبه من الغش والحسد.
عن أنس بن مالك ، قال: كنا يوما جلوسا عند رسول الله فقال:«يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة» ، قال: فطلع رجل من أهل الأنصار تنطف[2] لحيته من وضوئه، قد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان الغد، قال النبي مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت، قال: نعم، قال أنس : كان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار[3] انقلب على فراشه، وذكر الله وكبر حتى

---

[3]() وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق محمد بن المنهال عن يزيد بن زريع بهذا السند إلى أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية «ونزعنا ما في صدورهم من غل قال يخلص المؤمنون» الحديث.
[1]() مجموع الفتاوى, للشيخ الاسلام ابن تيمية (14/344).
[2]() تنطف: أي تقطر. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (5/127).
[3]() تعار: أي هب من نومه واستيقظ. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر, (1/190).

يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث، وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين والدي هجرة ولا غضب، ولكني سمعت رسول الله يقول ثلاث مرات: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة» ، فطلعت ثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت قال: فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشا، ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه إليه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك هي التي لا نطيق»[1].

ر - عن أبي بكر ، قال: سمعت رسول الله يقول:«أول من يقرع باب الجنة عبد أدى حق الله وحق مواليه», وفي رواية«لا يدخل الجنة بخيل، ولا خب، ولا خائن، ولا سيئ الملكة، وأول من يقرع باب الجنة المملوكون، إذا حسنوا فيما بينهم وبين الله عز وجل، وبينهم وبين مواليهم»[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

---

[1]() أخرجه الإمام أحمد في مسنده, رقم(12696), قال الشيخ شعيب الأرناؤوط:" إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في "مصنف عبد الرزاق" (20559) ، ومن طريقه أخرجه البزار في كشف الأستار, رقم(1981) ، والبيهقي في "الشعب" رقم(6605) ، وابن عبد البر (6/121-122).

[2]() أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده, رقم(7), والبيهقي في شعب الإيمان, رقم(8247), من طريق صدقة وقد ضعفه الأئمة كابن حجر وغيره, وله شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة :«إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه، كان له أجران» ، قال: فحدثتها كعبا، فقال كعب: «ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد» رقم(1666).

أن من أدى حق الله تعالى وحقوق العباد فإنه يدخل الجنة من أول وهلة.

3 – من دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى- عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري في القنطرة:"وخرج من هذا صنفان من المؤمنين من دخل الجنة بغير حساب ومن أوبقه عمله"[1].

وقال -رحمه الله تعالى-:"حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله قال:«فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، »: في هذا ما يدل على أن النبي يشفع فيما طلب من تعجيل الحساب فإنه لما أذن له في إدخال من لاحساب عليه دل على تأخير من عليه حساب ليحاسب"[2].

وقال السفاريني –رحمه الله تعالى-:"ثبت في عدة أخبار عن النبي المختار ما كر الليل على النهار أن طائفة من هذه الأمة بلا ارتياب, يدخلون الجنة بغير حساب, فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين، وأخذ الصحف بالشمال واليمين"[3].

وقال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"مع هذه الأمة سبعون ألفا يدخلون الجنة، لا يحاسبون، ولا يعذبون، من الموقف إلى الجنة بدون حساب ولا عذاب! اللهم اجعلنا منهم"[4].

ومن هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ما يلي:

أ – من حقق التوحيد:

---

[1]() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/439).
[2]() المصدر نفسه, (11/439).
[3]() لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية, (2/177).
[4]() شرح رياض الصالحين, (1/549).

معني تحقيق التوحيد:"تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي"[1].
قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلي العاطلة، وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة"[2].
"وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه"[3].
ومن حقق التوحيد فإن الجنة مضمونة له بغير حساب ولا عذاب, وهم مستثنون من القنطرة.
عن ابن عباس قال: خرج علينا النبي يوما فقال:«عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط[4]، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب» فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي فقال:

---

[1] () فتح المجيد شرح كتاب التوحيد, لعبد الرحمن بن حسن التميمي, (ص: 57).
[2] () القول السديد شرح كتاب التوحيد, (ص:28).
[3] ()كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين, عبد الرحمن بن حسن التميمي, (ص: 23).
[4] () رهط: أي ذوو ارتهاط وهو افتعال من الرهط أي مجتمعون رهطا رهطا والرهط: العصابة دون العشرة. انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر, للزمخشري, (2/96).

«هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ فقال: «سبقك بها عكاشة»[1].

ولعل هؤلاء هم الذين سماهم الحق ﷻ بالمقربين، وهم السابقون، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[2]، وهؤلاء ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[3].

عن أبي الدرداء ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[4] فأما الذين سبقوا بالخيرات، فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا، فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم، فأولئك الذين يحاسبون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾[5]»[6].

---

[1] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الطب, باب من اكتوى أو كوى غيره, وفضل من لم يكتوي, (ص:1008), رقم(5705), ومسلم, كتاب الإيمان, باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب, (ص:111), رقم(220).

[2] () سورة الواقعة, (10-12).

[3] () سورة الواقعة, (13-14).

[4] () سورة فاطر, (32).

[5] () سورة فاطر, (34-35).

[6] () أخرجه الإمام أحمد في مسنده, رقم(21727), وابن أبي حاتم في تفسيره, (10/3182), وابن كثير في تفسيره, (6/485), قال الشيخ شعيب:" إسناده ضعيف لانقطاعه بين علي بن عبد الله وأبي الدرداء، بينهما فيه أبو خالد البكري, ولم

فالأصناف الواردة في هذا الحديث أربعة وهم:

- **لا يسترقون:**

والرُّقية: "العوذة، معروفة, والجمع رقى. وتقول: استرقيته فرقاني رقية، فهو راق، وقد رقاه رقيا ورقيا. ورجل رقاء: صاحب رقى. يقال: رقى الراقي رقية ورقيا إذا عوذ ونفث في عوذته، والمرقي يسترقي، وهم الراقون"[1].

قال ابن الأثير:"الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات"[2].

ولا يسترقون:"استفعل بمعنى طلب الفعل، مثل استغفر; أي: طلب المغفرة، واستجار: طلب الجوار، وهنا استرقى; أي: طلب الرقية، أي لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم"[3].

"لأن طلب الرُّقية من الناس سؤال للمخلوق، والسؤال للمخلوق فيه ذِلّة، فهم يستغنون عن الناس، ويعتمدون على الله سبحانه وتعالى، وهذا من تمام التّوحيد: أن الإنسان لا يسأل الناس، والنبي بايع بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً، فكان أحدهم إذا سقط سوطه من على راحلته لا يقول لأحد: ناولني السوط، لأنهم يريدون الاستغناء عن الناس"[4].

- **لا يكتوون:**

الكي:"معروف وهو إحراق الجلد بحديدة ونحوها، كواه كيا. وكوى البيطار وغيره الدابة وغيرها بالمكواة يكوي كيا وكية، وقد كويته فاكتوى هو. وفي المثل: آخر الطب الكي"[5].

نتبينه".

[1] () لسان العرب, لابن منظور, (14/332).

[2] () النهاية في غريب الحديث والأثر, (2/254).

[3] () القول المفيد على كتاب التوحيد, لابن عثيمين, (1/102).

[4] () إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد, للفوزان, (1/89).

[5] () لسان العرب, لابن منظور, (15/235).

قال ابن الأثير -رحمه الله نهالى-:"الكي بالنار: من العلاج المعروف في كثير من الأمراض"[1].

ومعنى لا يكتوون:"لا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم استسلامًا للقضاء وتلذذًا بالبلاء"[2].

وقد ثبت في عدة أحاديث جواز الكي, من ذلك حديث جابر بن عبد الله : «أن النبي بعث إلي أبي بن كعب طبيبًا، فقطع له عرقًا وكواه»[3] فما الجمع بين حديث النهي وأحاديث الجواز؟

أجاب عن ذلك ابن القيم فقال –رحمه الله تعالى-: فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع:

أحدها: فعله . والثاني: عدم محبته له.

والثالث: الثناء على من تركه. والرابع: النهي عنه.

ولا تعارض بينها بحمد الله، فإن فعله له يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه. وأما الثناء على تاركيه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهية"[4].

- **لا يتطيرون:**

"الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء. وهو مصدر تطيّر. يقال: تطير طيرة، وتخير خرة، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما"[5].

---

[1]() النهاية في غريب الحديث والأثر, (4/212).

[2]() تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد, لسليمان بن عبد الله, (1/83).

[3]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب السلام, باب لكل داء دواء, واستحباب التداوي, (ص:977), رقم(2207).

[4]() زاد المعاد في هدي خير العباد, (4/60).

[5]() لسان العرب, لابن منظور, (4/512).

"فأصله: التشاؤم بالطير، ولكنه أعم من ذلك; فهو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان"[1].

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعال-:"وكانت العرب معروفة بالتطير، حتى لو أراد الإنسان منهم خيرا ثم رأى الطير سنحت يمينا أو شمالا حسب ما كان معروفا عندهم، تجده يتأخر عن هذا الذي أراده. ومنهم من إذا سمع صوتا أو رأى شخصا تشاءم. ومنهم من يتشاءم في شهر شوال بالنسبة للنكاح"[2].

قال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله تعالى-:"فهؤلاء السبعون الألف استحقوا هذه المنزلة، لأنهم تركوا أموراً محرمة وهي الطيرة، أو مكروهة وهي طلب الرقية والكي من الناس، فهم تركوها استغناء عن الناس، وتوكلاً على الله سبحانه وتعالى, ولذلك جاء في آخر هذه الصفات«وعلى ربهم يتوكلون», لأن انتفاء هذه الأمور عنهم يدل على قوة توكلهم"[3].

- **وعلى ربهم يتوكلون:**

التوكل لغة: "توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه. ووكل إليه الأمر: سلمه. ووكله إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه. وقيل توكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك, والاسم التكلان. واتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدته.

يقال:وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه"[4].

التوكل اصطلاحاً: تنوَّعت عبارات أهل العلم في تعريف التوكل، فقيل هو:"الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه.

---

[1]() القول المفيد على كتاب التوحيد, لابن عثيمين, (1/103).

[2]() المصدر نفسه, (1/103).

[3]() إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد, للفوزان, (1/89)..

[4]() انظر تهذيب اللغة للأزهري, (10/203), ولسان العرب لابن منظور, (11/736).

وقيل هو: اعتماد القلب على الله دون سواه في جلب المنافع ودرء المفاسد في الدنيا والآخرة، واعتقاد أنه تعالى هو النافع والضار دون سواه"[1].

وقال الحافظ ابن رجب –رحمه الله تعالى- :"فالتوكل علم وعمل: والعلم معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر، وعامة المؤمنين تعلم ذلك. والعمل: هو ثقة القلب بالله، وفراغه

من كل ما سواه، وهذا عزيز، ويختص به خواص المؤمنين"[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- "التوكل يجمع أصلين: علم القلب، وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، فبهذين الأصلين يتحقق التوكّل، وهما جماعه"[3].

قال العلامة سليمان بن عبد الله[4] –رحمه الله تعالى- عند شرحه لقوله «وعلى ربهم يتوكلون»:" فذكر

[1]() انظر: تلبيس إبليس, لابن الجوزي (ص315)، شرح النووي لصحيح مسلم: كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب (3/90-91).

[2]() لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف, (ص: 70).

[3]() طريق الهجرتين وباب السعادتين, (ص:257), وانظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (2/115).

[4]() هو: الحافظ المحدث الفقيه المجتهد، الثقة أوحد الحفاظ، تاج عصره جمال الزمان، الشيخ: سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة 1200 هـ, كان آية في العلم والحلم، والحفظ والذكاء، له المعرفة التامة في الحديث ورجاله، وصحيحه وحسنه وضعيفه، والفقه والتفسير والنحو. توفي سنة 1233?، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى. انظر: الدرر السنية, (16/386).

الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضى به ربًا وإلهًا، والرضى بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء، وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء، وَالله ذو الْفَضْلِ الْعظِيم"[1].

فهذا من صفات الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.

وهنا إشكال: هل يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وإن كانوا أصحاب معاصي ومظالم؟

الجواب: "أن الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة المذكورة في الحديث لا يكونون إلا عدولاً
مطهرين من الذنوب أو ببركة هذه الصفات يغفر الله لهم ويعفو عنهم"[2].

قال ابن رجب –رحمه الله تعالى-:"فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالاً ومهابة وخشية وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير

---

[1]() تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد, (1/84).

[2]() دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين, لمحمد بن إبراهيم البكري الشافعي, (2/267).

الأعظم، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات"[1].

ب – الصابرون:

تعريف الصبر لغةً: "حَبس النفس عن الجزع. يقال: صَـبَر فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْـته. قـال الله تعالى: وَ صـ بِـ رَسَـكَ مَـعَ لَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم [2] أي احبس نفسك معهم. يقال: قُتِل فلان صَبْراً وحَلَفَ صَبْراً، إذا حُبِسَ على القتـل حـتى يُقْتَـلَ أو على اليمن حـتى يحلف"[3].

اصطلاحاً:"هو حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي والتسخط ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما"[4].

وللصـبر فضائل كثيرة وعظيمة ورد ذكرها في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله ، وكذا في العديد من الآثار الواردة عن سلف الأمة وعلمائها رضي الله عنهم أجمعين.

ومن تلك الفضائل العظيمة والمناقب الجليلة أن الصابرين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قـال اللـه تعـالى: إِنَّمَـا يُـوَفَّى ٱلصَّـبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ[5].

قال ابن جرير الطبري –حمه الله تعالى-:"يقول تعالى ذكره: إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب. قال قتادة –رحمه الله نعالى-:"لا والله ما هُناكم مكيال ولا ميزان"[6].

---

[1] () جامع العلوم والحكم, (ص:417).
[2] () سورة الكهف, (28).
[3] (4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, للجوهري (2/706).
[4] (5) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين, لابن القيم (ص:26).
[5] (1) سورة زمر, (10).
[6] (2) جامع البيان في تأويل القرآن, (21/270).

عن أنس ابن مالك أن رسول الله قال:«تنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر بغير حساب قال الله تعالى:إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل»[1].

وعن أبي هريرة ، قال: جاءت امرأة إلى النبي بها لمم[2]، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يشفيني، قال: «إن شئت دعوت الله أن يشفيك، وإن شئت فاصبري، ولا حساب عليك», قالت: بل أصبر، ولا حساب علي»[3].

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله :«إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، نادى مناد: أين أهل الصبر، فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون إلى الجنة سراعًا، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنا نراكم سراعًا إلى الجنة؟ فمن أنتم؟! فيقولون: نحن أهل الصبر. فيقولون: وما صبركم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله وكنا نصبر عن معاصي الله. فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين»[4].

ج – الشهداء:

---

[1](3) أخرجه الطبراني في معجم الكبير, (12/182), رقم(12829), وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (5/241).

[2](4) اللمم: هُوَ طرف من الْجُنُون يُلمّ بالإنسان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, (4/272)

[3](5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده, رقم(9689), وابن حبان في مستدركه, رقم(2909), قال الشيخ شعيب الأرنؤوط:" إسناده حسن، محمد بن عمرو صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

[4](1) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء, (3/139).

الشهيد في اللغة: "الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام. من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام. يقال شهد يشهد شهادة. والمشهد: محضر الناس, ومنه الشهيد: القتيل في سبيل الله، سمي بذلك لأن ملائكة الرحمة تشهده، أي تحضره"[(1)].

اصطلاحاً:"هو بذل الجهد في قمع أعداء الإسلام بالقتال وغيره, لتكون كلمة الله هي العليا"[(2)].

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على فضل المجاهدين, وأن لهم أجرا عظيما ومقاما جليلا عند الله سبحانه وتعالى, ومن تلك الفضائل أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

عن نعيم بن همار[(3)]، أن رجلا سأل النبي : أي الشهداء أفضل؟ قال:«الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون[(4)] في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه»[(5)].

---

[1](2) معجم مقاييس اللغة, لابن فارس, (3/221). وانظر لسان العرب, لابن منظور, (3/238).

[2](3) الشرح الممتع على زاد المستقنع, للشيخ ابن عثيمين, (8/5).

[3](4) نعيم بن همار ويقال: هبار، ويقال: هدار، ويقال: حمار بالحاء المهملة، ويقال: بالخاء المعجمة، كل هَذَا قد قيل فِيهِ، وأصحها همار، وهو غطفاني. معدود فِي أهل الشام. انظر: أسد الغابة, (5/330).

[4](5) يتلبطون: أي يتمرغون. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (4/226).

[5](6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده, رقم(22476), قال الهيثمي في مجمع الزوائد, (5/292):"ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات". قال الشيخ شعيب:" حديث قوي، إسماعيل بن عياش صدوق في رواياته عن الشاميين أهل بلده، وهذا منها، وباقي رجاله ثقات، لكن سقط منه قيس الجذامي بين كثير ابن مرة

وعن أبي هريرة عن النبي قال:«عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، عفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله، ونصح مواليه»[1].
وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله يقول:«وإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب»[2].

4 – فقراء المهاجرين:

قال قتادة –رحمه الله تعالى-:"المهاجرون هم الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والأوطان حبا لله ولرسوله، حتى إن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها"[3].
قال الله تعالى: لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ[4].

وبين نعيم بن همار، وقيس صحابي، وهو ثابت في الإسناد", والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب, (2/66).

(1) أخرجه الترمذي في سننه, كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله , باب ما جاء في ثواب الشهداء, (ص:386), رقم(1642), وقال:" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ", وقال الحاكم في مستدركه, (1/544):"عامر بن شبيب العقيلي شيخ من أهل المدينة مستقيم الحديث، وهذا أصل في هذا الباب تفرد به عنه يحيى بن أبي كثير، ولم يخرجاه، وشاهده حديث الأعمش، عن عبد الله بن مرة".

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده, رقم (6571), وصححه محققوا المسند (11/133).

(3) فتح القدير للشوكاني, (5/239).

(4) سور الحشر, (8).

وهم: الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحوا المتنعمات الذين يعطون الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم.

عن ثوبان مولى رسول الله أن رسول الله قال في الحوض:«أول الناس له ورودا فقراء المهاجرين قيل من هم يا رسول الله؟ قال: الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحوا المتنعمات الذين يعطون الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم»[1].

ويدخل في حكمهم كل من اتصف بصفاتهم, ولذلك لما سمع عمر بن عَبْدِ الْعَزِيزِ- رحمه الله تعالى- هذا الحديث قال:"والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي حتى تشعث ولا أغسل ثوبي الذي يلي جلدي حتى يتسخ"[2].

وكذلك لما سأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: «ألك امرأة تأوي إليها؟» قال: نعم، قال: «ألك مسكن تسكنه؟» قال: نعم، قال: «فأنت من الأغنياء» ، قال: فإن لي خادما، قال: «فأنت من الملوك»[3], فلم ينكر عليه سؤاله, بل سأله بصفات لو كانت موجودة عنده لكان من فقراء المهاجرين.

ومن الأجور العظيمة التي أعدها الله لهم أنهم أول من يجوز الصراط, وأول زمرة تدخل الجنة من أمة النبي , ويسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً.

---

(1)[1] أخرجه الترمذي في سننه, كتاب صفة القيامة, والرقائقوالورع عن رسول الله , باب ما جاء في صفة أواني الحوض, (ص:550), رقم(2444), وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب, (3/131).

(2)[2] البعث والنشور, للبيهقي, (ً:119).

(3)[3] أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الزهد, باب «الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر», (ص:1289), رقم(2979).

عن ثوبان ، مولى رسول الله قال:"كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من أحبار
اليهود. فذكر الحديث في سؤاله إلى أن قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون» ، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال: صدقت»[1].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله :«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة»[3].

وقد بيّن الرسول في موضع آخر أن هؤلاء لم يكن عندهم شيء يحاسبون عليه، هذا مع جهادهم وفضلهم.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله :«أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: فقراء المهاجرين، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب، وإنما كانت

---

[1] (1) أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الحيض, باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائها, (ص:141), رقم(315).

[2] (2) أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الزهد, باب «الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر», (ص:2979), رقم(2979).

[3] (3) أخرجه الترمذي في سننه, كتاب الزهد عن رسول الله, باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم, (ص:530), رقم(2351), وصححه الألباني في صحيح الترمذي, (ص:530).

أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ قال: فيفتح لهم، فيقيلون فيه أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس»[(1)].

وعن أسامة بن زيد عن النبي قال:«قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار»[(2)], وأصحاب الجد هم الأغنياء من المسلمين.

قال العيني–رحمه الله تعالى- عند سياقه لأقوال أهل العلم على تفضيل الغني على الفقير أو الفقير على الغني, قال:"وأصحاب الأموال محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموالهم"[(3)].

4 – من أوبقه عمله فسقط في النار وخرج بالشفاعة منها فإنه لا يحبس في القنطرة:

قال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى- بعد ذكره للصراط المضروب على متن جهنم وما فيه من الأهوال:"فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا االصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه"[(4)].

---

[1](4) أخرجه الحاكم في مستدركه, (2/80), رقم(2389), وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه", والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (2/507).

[2](1) تقدم تخريجه, (ص:47).

[3](2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري, للعيني (6/132).

[4](3) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:768).

وقال–رحمه الله تعالى- :"هذا في حق من لم يدخل النار, أما من دخلها ثم أخرج منها, فإنهم لايحاسبون إلا إذا خرجوا"[1].
وقال ابن حجر –رحمه الله تعالى- عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري في القنطرة:"وخرج من هذا صنفان من المؤمنين من دخل الجنة بغير حساب ومن أوبقه عمله"[2].
واستدلوا لهذا الاستثناء بعموم الأحاديث التي فيها أن من دخل النار ثم أخرج منها بالشفاعة فإنه يبث على أنهار الجنة, وليس فيها ذكر الحبس في القنطرة.
أ - عن أبي سعيد ، قال: قال رسول الله :«أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر[3]، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل:يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل[4]»[5].
ب - وعن جابر بن عبد الله أن النبي قال:«ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها»[6].

[1] (3) المصدر نفسه, (ص:768).
[2] (4) فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/399).
[3] (1) ضبائر: هم الجماعات في تفرقة، واحدتها ضبارة،. انظر: النهاية, لابن الأثير, (3/71).
[4] (2) حميل السيل: وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره. انظر: النهاية في غريب الحديث, لابن الأثير, (1/443).
[5] (3) أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار, (ص:96), رقم(185).

ج - وعن أبي هريرة ، قال أن النبي قال:«إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا[1]، فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل, ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النار، فيقول: يا رب، قد قشبني[2] ريحها، وأحرقني ذكاؤها[3]، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو الله، فيقول:

لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره، ويلك ابن آدم ما أغدرك، فلا يزال يدعو، فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: رب أدخلني الجنة، ثم يقول: أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل له: تمن من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمن من كذا، فيتمنى، حتى

---

(4)[6] أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب أنى أهل الجنة منزلة فيها, (ص:99), رقم(191).

(5)[1] احتراق الْجلد وَظُهُور الْعظم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر, (4/302).

(6)[2] أي سمني، وكل مسموم قشيب ومقشب. انظر النهاية لإبن الأثير, (4/64).

(7)[3] شدة وهج النار، يقال ذكيت النار إذا أتممت إشعالها ورفعتها. انظر المصدر السابق, (2/165).

تنقطع به الأماني، فيقول له: هذا لك ومثله معه" قال أبو هريرة: «وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا»[1].

وهنا قد يرد إشكال أنه قد ورد في بعض النصوص أن القصاص يوم القيامة سيكون بين جميع الخلق, كما في حديث جابر بن عبد الله الذي تقدم وفيه «أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده مظلمة، حتى أقصه منه»[2], فكيف يوجه كلام بعض العلماء من أن بعض عصاة الموحدين لا يحبسون على القنطرة, مع أن الحديث السابق شامل للقصاص بين عموم أصحاب المظالم؟

والجواب فيما يظهر –والعلم عند الله سبحانه- أن هذه المقاصة سيكون فيما بينهم قبل دخولهم النار, والذي يدل عليه حديث المفلس الذي تقدم ذكره, وهو صريح أن هذه المقاصة تكون على عصاة الموحدين قبل دخولهم النار, بل هو دال أن سبب وقوعهم في النار إنما هو شتمهم, وأكل أموال الناس بغير حق, وضربهم لمن لا يستحق الضرب.

فالمقاصة في حق عصاة الموحدين إنما سيكون قبل دخولهم النار, أما بعد خروجهم من النار-وقد دخل أهل الجنة الجنة- فلا مقاصة لهم, لأنهم قذ هذبوا في النار, ولأن الله قد نزع الغل من قلوب أهل الجنة, والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الرقاق, باب الصراط جسر جهنم, (ص/1137), رقم(6573).

(2) تقدم تخريجه, (ص:53).

تمهيد

يحسن بنا قبل أن نبين ما جاء في كيفية المقاصة, أن نعرف القصاص تعريفاً موجزاً:

تعريف القصاص لغة:

القصاص لغة:"اسم بمعنى المقاصة، وهو مقاصة ولي المقتول القاتل، والمجروح الجارح، وهي مساواته إياه في قتل أو جرح، ثم عم في كل مساواة"[1].

قال ابن منظور –رحمه الله تعالى-:"القصاص والقصاصاء: القود وهو القتل بالقتل, أو الجرح بالجرح.

والتقاص: التناصف في القصاص. وتقاص القوم إذا قاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره.

والاقتصاص: أخذ القصاص. والإقصاص: أن يؤخذ لك القصاص، وقد أقصه.

يقال:أقص الأمير فلانا من فلان, إذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قودا. واستقصه: سأله أن يقصه منه.

والقصاص والتقاص في الجراحات شيء بشيء، وقد اقتص من فلان، وقد أقصصت فلانا من فلان أقصه إقصاصا، وأمثلت منه إمثالا فاقتص منه وامتثل.

والاستقصاص: أن يطلب أن يقص ممن جرحه.

يقال: أقصه الحاكم يقصه إذا مكنه من أخذ القصاص، وهو أن يفعل به مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح"[2].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى القصاص بين الخلق يوم القيامة سبباً من الأسباب التي تندفع بها العقوبة، وينتفي بسببها الوعيد، ويزول موجب الذنوب.

---

[1]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, للعيني, (12/285).

[2]() لسان العرب, (7/76), وانظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, للفارابي, (3/1053).

وهذه الأسباب تسمى موانع إنفاذ الوعيد، أي موانع إيقاع العذاب على مستحقه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:"وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن

عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب"[1].
وقال في موضع آخر:"والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب"[2].
ثم شرع في ذكر هذه الموانع بالتفصيل, وبين–رحمه الله تعالى- أن من مسقطات الذنوب القصاص يوم القيامة في المظالم التي حصلت في الدنيا.
قال رحمه الله تعالى-:"السبب الثامن والتاسع والعاشر من بلاء القبر وأهوال يوم القيامة واقتصاصهم من بعض, وذلك ما ثبت في الصحيحين «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[3].
فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن إلا نفسه، كما قال فيما يرويه عنه رسوله «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم أياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[4]"[5].
وهذه الأسباب العشرة عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة.
قال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله تعالى-:"فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن

---

[1]() مجموع الفتاوى, (7/487).
[2]() المصدر السابق, (10/45).
[3]() تقدم تخريجه,) ص:43).
[4]() تقدم تخريجه, (ص:92).
[5]() منهاج السنة النبوية, (6/238).

فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة"[6].

ومما يحسن التنبيه عليه ههنا أن التوبة وحدها هي التي يزول بها موجب الذنوب للمؤمن والكافر، أما باقي الموانع فهي خاصة بالمؤمن.

[6]() شرح العقيدة الطحاوية, (ص:327).

المبحث الثالث
ما جاء في المقاصة

قد بينا فيما سبق أن القصاص بين المؤمنين يوم القيامة يكون على نوعين:

1 – القصاص العام الذي يكون بين جميع الخلق بعضهم على بعض.

2 – القصاص الخاص الذي يكون بين المؤمنين بعضهم على بعض وذلك عند القنطرة.

وقد تنوعت النصوص في دلالتها على كيفية القصاص بين المؤمنين على النحو التالي:

1 – أن يلقي الله في قلوب المؤمنين العفو[1] لبعضهم عن بعض:

ومما تقرر سابقاً أنه ينبغي للظالم أن يتحلل من مظالمه في الدنيا, وذلك لأنه لا بد له من التعويض لمن ظلمه إما في الدنيا وإما في الآخرة, ولكن مع هذا, فإذا شاء الله تعالى أن يعوض المظلوم من عنده مظلمة, ويلقي في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض, فلا راد لفضله, ولا معقب لحكمه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- :"فإذا شاء الله أن يعوض المظلوم من عنده فلا راد لفضله كما إذا شاء أن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء"[2].

---

[1]()العفو في اللغة:"هو فعول من العفو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة. يقال: عفا يعفو عفوا، فهو عاف وعفو.
والعفو عفو الله، عز وجل، عن خلقه، والله تعالى العفو الغفور. وكل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه. ويقال: عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها".انظر لسان العرب, لابن منظور, (15/72), ومعجم مقاييس اللغة, لابن فارس, (4/56).

[2]() مجموع الفتاوى, (18/187).

وعلى هذا فيكون معنى حديث أبي سعيد الخدري «فيقتص لبعضهم من بعض», هو أن يتتاركوا المظالم التي بينهم. انظر لسان العرب, لابن منظور, (15/72), ومعجم مقاييس اللغة, لابن فارس, (4/56).

قال العيني –رحمه الله تعالى-:" يقال:معنى يتقاصون يتتاركون، لأنه ليس موضع مقاصة ولا محاسبة، لكن يلقي الله عز وجل، في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض, أو يعوض الله بعضهم من بعض"[1].

أو يرضي الله سبحانه وتعالى الخصم حتى يعفو المظلوم عن أخيه, وذلك كله محض فضله
عز وجل على العافي والمعفو عنه.

أما فضله سبحانه على العافي فذلك بالأجر العظيم الذي أعده للعافين عن الناس.

قال الله تعالى:﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:" يقول جل ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه, «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» يقول: إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه"[3].

وقد جعل الله تعالى العافين عن الناس من المتقين الذين لهم المغفرة والجنة عرضها السماوات والأرض, وأنهم من المحسنين الذين يحبهم ويتولاهم.

قال الله تعالى:﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ

---

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/286).
[2] سورة الشورى, (40).
[3] جامع البيان في تأويل القرآن, (21/548).

وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"هم الصافحين عن الناس عقوبَةَ ذنوبهم إليهم وهم على لانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم. فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعدَّ للعاملين بها الجنة التي عرضُها السموات والأرض"[2].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله :«إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول: أين العافون عن الناس؟ هلموا إلى ربكم، وخذوا أجوركم، وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا
أن يدخل الجنة»[3].

أما فضله سبحانه على المعفو عنه فظاهر حيث يُدْخله الجنة دون الوقوف على القنطرة.

قال البيهقي -رحمه الله تعالى- عند شرحه لقول النبي :«حتى إذا هذبوا ونقوا» قال: بأن يرضى عنهم خصماؤهم، ورضاهم قد يكون بالاقتصاص، وقد يكون بأن يثيب الله المظلوم خيرا من مظلمته، ويعفو عن الظالم برحمته"[4].

وقد عقد الامام القرطبي –رحمه الله تعالى- باباً في كتاب التذكرة:"باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة"[5].

---

[1] () سورة آل عمران, (133-134).

[2] () جامع البيان في تأويل القرآن, (7/215).

[3] () أخرجه السيوطي في الدر المنثور, (7/359), والثعلبي في تفسيره, (8/232), والماوردي في النكت والعيون, (5/207), والبيهقي في الشعب, (9/524).

[4] () شعب الإيمان, (1/523).

[5] () التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:660), والبدور السافرة في أحوال الآخرة, للسيوطي, (ص:392).

وقال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله تعالى-:" وكذلك بنو آدم، يقام القصاص بينهم يوم القيامة، فيُقْتَصُّ من المظلومين للظلمة، ولا يُترك من حقوقهم شيء إلاَّ إذا سمحوا بها"[1].

وقد جاءت نصوص تدل على هذا الأمر من ذلك ما يأتي:

عن العباس بن مرداس[2] أن رسول الله دعا عشية عرفة، لأمته بالمغفرة والرحمة, فأكثر الدعاء، فأجابه الله عز وجل: أن قد فعلت، وغفرت لأمتك إلا من ظلم بعضهم بعضا، فقال:«يا رب إنك قادر أن تغفر للظالم، وتثيب المظلوم خيرا من مظلمته، فلم يكن في تلك العشية، إلا ذا فلما كان من الغد دعا غداة المزدلفة، فعاد يدعو لأمته، فلم يلبث النبي أن تبسم، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ضحكت في ساعة لم تكن تضحك فيها، فما أضحكك، أضحك الله سنك[3] قال:«تبسمت من عدو الله إبليس، حين علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي، وغفر للظالم، أهوى يدعو بالثبور والويل، ويحثو التراب على رأسه، فتبسمت مما يصنع جزعه»[4].

---

[1] () إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد, (1/58).

[2] () هو عباس بْن مرداس بْن أَبِي عامر بن جارية بْن عبد بْن عبس بْن رفاعة بْن الحارث سليم بْن مَنْصُور السلمي وقيل في نسبه غير ذلك، يكنى أبا الهيثم، وقيل: أَبُو الفضل.أسلم قبل فتح مكة بيسير, وكان العباس من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب من قومه، فأسلموا وأسلم قومه, وكان شاعرا محسنا، وشجاعا، ومشهورا, وكان ينزل البادية بناحية البصرة.انظر: أسد الغابة, (3/167), والإصابة, (3/513).

[3] () أي: أدام الله لك السرور الذي سبب ضحكك.انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, (9/149).

[4] () أخرجه الإمام أحمد في مسنده, (16207), وأبو يعلى في مسنده, (1578), وأبو داود في سننه, كتاب أول كتاب السنة, باب في الرجل يقول للرجل: أضحك الله سنك, (5234), وقال

قال البيهقي -رحمه الله تعالى-: " وهذا الحديث له شواهد كثيرة، وقد ذكرناها في كتاب البعث، فإن صح بشواهده ففيه الحجة، وإن لم يصح فقد قال الله عز وجل: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]**,** وظلم بعضهم بعضا دون الشرك"[2].

ب - عن أبي هريرة قال:«بينما رسول الله ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء، فقال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ، ثم قال:«إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم»، ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره ما أعجبه من الخير والنعمة فقال: لمن هذا يا رب؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه. قال ومن يملك ثمن ذلك؟ قال أنت. قال: بم إذاً؟ قال بعفوك عن أخيك. قال يا رب فإني قد عفوت عنه. قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. ثم قال رسول الله «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»[3].

الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب, (1/186), "الحديث ضعيف", إلا أن للحديث شواهد كثيرة, قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه, (2/238):" ويعتضد بكثرة طرقه وهو بمفرده يدخل في حد الحسن على رأي الترمذي ولا سيما بالنظر في مجموع طرقه، وقد أخرج أبو داود في سننه طرفا منه وسكت عليه فهو صالح عنده".

[1]() سورة النساء, (48).

[2]() شعب الايمان, (1/524).

[3]() أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله, رقم(118), ورواه الحاكم في مستدركه, (4/620), رقم(8718),

ج - عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ : «إذا التقى الخلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد يسمع الخلائق: يا أهل الجنة تتاركوا المظالم وثوابكم عليّ»[1].

د – عن أبي هريرة ، عن النبي قال:«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله»[2].

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"فقد نطق الحديث بأن الله يؤدي عنه إما بأن يفتح عليه في الدنيا وإما بأن يتكفل عنه في الآخرة"[3].

وقال:"والظاهر أنه لا تبعة عليه والحالة هذه في الآخرة بحيث يؤخذ من حسناته لصاحب الدين, بل يتكفل الله عنه لصاحب الدين كما دل عليه حديث الباب"[4].

وقال ملا علي القاري –رحمه الله تعالى-:"من استقرض احتياجا وهو يقصد أداءه ويجتهد فيه «أدى الله عنه»: أي:

وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد, (10/353).

1() أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط, رقم(5144), وقال:"لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا سدوس، تفرد به: أبو عون", قال الهيثمي في مجمع الزوائد, (10/356): "رواه الطبراني في "الاوسط" وفيه الحكم بن سنان أبو عون، قال أبو حاتم: "عنده وهم كثير وليس بالقوي، ومحله الصدق، يكتب حديثه"، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات", وحسن إسناده السيوطي في البدور السافرة, (394), فقال:"أخرجه الطبراني بسند حسن".

2() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس, باب من من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها, (ص:383), رقم(2387).

3() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (5/54).

4() المصدر السابق, (5/54).

أعانه على أدائه في الدنيا أو أرضى خصمه في العقبى"[1].

"فتأدية الله عنها يشمل تيسيره تعالى لقضائها في الدنيا بأن يسوق إلى المستدين ما يقضي به دينه، وأداؤها عنه في الآخرة بإرضائه غريمه بما شاء الله تعالى"[2].

قال الشوكاني –رحمه الله تعالى-:"بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دينه وإن كان له مال ولم يقض منه الورثة"[3].

فمن مات عازماً على القضاء ويجتهد فيه فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله تعالى يقضي عنه.

فعن عبد الرحمن بن أبي بكر[4] ، أن رسول الله قال:«يدعى بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل فيقول: يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين، وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع، ولكن أتى على يدي إما حرق وإما سرق وإما وضيعة، فيقول

---

[1] () مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, (5/1958).

[2] () انظر سبل السلام, (2/70).

[3] () نيل الأوطار, (4/30), وانظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي, لأبي العلا المباركفورى, (4/164).

[4] () هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان وهو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة القرشي التيمي، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد، وأمه أم رومان. سكن المدينة.
وكان عبد الرحمن شقيق عائشة، وشهد بدرا وأحدا مع الكفار، ودعا إلى البراز، فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول الله : " متعني بنفسك ". وكان شجاعا راميا حسن الرمي، وأسلم في هدنة الحديبية، وحسن إسلامه، وكان اسمه عبد الكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن.
وكان موته سنة ثلاث وخمسين، وقيل: سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين، والأول أكثر. انظر: أسد الغابة, (3/463), وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة, (5/151).

الله: صدق عبدي وأنا أحق من قضى عنك، فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل
الجنة بفضل رحمته»[1].

وعن أبي أمامة مرفوعا:«من دان بدين في نفسه وفاؤه ومات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء، ومن دان بدين وليس في نفسه وفاؤه ومات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة»[2].

وعن عائشة أنها كانت تدان، فقيل لها: ما لك والدين وليس عندك قضاء؟ قالت: إني سمعت رسول الله ، يقول:«ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان له من الله عز وجل عون، فأنا ألتمس ذلك العون»[3].

- وينبغي أن يُعلم أن هذا العفو من الله عز وجل إنما هو لبعض الناس ممن أراد الله أن يعفو عنه وذلك بمحض فضله ورحمته.

---

[1] () أخرجه الإمام أحمد في مسنده, رقم(1708), والبزار في كشف الأستار, رقم(1332), كلهم قالوا: عن صدقة بن موسى: حدثنا أبو عمران: حدثني قيس بن زيد عن قاضي المصرين, عن عبد الرحمن بن أبي بكر مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد, (4/136):"وفيه صدقة الدقيقي، وثقه مسلم بن إبراهيم، وضعفه جماعة", وحسن إسناده السيوطي في البدور السافرة, (ص/392).

[2] () أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, رقم(7937), والحاكم في مستدركه, رقم(2206), من طريق بشر بن نمير، عن القاسم، عن أبي أمامة . وبشر بن نمير متروك. وللحديث شواهد تصل إلى درجة الحسن لغيره.

[3] () أخرجه الحاكم في مستدركه, رقم(2202), من طريق ابن مجبر، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة, قال الذهبي:"ابن مجبر وهاه أبو زرعة وقال النسائي متروك لكن وثقه أحمد", وقال الحاكم, (2/26): "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

قال القرطبي –رحمـه اللـه تعـالى-:"وهـذا لبعض النـاس ممن أراد الله بهـا أن لا يعذبـه بـل يعفـو عنـه ويغفـر لـه ويرضى عنه خصمه وقد يكون هذا في الظـالمين الأوابين وهو قولـه تعـالى ﴿فَـإِنَّهُۥ كَـانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُـورٗا﴾[1] والأواب: الذي أقلع عن الذنب فلم يعد إليه.

أو يكون ذلك فيمن يكون له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به ويرضى خصماؤه"[2].

ودل على ذلك حديث عائشة –رضي الله عنها- وفيه:«وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيء, فظلم العباد بعضهم بعضاً, القصاص لا محالة»[3].

إذاً العفو قد يكون لبعض المؤمنين دون البعض وكل ذلك يرجع إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى, فمن شاء الله عفا عنه, ومن شاء عذبه.

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:" كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله"[4].

وقال الامام السفاريني –رحمه الله تعالى-:"هذه المسألة يترجمها بعض القوم بمسألة وعيد الفساق، وبعضهم بمسألة عقوبة العصاة، وبعضهم بمسألة انقطاع عذاب أهل الكبائر، وضابطها أن يرتكب المؤمن كبيرة؛ غير مكفرة بلا استحلال ويموت بلا توبة، فأهل السنة لا يقطعون له بالعقوبة ولا بالعفو، بل هو في مشيئة الله ﷻ"[5].

1() سورة الإسراء, (25).

2() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:662), وانظر شعب الايمان, للبيهقي, (9/367-369).

3() تقدم تخريجه, (ص:55).

4() انظر تفسير الطبري 8/450، وتفسير ابن كثير 2/286-291) .

5() لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية, (1/389).

وقال عبد الرحمن بن حسن –رحمه الله تعالى-:"فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا. فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه ونجاه بتوحيده من الخلود في النار"[1].

فالأمر يرجع إلى محض المشيئة الإلهية, "ونحن نعلم أنا حين نرد الأمر إلى محض المشيئة الإلهية فإنما نرده إلى مشيئة عليم حكيم, لا يضع العفو والعقاب إلا في محلهما اللائق بهما, يقول الله تعالى:﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2], فذيل الآية بما يدل من أسمائه الحسنى على علمه التام وحكمته البالغة, لأن العفو عن أصحاب الكبائر مبني على هاتين الصفتين"[3].

---

[1] ()كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين, (ص:13).

[2] () سورة التوبة, (106).

[3] () موانع إنفاذ الوعيد, دراسة لأسباب سقوط العذاب في الآخرة, لعيسى السعدي, (ص:212).

2 – أن يكون القصاص بينهم بالحسنات[1] والسيئات[2]:

مما هو معلوم أن التعامل بين الناس في الدنيا يكون بالدرهم والدينار، لكن في الآخرة سيكون التعامل بالحسنات والسيئات، ورأس مال العبد في ذاك اليوم حسناته، فمِنَ الناس مَن يأتي بحسنات يوم القيامة لكن

---

[1] () الحسنات لغة: جمع حسنة, وهي فعلة من الحُسن.
قال ابن فارس:" الحاء والسين والنون أصل واحد. فالحسن ضد القبح. يقال رجل حسن وامرأة حسناء وحسانة". معجم مقاييس اللغة, (2/57).
وقال الراغب:" الحُسْنُ: عبارة عن كلّ مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل. ومستحسن من جهة الهوى. ومستحسن من جهة الحسّ. والحسنةُ يعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله".المفردات في غريب القرآن, (ص:235).
تعريف الحسنات شرعاً:"هي ما أحبه الله تعالى ورسوله , وأمر به أمر إيجاب أو استحباب" الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية, (5/173).

[2] () السيئات جمع سيئة, وهي اسم فاعل من ساء يسوء إذا قَبُحَ.
قال ابن فارس:"فأما السين والواو والهمزة... إنما هي من باب القبح. تقول رجل أسوأ، أي قبيح، وامرأة سوآء، أي قبيحة. ولذلك سميت السيئة سيئة. وسميت النار سوأى، لقبح منظرها".معجم مقاييس اللغة, (3/113).
تعريف السيئات شرعاً: كما قيل في تعريف الحسنات يقال في تعريف السيئات, فأكثر العلماء على تعريفها بمرادف لها, كتعريفها بالمعاصي.

عليه مظالم للعباد، فيأخذون من حسناته بقدر ما لهم من حقوق.
ومن الناس مَن تفنى حسناته، ويبقى عليه من المظالم، فتؤخذ من سيئات مَن ظلمهم فتُطْرح عليه، وهذا هو المفلس الذي أخبر عنه النبي .
ولله در القائل[1]:

أما والله إن الظلم شُؤْمٌ ... ولا زال المسيءُ هو الظلُوم
ستعلم يا ظلومُ إذا التقينا ... غداً عند المليكِ مَن المَلُوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق. ولا فرق في ذلك بين القاتل وسائر الظالمين. فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته. وإن لم يعوضه في الدنيا فلا بد له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فالحسنات والسيئات يراد بها المسار والمضار ويراد بها الطاعات والمعاصي".مجموع الفتاوى, (10/45).
وعرفها الشوكاني –رحمه الله تعالى- فقال:"والمراد بالسيئة: إما الشرك، أو المعاصي التي ليست بشرك، وهي ما يتلبس به العصاة من المعاصي".فتح القدير, (2/499).

[1] () القائل هو علي بن أبي طالب كتب هذه الأبيات فأرسلها إلى معاوية بن أبي سفيان . انظر: شعب الإيمان, للبيهقي, (9/549).

من الحسنات حتى إذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا"[1].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-:"إن حقوق الآدميين لا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات"[2].

وقال العيني –رحمه الله تعالى-:"وقيل:لا قصاص في الآخرة في العرض والمال وغيره إلا بالحسنات والسيئات"[3].

وقال ابن الوزير –رحمه الله تعالى-:"وقد صح أن القِصاص إنما هو بالحسنات والسيئات إن كان للظالم حسناتٌ، أخذ منها المظلوم بقدر مَظْلِمَتِهِ، وإن لم تكن له حسنات، حَمَلَ الظالم من ذنوب المظلوم بقدر مظلمته"[4].

أما كيفية القصاص بالحسنات والسيئات فبأن يعطى خصماء المؤمن المسيء من أجر حسناته ما يوازي عقوبة سيئاته, فإن فنيت حسناته أخذ من خطايا خصومه فطرحت عليه ثم يعذب إن لم يعف عنه.

قال الإمام البيهقي –رحمه الله تعالى-:"وذلك بأن يعطي خصمه من أجر حسناته الذي تقابل عقوبة سيئاته، ولا يذهب جميعه لأن أجر حسناته لا نهاية له، وعقوبة سيئاته له نهاية فلا يستحق ما لا نهاية له بما له نهاية، فإن فنيت حسناته يعني آخرها قابل منها بسببه، والله أعلم"[5].

وقال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"عندي أنه يعطى خصماء المؤمن المسيء من أجر حسناته ما يوازي عقوبة سيئاته, فإن فنيت حسناته أخذ من خطايا خصومه

---

[1]() مجموع الفتاوى, (18/187), وانظر فتح الباري لابن حجر, (8/550).

[2]() التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد, (22/83).

[3]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/286).

[4]() العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم, (9/7).

[5]() شعب الإيمان, (1/522), وانظر البدور السافرة في الأحوال الآخرة, للسيوطي, (ص:392).

فطرحت عليه ثم يعذب إن لم يعف عنه, فإذا انتهت عقوبة تلك الخطايا أدخل الجنة بما كتب له من الخلود فيها بإيمانه, ولا يعطى خصماؤه ما زاد من أجر حسناته على ما قابل عقوبة سيئاته يعني من المضاعفة لأن ذلك من فضل الله يختص به من وافى يوم القيامة مؤمنا والله أعلم"[1].

وقال ابن بطال -رحمه الله تعالى-:" فالمقاصة أصلها فى كلام العرب مقاصصة، وهى مفاعلة، ولا تكون المفاعلة أبدا إلا من اثنين، كالمقاتلة والمشاتمة، فكأن كل واحد منهم له على أخيه مظلمة وعليه له مظلمة، ولم يكن فى شىء منها ما يستحق عليه النار فيتقاصون بالحسنات والسيئات، فمن كانت مظلمته أكثر من مظلمة أخيه أخذ من حسناته فيدخلون الجنة، ويقتطعون فيها المنازل على قدر ما بقى لكل واحد منهم من الحسنات، فلهذا يتقاصون بالحسنات بعد خلاصهم من النار - والله أعلم - لأن أحدا لا يدخل الجنة ولأحد عليه تبعة"[2].

ومما يدل على أن المقاصة في القنطرة تكون بالحسنات والسيئات ما يلي:

أ – حديث أبي سعيد الخدري وفيه أن النبي قال:«فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[3].

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:" حتى إذا هذبوا ونقوا بضم الهاء وبضم النون وهما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات"[4].

---

[1] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/397).
[2] () شرح صحيح البخاري, لابن بطال, (6/568-569).
[3] () تقدم تخريجه, (ص:43).
[4] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/399).

وقال العيني –رحمه الله تعالى-:"قوله: «وهذبوا» ، على صيغة المجهول من التهذيب، وهو التلخيص من الآثام بمقاصصة بعضهم ببعض"[1].

ومعلوم أن القصاص يوم القيامة لا يكون إلا بالحسنات والسيئات كما في حديث عبد الله بن أنيس وفيه:« ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة, قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟ قال: " بالحسنات والسيئات»[2].

ب - عن أبى هريرة قال: قال رسول الله :«أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح فى النار»[3].

ج – عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله : «لا تموتن وعليك دين، فإنما هي
الحسنات والسيئات، ليس ثم دينار ولا درهم، جزاء وقصاص ليس يظلم الله أحدا»[4].

د - عن سلمان الفارسي ، أن رسول الله قال: «يجيء الرجل يوم القيامة من الحسنات ما يظن أن ينجو بها فلا يزال يقوم رجل قد ظلمه مظلمة فيؤخذ من حسناته فيعطى المظلوم حتى لا تبقى له حسنة، ثم

---

[1] () عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/286).
[2] () تقدم تخريجه, (ص:57).
[3] () تقدم تخريجه, (ص:56).
[4] () تقدم تخريجه, (ص:56).

يجيء من قد ظلمه ولم يبق من حسناته شيء فيؤخذ من سيئات المظلوم فتوضع على سيئاته»[1].

ر - عن أبى هريرة أن النبى قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه»[2].

فتبين من خلال هذه النصوص أن القصاص بالحسنات والسيئات يوم القيامة أمر ثابت, وأنه عين العدل والحق, ولكن مع ذلك فإن هناك بعض المتغفلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله إعجاباً برأيهم وتحكماً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة، قالوا: لا يجوز في حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها، وهذا زعموا جوراً وأولوا قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3] فكيف تصح هذه الأحاديث وهي تخالف ظاهر القرآن وتستحيل في العقل؟ .

وهذا القول لا شك في بطلانه لوجوه عديدة, سنذكرها عند ذكر موقف المعتزلة من القنطرة والرد عليهم[4].

- ✓ **على أي نـوع من المظـالم تكـون القصـاص يوم القيامة.**

قال ابن بطال –رحمه الله تعالى-:"قيل:أن هذه المقاصة إنما تكون فى المظالم فى الأبدان من اللطمة وشبهها مما المظالم فيه ممكن لأداء القصاص فيه بحضور بدنه، فيقال للمظلوم: إن شئت أن تنتصف، وإن شئت أن تعفو

1() تقدم تخريجه, (ص:50).
2() تقدم تخريجه, (ص:49).
3() سورة الأنعام, (164).
4() انظر الفصل السادس, المبحث الثاني: في موقف المعتزلة من القنطرة, ورد عليهم, (ص:289).

للأجر. وقيل: الآثار تدل على أنه لا قصاص فى الآخرة فى العرض والمال وغيره إلا بالحسنات والسيئات، فمن ظلم غيره وكانت له حسنات أخذ منها وزيدت فى حسنات المظلوم، وإن لم يكن للظالم حسنات أخذ من سيئات المظلوم وردت على الظالم, قيل: فيه نظر، لأن رسول الله قال:«إذا فرغ الله من القضاء أقبل على البهائم حتى إنه ليجعل للجماء التي نطحتها القرناء قرنين فتنطح بهما الأخرى»"[1].

والذي يتبين من خلال النصوص أن القصاص يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات وأنها
واقعة على جميع المظالم التي كانت بينهم في الدنيا المتعلقة بالأبدان والأموال[2].

أما من استدل بحديث الاقتصاص بين البهائم على أن القصاص يوم القيامة يكون بالأبدان, فالجواب أن يقال: أن هذا القصاص ليس قصاص التكليف, إذ لا تكليف بين البهائم وإنما ذلك من أجل إظهار عدل الله , وأنه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع، بل يقتص حق المظلوم من الظالم.

قال ملا علي القاري -رحمه الله تعالى- "فإن قيل : الشاة غير مكلفة ، فكيف يقتص منها؟ قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل ، والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع ، بل يقتص حق المظلوم من الظالم, وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين ، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف ، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف ، والقوي والضعيف؟"[3].

---

[1]() شرح صحيح البخاري, (6/569). وانظر عمدة القاري, للعيني, (12/286).

[2]() انظر عمدة القاري, شرح صحيح البخاري, للعيني, (12/286).

[3]() مرقاة المفاتيح, للشيخ علي القاري (4/761).

✓ **تنبيه مهم:**

أمور الآخرة غيبية, لا حكم لنا فيها, إلا بما ثبت من النصوص, ولذلك فإن وظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التسليم لنصوص الوحي.

قال الشيخ ابن العثيمين –رحمه الله تعالى-:"ووظيفة الإنسان في الأمور الغيبية التسليم وأخذ الأمور على ظاهر معناها دون أن يتعمق أو يحاول القياس بينها وبين الأمور في الدنيا، فإن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا، وإن كانت تشبهها في أصل المعنى وتشاركها في ذلك، لكن بينهما فرق عظيم"[1].

وقال –رحمه الله تعالى-:" فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينها. والله المستعان"[2].

---

[1]() شرح العقيدة السفارينية, (ص:436).

[2]() عقيدة أهل السنة والجماعة, (ص:27).

المبحث الرابع
الحكمة[1] من تأخير حساب أهل القنطرة

كل مسلم يعلم أن الله تعالى حكيم عليم, يفعل ما يشاء لحكمة, وقد يعرف الناس بعض الجوانب من الحِكَم, وقد تخفى عليهم, وإذا كان الناس ينزهون العقلاء من بني

---

[1]() الحكمة لغة: من الحكم وهو المنع يقصد به الإصلاح, والمنع من الظلم.
قال ابن فارس:"حكم, والحاء والكاف والميم أصل واحد؛ وهو المنع، وأول ذلك الحكم, وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها. ثم قال:"والحكمة هذا قياسها, لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعتُه عما يريد". معجم مقاييس اللغة, (2/91), وانظر لسان العرب, لابن منظور, (12/144).
وقال ابن منظور:"والحِكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء، وبأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم".لسان العرب, (12/140).
فالحكمة إذن في أصلها اللغوي ترشد إلى المنع من الظلم، والتوجيه نحو الإصلاح عن علم وبصيرة؛ أو بعبارة أخرى، يمكن القول بأن:"الحكمة في أصلها إصابة الحق بالعلم". انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر, (10/ 522).
تعريف الحكمة اصطلاحاً:
قال ابن القيِّم –رحمه الله تعالى:"الحِكْمَة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي". وقال الامام النَّووي –رحمه الله تعالى-: "الحِكْمَة، عبارة عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك". المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, (2/33).
وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هو:«الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه». انظر: مفهوم الحكمة

آدم عن إتيانهم أعمالاً لاحكمة فيها ولا فائدة من ورائها, فكيف بالله سبحانه وتعالى؟
وليس من صفات المسلم الحق أن يرد ما أخبر الله به, أو يتأوله بما يبطل المراد منه.
قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فالله سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا بغير معنى ومصلحة وحكمة، والحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله ﷺ على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى, ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها"[1].
وقال –رحمه الله تعالى-:" وكيف يتوهم ذو الفطرة الصحيحة خلاف ذلك وهذا الوجود شاهد بحكمته وعنايته بخلقه أتم عناية, وما في مخلوقاته من الحِكَم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة أعظم من أن يحيط به وصف أو يحصره عقل, ويكفي الإنسان فكره وخلقه وأعضائه ومنافعها وقواه وصفاته وهيأته فإنه لو استنفد عمره لم يحط علما بجميع ما تضمنه خلقه من الحكم والمنافع على التفصيل والعالم كله علويه وسفليه بهذه المثابة"[2].
وجميع أسماء الله الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة.
قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وجماع ذلك أن كمال الرب تعالى وجلاله, وحكمته, وعدله, ورحمته, وقدرته, وإحسانه, وحمده, ومجده, وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله

في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة, لصالح بن عبد الله بن حميد, (ص:13).
[1]() شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, (ص:190).
[2]() المصدر نفسه, (ص:204).

صادرة منه لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد ببطلانه"[1].

ومن ذلك أمر القنطرة, فقد أخبر النبي ﷺ بها, فيجب الإيمان بذلك, وأن لله حِكَما عظيمة في وضعها يوم القيامة, من ذلك ما يأتي:

1 - وهي أعظمها وأجلها: إظهار أقصى كمال عدله جل وعلا بين المؤمنين, حتى لايساوى المحسن والمسيء, وليظهر التفاوت بين المؤمنين جلياً واضحاً, يقتنع كل منهم بذلك, ولا يبقي حجة ولا اعتراض لمعترض, ولله الحجة البالغة[2].

2 – إظهار فضل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين خاصة حيث يلقي في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض.

فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين العدل والفضل, فهذا مما تواترت الأدلة على إثباته.

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ٤٤﴾[3].

وقال سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[4].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"إن الله لا يظلم عبدًا وجب له مثقال ذَرّة قِبَل عبد له آخر في مَعاده ويوم لقائه فما فوقه، فيتركه عليه فلا يأخذه للمظلوم من ظالمه، ولكنه يأخذه منه له، ويأخذ من كل ظالم لكل مظلوم تَبِعَتَهُ قِبَله «وإن تك حسنة يضاعفه», يقول: وإن تُوجد له حسنة يضاعفها، بمعنى: يضاعف له ثوابها وأجرها"[5].

---

[1] () المصدر السابق, (ص:204).

[2] () سيأتي مزيد بيان لهذا في المبحث الثالث من الفصل الرابع, (ص:201).

[3] () سورة يونس, (44).

[4] () سورة النساء, (40).

[5] () جامع البيان في تأويل القرآن, (8/365).

3 – أن الله عز وجل فعال لما يريد, لا معقب لحكمه، ولا يعـترض عليـه أحـد, لعظمتـه وجلالـه وكبريائـه، وعلـوه وحكمته وعدله ولطفه سبحانه.

كما قال تعالى: لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣[1].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:" يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حِكَمه فيهم؛ لأنهم خلْقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولمَ لم تفعل؟ «وَهُمْ يُسْأَلُونَ» يقول جلّ ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه"[2].

وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، «وهم يسألون» أي: وهو سائل خلقه عما يعملون"[3].

فالمؤمن مأمور بتصديق الأخبار التي جاءت عن الله سبحانه ورسوله ﷺ, والتسليم التام لهما, دون أن يسأل عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والأخبار.

قال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله تعالى-:"اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله - على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع. ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي

---

[1]() سورة الأنبياء, (23).

[2]() جامع البيان في تأويل القرآن, (18/425).

[3]() تفسير القرآن العظيم, (5/337), ومحاسن التأويل, للقاسمي, (7/187).

صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها... ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولا ومعارف وعلوما - لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم"[1].

وما دام النص قد ثبت بتأخير حساب أهل القنطرة فليس لأحدٍ أن يعترض على ربه, ويسأله لماذا أبقيت حساب هؤلاء إلى هذا المكان؟

4 – "أنه لا يلزم أن يحاسب الله تعالى المؤمنين عن كل شيء في مكان واحد, خصوصاً عن مثل هذه التبعات التي لا تؤثر في دخولهم الجنة ونجاتهم من النار, فربما أن الله تعالى أخرها لتكون سعادتهم أكمل, ولتكون بمثابة استعداد تام لدخول الجنة وهم على طهارة تامة من الغل وشوائب النقص الأخرى, والله أعلم بحقيقة ذلك"[2].

5 – أن الاقتصاص الأول لايلزم منه صفاء ما في الصدور، فقد يقتص الأخ من أخيه أو من غريمه لكن يبقى في النفس شئ.

أما الاقتصاص الوارد في القنطرة فالمقصود منه صفاء الصدور.

قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛

---

[1]() شرح العقيدة الطحاوية, (ص:546).

[2]() الحياة الآخرة, ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار, لغالب عواجي, (3/1344).

لأن هـذا قصـاص أخص لأجـل أن يـذهب الغـل، والحقـد، والبغضـاء الـتي في قلـوب النـاس فيكـون هـذا بمنزلـة التنقيـة، والتطهـير، وذلـك لأن مـا في القلـوب لا يـزول بمجرد القصاص، فهـذه القنطـرة الـتي بين الجنـة والنـار لأجل تنقية ما في القلوب حـتى يـدخلوا الجنـة وليس في قلوبهم غل,كما قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[1]"[2].

وقـال –رحمـه اللـه تعـالى- في موضـع آخـر:"فيقتص لبعضـهم من بعض اقتصاصاً يزيـل مـا في صـدورهم من الغل والحقد؛ لأن الاقتصاص الـذي في عرصـات القيامـة اقتصاص تؤخذ فيه الحقوق، وربما يبقى في النفـوس مـا يبقى، لكن هـذا الأخـير اقتصـاص للتطهـير والتهـذيب والتنقية، حتى يدخلوا الجنة وما في صدورهم من غل"[3].

6 – أن الجنــة دار طيبــة في جــوار الطيب سـبحانه, ولا يدخلها إلا الطيب, كما قال سبحانه:﴿ وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[4] فهي لا تصـلح للنفـوس الخبيثة, ولذلك من كان في نفسه خبث طهر وهذب قبـل دخول الجنة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فالنّفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنّة الطّيّبة التي ليس فيها من الخبث شيْء. فإن ذلك موجب للفساد أو غير ممكن. بل إذا كان في النفس خبث طهّرت وهذّبت حتى تصلح لسكنى الجنة"[5].

وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:" ولا ريب إن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم

---

[1] () سورة الحجر, (47).
[2] () شرح العقيدة الواسطية, (2/163).
[3] () شرح العقيدة السفارينية, (ص: 477).
[4] () سورة الزمر, (73).
[5] () مجموع الفتاوى, (14/344).

من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا ذهبوا ونفوا أذن لهم في دخول الجنة"[1].

7 – أن القصاص في القنطرة إنما هو لأجل تقسيم الأماكن في الجنة.

وهناك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى, وهو العليم الحكيم,"يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته"[2].

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:" ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا ونقص عقولنا ومعارفنا وتلاشيها, وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك"[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله تعالى-:"وتفصيل حكمة الله في خلقه وأمره، تعجز عن معرفتها عقول البشر"[4].

---

[1] () حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح, (ص:379).

[2] () شرح العقيدة الطحاوية, لابن أبي العز الحنفي, (ص:231).

[3] () شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, (ص:205).

[4] () شرح العقيدة الطحاوية, (1/116).

المبحث الخامس
مدة المكوث في القنطرة

ليس هناك دليل صريح يدل على مدة المكوث في القنطرة, إلا أن النصوص العامة تدل على أن المكوث فيها تتفاوت بحسب المظالم, فمن كثرت مظالمه فإنه سيوقف مدة طويلة بخلاف من قلت مظالمه فإنه سيوقف مدة يسيرة.

قال الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله تعالى-:"فإنه بعد العبور على الصراط يكون ثَم مدة من الزمن يجتمع فيها المؤمنون...فيحبسون على تلك القنطرة مدة يقضى لبعضهم من بعض"[1].

ومم يدل على ذلك ما يأتي:

1 – النصوص التي فيها أن المرور على الصراط المضروب على متن جهنم متفاوت, بحسب تفاوت أعمال العباد في الدنيا:

أ - عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط قال: قال رسول الله :«وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق», قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال:«ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا», قال:«وفي حافتي الصراط كلاليب[2] معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش[3]

---

[1]() اللآلئ البهية في شرح العقيدة الطحاوية, (2/214).

[2]() الْكلاب والكلوب: خَشَبَة فِي رَأسهَا عقافة مِنْهَا أومن حَدِيد. انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر, للزمخشري, (1/172).

[3]() خدش الجلد: قشره بعود أو نحوه. خدشه يخدشه خدشا. والخدوش جمعه؛ لأنه سمي به الأثر وإن كان مصدرا. انظر:

ناج، ومكدوس[1] في النار»[2].

ب - عن أبي سعيد الخدري, أن النبي ، قال:«ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم، والأنبياء بناحيتيه قولهم: اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم، وإنه لدحض مزلة، وإن له لكلاليب وخطاطيف, تخطف الناس، وحسكة[3] تنبت بنجد يقال لها: السعدان, فأكون أنا وأمتي لأول من مر - أو أول من يجيز -, قال :«فيمرون عليه مثل البرق، ومثل الريح، ومثل أجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مكلم، ومكدوس في النار»[4].

وجه الدلالة على أن المرور على الصراط متفاوت:

أن النبي بين أن مرورهم على الصراط يكون على قدر أعمالهم, وسرعة استجابتهم وانقيادهم لشرع الله سبحانه في الدنيا. فكل من كان في هذه الدنيا أسرع إلى التزام صراط الله عز وجل واتباع شريعته، كان على هذا الصراط أسرع مروراً، ومن كان متباطئاً عن الشرع في الدنيا، كان سيره هناك بطيئاً.

النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (2/14).

[1]() المكدوس أي المدفوع, وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط. ويروى بالشين المعجمة، من الكدش. وهو السوق الشديد. والكدش: الطرد والجرح أيضا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (4/155).

[2]() أخرجه مسلم في صحيحه,كتاب الإيمان, باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها,, (ص:105), رقم(195).

[3]() حسك جمع حسكة، وهي شوكة صلبة معروفة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (1/386).

[4]() أخرجه الامام أحمد في مسنده, (17/202), رقم(11127), قال محققوا المسند:" إسناده حسن، من أجل عبد الرحمن بن إسحاق، وهو المدني، روى له أصحاب السنن، ومسلم متابعة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير ربعي بن إبراهيم: وهو ابن مقسم الأسدي، وهو ثقة.

قال الامام النووي –رحمه الله تعالى-:"معناه أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم"[1].

وقال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:" وعلى هذا الجسر كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن الناس من يخطف فيلقى في النار، ومنهم من يمر سريعاً كلمح البرق، ومنهم من يمر كركاب الإبل أو كالريح حسب درجاتهم وأعمالهم، تجرى بهم أعمالهم، فكل من كان في هذه الدنيا أسرع إلى التزام صراط الله عز وجل واتباع شريعته، كان على هذا الصراط أسرع مروراً، ومن كان متباطئاً عن الشرع في الدنيا، كان سيره هناك بطيئاً"[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك –حفظه الله تعالى-:"وهذا الصراط والسير عليه حسي, وهو في مقابل الصراط الذي في الدنيا, ففي الدنيا صراط معنوي, وهو دين الله الذي بعث به رسله, والسير على ذاك الصراط بحسب السير على هذا الصراط, فمن كان على هذا الصراط ثابتاً ومسرعاً وقوياً كان على ذاك كذلك, ومن كان بطيء السير في هذا الصراط كان سيره على ذاك ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا٢٦﴾[3], والجزاء من جنس العمل"[4].

وبناء على هذا فكل من سعى إلى أداء حقوق الناس, والتحلل من مظالمهم, سيقل وقوفه على القنطرة.

قالت اللجنة الدائمة:"وذلك مرور كل منهم على الصراط المضروب على متن جهنم كالقنطرة مرورًا متفاوتًا في السرعة والبطء والنجاة من النار والسقوط فيها، فينجي الله المؤمنين من النار"[5].

---

[1] () المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, (3/72).
[2] () شرح رياض الصالحين, (2/482).
[3] () سورة النبأ, (26).
[4] () شرح العقيدة الطحاوية, (ص:309).
[5] () فتاوى اللجنة الدائمة, رقم (2224).

2 – النصوص التي فيها أن أصحاب الجد متفاوتون في الحبس على القنطرة, وأن منهم من يوقف مدة طويلة:

أ - عن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله : «قمت على باب الجنة فإذاعامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد[1] محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»[2].

قال الامام النووي –رحمه الله تعالى-:"أي لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة"[3].

وقال ابن الحجر –رحمه الله تعالى-:" قوله «محبوسون» أي ممنوعون من دخول الجنّة مع الفقراء, من أجل المحاسبة على المال وكأن ذلك عند القنطرة الَتي يتقاصّون فيها بعد الجواز على الصراط"[4].

وقال العيني–رحمه الله تعالى- عند سياقه لأقوال أهل العلم على تفضيل الغني على الفقير أو الفقير على الغني, قال:"وَأَصْحَاب الْأَمْوَال محبوسون على قنطرة بَين الْجنَّة وَالنَّار يسْأَلُون عَن فضول أَمْوَالهم"[5].

ولا شك أن أصحاب الجد متفاوتون في الأموال والحقوق في الدنيا, فيتفاوتون في الحبس على القنطرة, مما يدل أن الوقوف فيها متفاوت, والله أعلم.

---

[1]() أي ذوو الحَظ والغنى والإقبال فِي الدنيا. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (1/244).

[2]() تقدم تخريجه, (ص:47).

[3]() رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين, (ص:104).

[4]() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/420).

[5]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (6/132).

ب - عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله :«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»[6].

ج - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة»[2].

وجه الدلالة من هذين الحديثين على تفاوت المؤمنين في الوقوف على القنطرة:

أن النبي بين أن الفقراء مختلفو الحال، وكذلك الأغنياء. فالفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وتقدمهم، والأغنياء كذلك، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولاً الجنة وآخر الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة خمسمائة عام، أما إذا نظرت إلى آخر الفقراء دخولاً الجنة وأول الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة أربعين خريفاً، باعتبار أول الفقراء وآخر الأغنياء.

قال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"اختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفوا الحال وكذلك الأغنياء"[3].

وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"فتحصل ذلك باعتبار أول دخول الفقراء وآخر الأغنياء,

ويكون الأربعون خريفا، باعتبار ما بين دخول آخر الفقراء، وأول الأغنياء، والله أعلم"[4].

د - وعن ابن عباس ، قال: قال النبي :«التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غني، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير، فيقول: أي أخي،

---

[6]() تقدم تخريجه, (ص:134).

[2]() تقدم تخريجه, (ص:134).

[3]() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:976).

[4]() النهاية في الفتن والملاحم, (2/412).

ماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك.
فيقول: أي أخي، إني حبست بعدك محبسا فظيعا كريها، وما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير، كلها آكلة حمض[1]، لصدرت عنه رواء[2]»[3].

فدل الحديث على أن الوقوف في القنطرة يطول لبعض المؤمنين, وأن القنطرة قد تكون منصوبة على هول آخر, مما يعلمه الله، ولا نعلمه.

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"هذه بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر، مما يعلمه الله، ولا نعلمه، وهو أعلم"[4].

3 – ما ورد عن بعض أهل العلم أن الحوض بعد الصراط, وأن بعض المؤمنين يصيبهم الظمأ بعد حبسهم في القنطرة, مما يدل على طول وقوفهم فيها:

قال الامام السيوطي –رحمه الله تعالى-:"وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم

---

[1] () الحمض شيء من النبات، وهو للإبل كالفاكهة للإنسان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (1/441).

[2] () أي مسترحين قد رووا من الماء, وراحة وشبع وري. انظر: المصدر السابق, (1/301).

[3] () أخرجه الامام أحمد في مسنده, رقم (2770), قال الهيثمي في مجمع الزوائد:" فيه (دويد) غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عنه سفيان؛ فقد ذكره العجلي في " كتاب الثقات "، وإن كان غيره؛ =فلم أعرفه، وبقية رجاله رجال " الصحيح "؛ غير سلم بن بشير، وهو ثقة". والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة, (14/624), وقال: رجاله ثقات؛ غير (دويد) هذا، لم أر من ترجمه".

[4] () النهاية في الفتن والملاحم, (2/121).

وغيره[1], بأن الحوض بعد الصراط[2]، فإن قيل: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة، فلم يحتاجوا إلى الشرب منه.
فالجواب: بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبوسون هناك لأجل المظالم، فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب

---

[1]() يشير إلى الحديث الذي أخرجه الامام أحمد في مسنده, (26/124), والحاكم في مستدركه, (4/560), عن لقيط بن عامر في حديث طويل في صفة الجنة والبعث, وفيه: قال رسول الله ﷺ:«تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبيلكم بها، فلعمر إلهك ما تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فتخطمه بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ﷺ ويفترق على إثره الصالحون، فيسلكون جسرا من النار، فيطأ أحدكم الجمر، فيقول: حس يقول ربك عز وجل: أوانه، ألا فتطلعون على حوض الرسول على أظمأ، والله ناهلة عليها قط، ما رأيتها، فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده، إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف، والبول، والأذى". قال الحاكم:"هذا حديث جامع في الباب, صحيح الاسناد كلهم مدنيون ولم يخرجاه".

[2]() اختلف العلماء أين يكون الحوض؟ هل هو قبل الصراط أم بعد الصراط؟ على قولين:
1 - **القول الأول**: وهو قول جمهور أهل العلم على أنه قبل الصراط وليس بعد الصراط؛ لأن الأحاديث التي فيها صفة الحوض فيها ذكر أن أناسا يذادون عنه ويدفعون ويؤخذ بهم إلى النار، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم «ربي أصيحابي أصيحابي»، أو قال «أصحابي أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».
2 - **القول الثاني**: وبه قال طائفة من أهل العلم إن الحوض حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعد =الصراط، فمن لم يشرب منه قبل الصراط بأن أخذ للعذاب من هذه الأمة ثم نجى بعد ذلك، فثم حوض آخر بعد الصراط يشرب منه.

والأوزار حتى يهذبوا منها على الصراط، ولعل هذا أقوى"[1].

وقال العلامة مرعي بن يوسف:"وهذا في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق"[2].

فبعد انتهاء القصاص يساقون إلى الجنة، فينتهون إليها، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان.

عن عليّ قال:"يساقون إلى الجنة، فينتهون إليها، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان، فيعمدون إلى إحداهما، فيغتسلون منها، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا، ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا، كأنما دهنوا بالدهان، ويعمدون إلى الأخرى، فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون، فيفتح لهم، فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾[3]"[4].

بل قد ورد عن بعض السلف أن الرجل قد يحبس على القنطرة مدة طويلة بسبب ظلم واحد على أحد من المؤمنين.

قال الامام ابن رجب الحنبلي –رحمه الله تعالى-:"قال بعض السلف:إن الرجل ليحبس على باب الجنة مائة عام بالذنب كان يعمله في الدنيا"[5].

---

[1] () البدور السافرة في أحوال الآخرة, (ص:147), وانظر لوامع الأنوار البهية, للسفاريني, (2/195-196), ولوائح الأنوار السنية, للسفاريني, (2/172).

[2] () انظر: لوائح الأنوار السنية, للسفاريني, (2/172).

[3] () سورة النحل, (32).

[4] () أخرجه الإمام الطبري في تفسيره, (21/339), و ابن أبي شيبة في مصنفه, (13/112), وروي نحوه عن السدي –رحمه الله تعالى- عند الطبري في تفسيره, (10/199), و ابن أبي حاتم في تفسيره, رقم(8470).

[5] () جامع العلوم والحكم, (1/521).

المبحث السادس
عموم الحبس في القنطرة للجن والإنس

ذكرنا فيما سبق أن القصاص في عرصات يوم القيامة يكون عاماً للإنس والجن[1], وكذلك مما يظهر من خلال النصوص -والعلم عند الله تعالى- أن الحبس في القنطرة عام لجميع مؤمني الجن والإنس.

ومما يدل على ذلك, عموم حديث أبي سعيد الخدري في القنطرة, وفيه قال النبي :«يخلص المؤمنون من النار»[2].

وجه الدلالة من الحديث على عموم الحبس في القنطرة للجن والإنس:

أن الألف واللام في قوله « المؤمنون», للاستغراق فيشمل جميع المؤمنين من الجن والإنس, ولا يستثنى منهم إلا ما دلت الأدلة على استثنائهم, وعدم وقوفهم في القنطرة[3].

فالقنطرة ليست خاصة بأمة نبينا , بل هي عامة لجميع الأمم, لكن الذي يميز أمة محمد هو الأسبقية على الصراط, والأسبقية في دخول الجنة.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض، وأسبقهم إلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته"[4].

---

[1] () انظر: المقاصّة بين الخلق قبل القنطرة, (ص:90).
[2] () تقدم تخريجه, (ص:43).
[3] () انظر: المستثنى من القنطرة الخاصّة بالمؤمنين, (ص:116).
[4] () حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح, (ص:112).

ومما يدل على أسبقيتهم على الصراط, وأسبقيتهم في دخول الجنة ما يأتي:
1 - عن أبي هريرة قال, قال رسول الله :«فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا
يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»[1].
قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى-:"المعنى أكون أنا وأمتي أول من يمضي على الصراط ويقطعه, يقول جاز الوادي وأجازه إذا قطعه وخلفه"[2].
فدل الحديث على أن جميع الأمم سيمرون على الصراط, وأنه ليس خاص بأمة نبينا , لكن الذي يميز هذه الأمة عن غيرها أنها أول من يمضي على الصراط ويقطعه.
2 - عن أنس، قال: قال رسول الله :«آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[3].
3 - عن أبي هريرة قال قال رسول الله :«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من دخل الجنة بيد[4] أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم »[5].
فإن أول من يستفتح باب الجنة هو نبينا , وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته.

---

[1]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣[القيامة, 22,23], (ص: 1279), رقم(7437).
[2]() المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, (3/20).
[3]() تقدم تخريجه, (ص116).
[4]() بيد بمعنى غير, وقيل معناه على أنهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (1/171).
[5]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب الجمعة, باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة, (ص:343), رقم(855).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"وأول من يستفتح باب الجنة: محمد ، وأول من يدخل الجنة من الأمم: أمته"[1].

فإذا كانت أمة نبينا محمد تحبس على القنطرة مع أسبقيتها في دخول الجنة فغيرها من الأمم من باب أولى, والله أعلم.

وأما الجن فمما يدل على دخولهم في عموم حديث أبي سعيد الخدري , أنه قد ثبت بنصوص الكتاب والسنة أنهم مكلفون بالتكاليف الشرعية كالإنس, وأنهم قد بلغهم شرع الله , وجاءهم من ينذرهم, وأن من أطاع رضي الله عنه، وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد، فله النار.

قال الله تعالى:﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[2].

فبين الله سبحانه وتعالى أنه خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها.

وقال سبحانه:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾[3].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾, أي يخبرونكم بما أوحي إليهم من تنبيهي إياكم على مواضع حججي، وتعريفي لكم أدلّتي على توحيدي، وتصديق أنبيائي، والعمل بأمري، والانتهاء إلى حدودي ﴿ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾، يقول: يحذّرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا، وعقابي على معصيتكم إيّاي، فتنتهوا عن معاصيَّ.

---

[1] () مجموع الفتاوى, (3/147).

[2] () سورة الذاريات, (56).

[3] () سورة الأنعام, (130).

وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي"[1].

وقال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"قوله سبحانه «منكم» معناه في الخلق والتكليف والمخاطبة, ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال:«منكم», وإن كانت الرسل من الإنس"[2].

ومما أجمع عليه أهل السنة وسائر طوائف المسلمين أن رسالة نبينا محمد ﷺ عامة للإنس والجن.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة وغيرهم – رضي الله عنهم أجمعين - لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم"[3].

والدليل على أن الجن سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾[4].

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ١٧٩﴾[5].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنّم كثيرًا من الجن والإنس"[6].

---

[1] () جامع البيان في تأويل القرآن, (12/120).
[2] () الجامع لأحكام القرآن, (7/85).
[3] () مجموع الفتاوى, (19/10).
[4] () سورة الأعراف, (37).
[5] () سورة الأعراف, (179).
[6] () جامع البيان في تأويل القرآن, (13/276).

والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى:﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ٤٦فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٤٧﴾[1].

"والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة معهما، وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة، ولولا أنهم ينالون ذلك لما امتن عليهم به"[2].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة،... فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم"[3].

وقوله تعـالى:﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾[4].

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فدل على أن مؤمنيهم يتأتى منهم طمث الحور العين بعد الدخول كما يتأتى من الانس ولو كانوا ممن لا يدخل الجنة لما حسن الاخبار عنهم بذلك"[5].

فالجن مكلفون ومأمورون بالأصول والفروع بحسبهم, ومخاطبون بنصوص الوحي, وكافرهم يدخل النار, ومؤمنهم يدخل الجنة, وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم.

---

[1] () سورة الرحمن, (46-47).

[2] () عالم الجن والشياطين, لعمر الأشقر, (ص:41).

[3] () تفسير القرآن العظيم, (7/303).

[4] () سورة الرحمن, (74).

[5] () مفتاح دار السعادة, (1/38).

قال ابن مفلح[1] –رحمه الله تعالى-:"الجن مكلفون في الجملة إجماعاً، يدخل كافرهم النار إجماعاً، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لمالك والشافعي رضي الله عنهما - لا أنهم يصيرون تراباً كالبهائم، وإن ثواب مؤمنهم النجاة من النار"[2].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-: "الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحدّ والحقيقة؛ فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحدّ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي،

والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين"[3].

فبناء على هذا فإنه قد ثبت بالنصوص أن الجن قد يعتدون على الإنس, والإنس قد يعتدون على الجن, وكل ذلك يوجب القصاص بينهم.

قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"فيقتص من الجن بعضهم مع بعض, ومن الجن والإنس بعضهم مع بعض, لأن الإنس قد يعتدون على الجن، والجن قد يعتدون على الإنس، فمن عدوان الجن على الإنس الشيء الكثير، ومن عدوان الإنس على الجن أن

---

[1]() هو محمد بن مفلح، المفتي شمس الدين المقدسي الحنبلي. شاب دين عالم له عمل ونظر في رجال السنن والأسماء، وسمع وكتب وتقدم وناظر, كان قد برع في الفروع ونال الغاية فيها من الشروع، ومهد في الأحكام وبهر في الأحكام، يستحضر فروعاً كثيرة من مذهبه كلها غرائب، ويرسل منها في أغراضه سهاماً صوائب. مولده سنة بضع وسبع مائة, وتوفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ثاني شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وسبع مئة. انظر: المعجم المختص بالمحدثين, للذهبي, (1/265).

[2]() كتاب الفروع, (2/460).

[3]() مجموع الفتاوى, (4/233).

يستجمر الإنسان بالعظم؛ لأن النبي نهى أن نستنجي بالعظام وقال: «إنها زاد إخوانكم من الجن» الجن يجدون العظام، فإذا استجمر أحد بها فقد اعتدى عليهم وكدرها عليهم، ويخشى أن يؤذوه إذا أذاهم بها"[1].

ومن أصرح ما يدل على دخول الجن في عموم الحبس في القنطرة حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول:«يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله: كونوا ترابا، فعند ذلك يقول الكافر:«يا ليتني كنت ترابا»"[2].

وجه الدلالة من الحديث:

أن النبي بين أن القصاص عام للجن والإنس.

---

[1](2) شرح رياض الصالحين, (2/489).

[2]() أخرجه الإمام الطبري في تفسيره, (24/419), وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (4/606).

تمهيد

قبل الشروع في بيان العلاقة بين أصحاب الأعراف وأهل القنطرة, يحسن أن نعرف أصحاب الأعراف تعريفاً مختصراً.

معنى الأعراف لغة:

الأعراف – حسب ما يظهر من أقوال العلماء – هو حاجز مرتفع بين أهل الجنة و أهل النار، وهو في اللغة "جمع عرف وهو كل عال مرتفع"[1].

عن ابن عباس في قول عز وجل:﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾[2] قال: الأعراف موضع عال على الصراط"[3].

وقال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"الأعراف جمع واحدها عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف، وإنما قيل لعرف الديك عرف، لارتفاعه على ما سواه من جسده"[4].

معنى الأعراف شرعاً:

اختلف العلماء في معنى الأعراف إلى أقوال كثيرة، وحاصلها أنها كلها تهدف إلى إثبات أن حاجزا مرتفعا يجعله الله في يوم القيامة بين الجنة والنار، يشرف منه أصحاب الأعراف على فريقي الجنة والنار.

قال الشيخ غالب عواجي –حفظه الله تعالى-:"فإن جميع الأقوال في الأعراف – وهو: إما حجاب أو سور أو تل مشرف، أو جبال بين الجنة والنار أو أي حاجز آخر – كلها تهدف إلى إثبات أن حاجزا مرتفعا يجعله الله في يوم القيامة بين الجنة والنار، يشرف منه أصحاب الأعراف على فريقي الجنة والنار، يعرفون كلا بسيماهم، وأن

1() لسان العرب, لابن منظور, (9/241).
2() سورة الأعراف, (46).
3() أورده القرطبي في تفسيره, (7/212).
4() جامع البيان في تأويل القرآن, (12/449).

أصحابه لم يتقرر مصيرهم بعد، ولكن مآلهم إلى الجنة"[1].
وأما «أصحاب الأعراف» فكذلك اختلف العلماء فيهم على أقوال أرجحها –والعلم عند الله تعالى-أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.
قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله"[2].
وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"والصحيح في أهل الأعراف أنهم قوم تساوت حسناتهم، وسيئاتهم، فقصرت بهم حسناتهم عن النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة"[3].
وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"أصحاب الأعراف: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلا يدخلون الجنة ولا يدخلون النار، يحشر أهل النار في النار، ويساق المتقون إلى الرحمن وفدا إلى الجنة زمرا، فيدخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، وأصحاب الاعراف في مكان مرتفع"[4].
وقد وردت آيات في كتاب الله بشأن أصحاب الأعراف:
قال الله تعالى:﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾[5].

---

[1] () الحياة الآخرة, وانظر جامع البيان في تأويل القرآن, للطبري, (12/460).
[2] () تفسير القرآن العظيم, (2/274).
[3] () أحكام أهل الذمة, (2/1125).
[4] () شرح رياض الصالحين, (3/521).
[5] () سورة الأعراف, (46).

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾[2].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:" يقول تعالى ذكره: فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسُور، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار,... وهذا السور هو الذي قال الله: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾"[3].

---

[1] () سورة الأعراف, (48-49).

[2] () سورة الحديد, (13).

[3] () جامع البيان في تأويل القرآن, (23/183).

المبحث السابع
العلاقة بين أصحاب الأعراف وأهل القنطرة

وأما علاقة أصحاب الأعراف بأهل القنطرة فمما يبين ذلك ما يأتي:

1 – أن أصحاب الأعراف وأهل القنطرة هم في موضع بين الجنة والنار.

تبين فيما سبق أن القنطرة موضع بين الجنة والنار, كما في حديث أبي سعيد الخدري في القنطرة, وفيه قال النبي ﷺ:«فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار»[1].

وكذلك أصحاب الأعراف فإن النصوص تدل على أنهم في موضع بين الجنة والنار.

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ قال:"أي, بين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز,... وهو"الأعراف" التي يقول الله فيها: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾"[2].

فهم يوقفون بينهما ما شاء الله أن يوقفوا, ثم يؤذن لهم في دخول الجنة, كما ثبت ذلك لأهل القنطرة.

قال الحافظ الحكمي –رحمه الله تعالى-:"وهؤلاء هم أصحاب الأعراف؛ الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا, ثم يؤذن لهم في دخول الجنة"[3].

وقد وردت أثار عن السلف تدل على أن الأعراف هو موضع بين الجنة والنار.

---

[1] () تقدم تخريجه, (ص:43).
[2] () جامع البيان في تأويل القرآن, (12/449).
[3] () معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول, (3/1022).

عن ابن عباس قال:"إن الأعراف تَلٌّ[1] بين الجنة والنار"[2].
وعنه قال:"الأعراف، سور بين الجنة والنار"[3].
وعن مجاهد –رحمه الله تعالى- في أصحاب الأعراف قال:"هم قوم قد استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم على سور بين الجنة والنار, وهم على طمع من دخول الجنة وهم داخلون"[4].
قال ابن القيم –رحمه الله تعالى- في تعريفه بأصحاب الأعراف:" أنهم قوم بقوا بين الجنة، والنار"[5].

2 – أن أصحاب الأعراف وأهل القنطرة محبوسون بعد مجاوزتهم الصراط المضروب على متن جهنم.

دلت نصوص القنطرة أن أهلها يحبسون فيها ما شاء الله عز وجل, وهذا الحبس يتفاوت فيه أهلها كما بينا سابقاً[6].
وكذلك دلت أقوال أهل العلم أن أصحاب الأعراف يحبسون فيه إلى أن يأذن الله سبحانه

---

[1] () التل الصب، فاستعاره للإلقاء. يقال تل يتل إذا صب، وتل يتل إذا سقط. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (1/195).
[2] () أخرجه الامام الطبري في تفسيره, (12/451), وأورده ابن كثير في تفسيره, (3/418), والسيوطي في الدر المنثور,(3/461).
[3] () أخرجه الامام الطبري في تفسيره, (12/451), وابن أبي حاتم في تفسيره, (5/1483), وقال:" وروي عن حذيفة بن اليمان وأحد قولي مجاهد، والضحاك، وقتادة أنهم قالوا:"سور بين الجنة والنار",
[4] () أخرجه البيهقي في البعث والنشور, (1/108), والسيوطي في الدر المنثور, (3/466).
[5] () أحكام أهل الذمة, (2/1125).
[6] () انظر المبحث الخامس مدة المكوث في القنطرة, (ص: 164).

وتعالى لهم بدخول الجنة.
قال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى- في بيانه لأحوال الناس عند مرورهم على الصراط, وبعد مجاوزتهم له:"والناس أفواج: المرسلون، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم المؤمنون، ثم العارفون، ثم المسلمون.
منهم المكبوب لوجهه، ومنهم المحبوس في الأعراف، ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان"[(1)].
عن ابن عباس قال:"الأعراف"، بين الجنة والنار، حبس عليه أقوام بأعمالهم"[(2)].
وعنه أنه قال:"من وافى القيامة مؤمنا ولسيئاته وزن في ميزانه، وهو بين أن يغفر له من غير تعذيب وبين أن يعذب بقدر ذنوبه، ثم يغفر له فقد يكون منهم من لا يدخل الجنة في الحال، ولا يدخل النار, ولكن يحبس على الأعراف وهو السور"[(3)].
وقال مقاتل بن سليمان –رحمه الله تعالى- في قوله تعالى:﴿أَهَٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾[(4)]:"فأقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف داخلون النار معهم، فقالت: الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط أهؤلاء يعني أصحاب الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار، أنهم لا ينالهم الله برحمة، وهم داخلون النار معكم, ادخلوا الجنة لا خوف عليكم، ولا أنتم تحزنون بالموت"[(5)].

3 – أن أصحاب الاعراف وأهل القنطرة هم قوم تجاوزتْ بهم حسناتهم النار, وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة.

---
[1]() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:752).
[2]() أخرجه الطبري في تفسيره, (12/456).
[3]() المصدر نفسه, (1/587).
[4]() سورة الأعراف, (48-49).
[5]() أخرجه البيهقي في شعب الإيمان, (1/587).

أما أهل القنطرة فقد تقرر لنا فيما سبق أنهم قوم تجاوزتْ بهم حسناتهم النار, وقصرت بهم المظالم عن دخولهم الجنة من أول وهلة.

قال الامام القرطبي- رحمه الله تعالى-:"فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم"[1].

وكذلك أصحاب الأعراف هم قوم تجاوزتْ بهم حسناتهم النار, وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة, كما دلت على ذلك أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

فعن حذيفة أنه ذُكر له أصحاب الأعراف فقال:"هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيِّئاتهم عن الجنة، فإذا صُرفت أبصارُهم تلقاء أصحاب النار قالوا:"ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين". فبينا هم كذلك، اطّلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال: اذهبوا وادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم"[2].

وعنه أنه قال:"أصحاب الأعراف، قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار، وهم آخر من يدخل الجنة، قد عرَفوا أهل الجنة وأهل النار"[3].

4 – أن مآل أصحاب الأعراف وأهل القنطرة إلى الجنة.

---

[1] () التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, للامام القرطبي (767).

[2] () أخرجه الامام الطبري في تفسيره, (12/452), وابن أبي حاتم في تفسيره, (5/1485), والبيهقي في البعث والنشور, (ص:105), وقال:" هذا موصول موقوف. وروي مرسلا موقوفا", والحاكم في مستدركه, (2/350), وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

[3] () أخرجه الامام الطبري في تفسيره, (12/452), وابن أبي حاتم في تفسيره, (5/1485).

أما أهل القنطرة, فقد بين حديث أبي سعيد الخدري أنهم قد أمنوا من دخول النار, وأن سبب حبسهم في القنطرة هو لأجل التهذيب والتنقية, فإذا حصل ذلك أذن لهم بدخول الجنة.

قال الامام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فإذا جاوز المؤمنون الصراط ولا يجوزه إلا مؤمن أمنوا من دخول النار, فيحبسون هناك على قنطرة بين الجنة والنار, فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في دار الدنيا حتى إذا هذبوا أذن لهم في دخول الجنة"[1].

وكذلك أصحاب الأعراف فإنهم أمنوا من دخول النار, ومآلهم إلى الجنة, ومما يدل على ذلك ما يأتي:

أ – قول الله تعالى: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾[2].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية:"أي: حلت عليهم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه"[3].

عن الحسن البصري –رحمه الله تعالى-أنه قال في هذه الآية:"والله, ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم، إلا لكرامة يريدها بهم"[4].

وقال الامام البيهقي –رحمه الله تعالى- بعد ذكره لآيات الأعراف:"ومآب جميعهم الجنة بما تلونا من الآيات، وذكرنا من الأخبار الصحيحة في ذلك. وبالله التوفيق"[5].

ب - قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾[6].

---

[1] () تحفة المودود بأحكام المولود, (ص:310).
[2] () سورة الأعراف, (46).
[3] () جامع البيان في تأويل القرآن, (12/464).
[4] () أخرجه الطبري في تفسيره, (12/465), وابن كثير في تفسيره, (3/422).
[5] () البعث والنشور, للبيهقي, (ص:108).
[6] () سورة الأعراف, (48-49).

قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية:"أي: قيل لهؤلاء الضعفاء إكراما واحتراما: ادخلوا الجنة بأعمالكم الصالحة لا خوف عليكم فيما يستقبل من المكاره ولا أنتم تحزنون على ما مضى، بل آمنون مطمئنون فرحون بكل خير"[1].

عن حذيفة قال:"فبينا هم كذلك، اطّلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال: اذهبوا وادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم"[2].

وعن ابن عباس أنه قال:"فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة"[3].

فقد يكون للعبد حسنات ينجو بها من النار, ولكن له سيئات لا يستحق الجنة ابتداءً وإن كان مآله إلى الجنة ولا بد.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"وقد يفعل مع سيئاته حسنات توازيها وتقابلها فينجو بذلك من النار ولا يستحق الجنة بل يكون من أصحاب الأعراف. وإن كان مآلهم إلى الجنة فليسوا ممن أزلفت لهم الجنة أي قربت لهم إذ كانوا لم يأتوا بخشية الله والإنابة إليه"[4].

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"حتى أصحاب الأعراف الذين يوقفون في مكان بين الجنة والنار مآلهم إلى الجنة ولابد، فلا يمكن لأحد من الورى إلا أن يكون إما في جنة وإما في نار"[5].

5 – ما ذكر بعض أهل العلم أن أصحاب الأعراف من أهل القنطرة.

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (ص:290).
[2]() تقدم تخريجه, (ص:183).
[3]() أخرجه الطبري في تفسيره, (12/465).
[4]() مجموع الفتاوى, (16/177).
[5]() شرح العقيدة السفارينية, (ص:503).

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى- تعليقاً على قول الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم"[1], قال:"قلت ولعل أصحاب الأعراف منهم, وهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم"[2].

وقال –رحمه الله تعالى- عند بيانه لأحوال العصاة من المؤمنين يوم القيامة,:"فدلت الأحاديث على أن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين:

أحدهما: من معصيته بينه وبين ربه, فهذا القسم على قسمين قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة. وقسم تكون معصيته مجاهرة فدلت الأدلة

على أنه بخلاف ذلك.

والقسم الثاني من تكون معصيته بينه وبين العباد فهم على قسمين أيضا قسم ترجح سيئاتهم

على حسناتهم فهؤلاء يقعون في النار ثم يخرجون بالشفاعة وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاص كما دل عليه حديث أبي سعيد"[3].

فجعل –رحمه الله تعالى- أصحاب الأعراف من أهل القنطرة, لأن الذين تتساوى سيئاتهم وحسناتهم إنما هم أصحاب الأعراف, أما أهل القنطرة فلا يلزم من وقوفهم فيها أن تتساوى حسناتهم وسيئاتهم.

وقد ذكر الإمام السيوطي –رحمه الله تعالى- أن مقام القنطرة يكون موقف أصحاب الأعراف.

قال–رحمه الله تعالى-:"ويخلص المؤمنون على درجاتهم في تفاوتهم في النجاة ويحبسون على قنطرة بين الجنة

---

[1] () التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:767).

[2] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/399).

[3] () المصدر السابق, (10/489).

والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا صفوا وهذبوا، أدخلوا الجنة، ومن ذلك المقام موقف أصحاب الأعراف"[1].

---

[1] () البدور السافرة في الأمور الآخرة, (ص:191), وانظر التذكرة, للقرطبي, (ص:742).

الفصل الرابع: الدلالات العقدية المستنبطة من النصوص الواردة في القنطرة 0

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: إثبات القنطرة0
- المبحث الثاني: إثبات الجزاء والحساب 0
- المبحث- الثالث: إثبات عدل الله جل وعلا .
- المبحث الرابع: إثبات صفة الرحمة لله تعالى .
- المبحث الخامس: إثبات نعيم الجنة وعذاب النار.
- المبحث السادس: بيان رحمة النبي ﷺ بأمته .

تمهيد

قبل الشروع في بيان الدلالات العقدية المستنبطة من النصوص الواردة في القنطرة, يحسن أن نعرف الدلالات معرفة موجزة, ونبين المقصود بالدلالات العقدية.

تعريف الدلالات في اللغة والاصطلاح.

تعريف الدلالات في اللغة:

"الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء"[1].

يقال:"دل يدل إذا هدى, دللت بهذا الطريق دلالة، أي عرفته، ودللت به أدل دلالة, والدلالة بالكسر والفتح"[2].

والدلالات جمع دلالة, والدليل هو المرشد, والكاشف[3].

تعريف الدلالة اصطلاحاً:

عرفت الدلالات المطلقة بعدة تعريفات, منها: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر[4].

المقصود بالدلالات العقدية:

---

[1] () معجم مقاييس اللغة, لابن فارس, (2/259).
[2] () تهذيب اللغة, للأزهري, (14/48), ولسان العرب, لابن منظور, (11/248).
[3] () انظر لسان العرب لابن منظور, (11/248).
[4] () انظر شرح تنقيح الفصول للقرافي, (ص:33), وشرح القواعد الفقهية, لأحمد الزرقا, (ص:146).

هي:"الكشف بوساطة الألفاظ والتركيب, أو السياق والقرائن عما يجب أن يصدقه العبد, ويدين به ربه وفق منهج السلف"[5].

فالدلالات العقدية, لا تنحصر بدلالات معينة تعارف عليها أئمة هذا العلم وعلماؤه, فلا يخرجون عنها, كما هو عند علماء الأصول والمنطقيين, وغيرهم.

بل نجد العلماء في علم الاعتقاد يقفون مع النص, ويستنبطون الدلائل على المسألة, وذلك بحسب السياق, والقرائن التي يحتف بها النص.

فالنصوص إما ألفاظ أو تراكيب, فالألفاظ بمفردها تتضمن معاني مفردة, والتراكيب تتضمن معاني مضموماً بعضها إلى بعض, لتؤدي معنى واحداً, أو معانٍ مجتمعة يردف بعضها بعضاً[2].

قل ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فمفرداته –القرآن- نصوص, أو كالنصوص في مسماها وتراكيبه صريحة في المعنى الذي قصد بها والمخاطبون به تلك اللغة سجيتهم وطبيعتهم غير متكلفة لهم فهم يعلمون بالاضطرار مراده منها"[3].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-"بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقا"[4].

5() الدلالات العقدية لأساليب الاستفهام في القرآن الكريم, لمنى الشنيفي, (ص:12).

2() انظر المصدر السابق, (ص:12).

3() الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة, (2/671).

4() مجموع الفتاوى, (6/18).

المبحث الأول
إثبات القنطرة

دلت النصوص الواردة في القنطرة على إثباتها للقنطرة من وجوه شتى, منها ما يأتي:

1 – التنصيص على وقوع القنطرة, وبيان موضعها:

ورد في السنة النبوية والآثار السلفية التنصيص على وقوع القنطرة, وبيان مكانها, أنها تكون في موضع بين الجنة والنار, من ذلك ما يأتي:

أ - حديث أبي سعيد الخدري ، قال: قال رسول الله : «يخلص المُؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار»[1].

ب – عن مقاتل بن سليمان –رحمه الله تعالى- قال:«إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار»[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"فمن مر على الصراط؛ دخل الجنة. فإذا عبروا عليه؛ وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار"[3].

وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى-: فإذا جاوز المؤمنون الصراط وَلا يجوزه إِلَا مؤمن أمنوا من دخول النار فيحبسون هناك على قنطرة بين الجنة والنار"[4].

فقد ورد التصريح بأن القنطرة تكون في موضع بين الجنة والنار.

قال العيني –رحمه الله تعالى-:" قوله:«بين الجنة والنار»، أي: بقنظرة كائنة بين الجنة والصراط الذي على

---

[1] () تقدم تخريجه, (ص:43).
[2] () تقدم تخريجه, (ص:34).
[3] () مجموع الفتاوى, (3/147).
[4] () تحفة المودود بأحكام المولود, (ص:310).

متن النار، ولهذا سمي بالصراط الثاني، فإن الحديث مصرح بأن تلك

القنطرة بين الجنة والنار"[1].

2 – التنصيص على تعدد القناطر:

الأدلة كلها تدل على وجود قنطرة يعبر عليها المؤمنون إلى الجنة, وأنها قنطرة واحدة, غير أنه وردت آثار عن السلف وأقوال لبعض أهل العلم تنص أن هناك قناطر متعددة, ويجعلونها متصلة بالجسر, بما فيه هذه القنطرة.

قال الإمام السفاريني -رحمه الله تعالى-:"وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر يسأل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف"[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ سَبْعَ قَنَاطِرَ، يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ أَوَّلِ قَنْطَرَةٍ عَنِ الْإِيمَانِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا جَازَ إِلَى الْقَنْطَرَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى الثَّالِثَةِ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى الرَّابِعَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ جَازَ إِلَى الْخَامِسَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِمَا جَازَ إِلَى السَّادِسَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إلى السابعة. ثم يسأل عن المظالم، وينادي مناد: ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيقتص للناس منه، ويقتص له من الناس»[3].

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى:إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ[4] يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، يكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة"[5].

---

[1] () عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/285).

[2] () لوامع الأنوار البهية, (2/191).

[3] () أورد هذا الأثر القرطبي في تفسيره, (20/50).

[4] () سورة الفجر, (14).

[5] () جامع البيان في تأويل آي القرآن, (24/411).

3 – دلالة النصوص على ما سيجري عند القنطرة من المقاصة:

وقد تنوعت النصوص في دلالتها على كيفية القصاص بين المؤمنين في القنطرة على النحو التالي:

أ - أن يلقي الله في قلوب المؤمنين العفو لبعضهم عن بعض:

وعلى هذا فيكون معنى حديث أبي سعيد الخدري « فيقتص لبعضهم من بعض», هو أن يتتاركوا المظالم التي بينهم.

قال العيني –رحمه الله تعالى-:" يقال:معنى يتقاصون يتتاركون، لأنه ليس موضع مقاصة ولا محاسبة، لكن يلقي الله عز وجل، في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض, أو يعوض الله بعضهم من بعض"[1].

ب – أن يكون القصاص بينهم بالحسنات والسيئات:

ومما يدل على أن المقاصة في القنطرة تكون بالحسنات والسيئات حديث أبي سعيد الخدري نفسه وفيه أن النبي قال:«فيتقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[2].

قال العيني –رحمه الله تعالى-:"قوله: «وهذبوا» ، على صيغة المجهول من التهذيب، وهو التخليص من الآثام بمقاصصة بعضهم ببعض"[3].

ومعلوم أن المقاصة بعضهم ببعض يوم القيامة لا يكون إلا بالحسنات والسيئات كما في حديث عبد الله بن أنيس وفيه:«ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى

---

[1]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/286).
[2]() تقدم تخريجه, (ص:43).
[3]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/286).

اللطمة, قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟ قال: " بالحسنات والسيئات»[1].

4 – دلالة النصوص على المستثنين من القنطرة الخاصة بالمؤمنين:

دلت النصوص الواردة في القنطرة على أن بعض المؤمنين مستثنون من المرور على القنطرة, كالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين, ومن أدى جميع الحقوق, ولا مظلمة عليه لأحد وقلبه نقي طاهر من الغل والحقد, ومن حقق التوحيد ودخل الجنة بغير حساب ولا عذاب, والمجاهدين, و فقراء المهاجرين, وغيرهم[2].

5 – دلالة النصوص على تفاوت المؤمنين في مدة مكوثهم في القنطرة:

دلت النصوص الواردة في القنطرة أن المكوث فيها تتفاوت بحسب المظالم, فمن كثرت مظالمه فإنه سيوقف مدة طويلة بخلاف من قلت مظالمه فإنه سيوقف مدة يسيرة[3].

6 – دلالة النصوص على عموم الحبس للجن والانس في القنطرة:

دلالة نصوص القنطرة على أن الحبس فيها عامة للجن والإنس, ومما يدل على ذلك, عموم حديث أبي سعيد الخدري في القنطرة, وفيه قال النبي :«يخلص المؤمنون من النار»[4].

وجه الدلالة من الحديث على عموم الحبس في القنطرة للجن والإنس:

أن الألف واللام في قوله « المؤمنون», للاستغراق فيشمل جميع المؤمنين من الجن والإنس, ولا يستثنى

1() تقدم تخريجه, (ص:57).
2() انظر المبحث الرابع من الفصل الثاث, (ص:158).
3() انظر المبحث الخامس من الفصل الثاث, (ص:165).
4() تقدم تخريجه, (ص:43).

منهم إلا ما دلت الأدلة على استثنائهم, وعدم وقوفهم في القنطرة[1].

7 – تتضمن النصوص الواردة في إثبات القنطرة الرد على من أنكر القنطرة:

لما كان الإيمان بالغيب من خصائص المؤمنين بصفة عامة، فإن أهل السنة تميزوا -في هذا الباب- بقبول كل ما ورد على لسان الرسل الكرام من أمور الغيب إيمانًا وتصديقًا ويقينا، وتجنب الشبهات والشكوك الناشئة عن إقحام العقول في مجال غير مجاله.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-:"الواجب قبول ما غاب من الحق، وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله، من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك من أمور البرزخ ونعيمه وعذابه، فقبول هذا كله إيمانًا وتصديقًا وإيقانًا هو اليقين، بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة ولا شك ولا تناس ولا غفلة عنه"[2].

فالواجب على المؤمن التسليم لنصوص الشرع وتلقها بالقبول والتسليم, وإبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير.

قال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله تعالى – "فالواجب كمال التسليم للرسول ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولا"[3].

---

[1]() انظر: المستثنى من القنطرة الخاصّة بالمؤمنين, (ص:116).

[2]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (2/378).

[3]() شرح العقيدة الطحاوية, (ص:200).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به, فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي؛ فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم؛ وهو حرام لقوله تعالى﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾[2]"[3].

إذاً الواجب على المؤمن أن يتلقى نصوص القنطرة بالإيمان والتصديق, ويثبتها كما جاءت.

---

[1] مجموع الفتاوى, (7/36).

[2] سورة الأعراف, (33).

[3] تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد, (ص:20).

المبحث الثاني
إثبات الجزاء والحساب[1]

الجزاء والحساب مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة, وحسبنا أن نعلم أن القاضي والمحاسب في ذلك اليوم هو الحكَم سبحانه قيوم السماوات والأرض, ليتبين لنا عظم هذا

---

[1]() **الحساب في اللغة** يطلق ويراد به: العدد, والمعدود, والإحصاء بالدقة التامة دون زيادة ولا نقصان, ويراد الجزاء.
قال الأزهري –رحمه الله تعالى-:"وإنما سمي الحساب في المعاملات حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان, والحساب والحسابة عدك الشيء، تقول: حسبت الشيء أحسب حساباً وحسابة وحسبته".تهذيب اللغة, (4/192), وانظر لسان العرب, لابن منظور, (1/314).
والحسبان ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه، وكذا لفظة الحسيب والمحاسب فإنها تطلق مراداً بها الحساب.
قال الراغب:"والحسيب والمحاسب: من يحاسبك ثم يعبر عن المكافئ بالحساب". المفردات في غريب القرآن, (ص:234).
تعريف الحساب في الشرع: يراد بالحساب والجزاء أن يُوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين.
قال السفاريني –رحمه الله تعالى-:"توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن إلا من استثنى منهم". لوامع الأنوار البهية, (2/172).
وقال القرطبي –رحمه الله تعالى-:"الحساب معناه أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض".التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (ص:562).
ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود ووزن للأعمال,

المشهد وجلاله ومهابته.
قال الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى- مصوراً مشهد الحساب:"فإذا بعث العباد من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، حفاة عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه، وأنشدوا:

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً
مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهَّب من غيظ ومن حنق على
العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل
ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته
إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي امضوا
بعبد عصا للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا
والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله تعالى. وقد وكلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذا قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغير لونك، وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين

والمرور على الصراط, والوقوف على القنطرة.

يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيديهم، وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.
فتوهم نفسك، وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً! فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك"[1].

وطارت الصحف في الأيدي منشرة فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف سهوك والأنباء واقعة عما قليل ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طورا وترفعهم إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم فيها ولا رقية تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا[2]

وقد ورد ذكر الجزاء والحساب في القرآن الكريم وسنة النبي ، في مواضع كثيرة، بعبارات متنوعة، ودلالات مختلفة مصوراً هول ذلك, أو مخبراً عنه ومبشراً به، كل ذلك لزيادة العناية وللفت أنظار الناس إليه ليكونوا على

---
[1]() المصدر السابق, (ص:620).
[2]() شرح العقيدة الطحاوية, لابن أبي العز الجنفي, وعزاه لابن أبي الدنيا عن عبد الله ابن مبارك, (ص:414).

بينة من أمرهم فيستعدوا له بالعمل الصالح إذ أنه من أهم الأمور التي تحدث في يوم القيامة، بل هو المراد ببعث الناس وقيامهم من قبورهم وفي الموقف.

وأجمع عليه جميع أهل الإسلام، إذ هو من المسائل الأخروية المعلومة من الدين بالضرورة[1].

والأدلة الدالة على إثبات الجزاء والحساب كثيرة جداً منها ما يأتي:

1 – إخبار الله عز وجل عن سرعة وقوع الحساب.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾[2].

2 – مدْح الله سبحانه المؤمنين لخوفهم من الحساب, وذم الكافرين لتكذيبهم به.

مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين في كتابه لخوفهم من سوء الحساب فقال جل وعلا في سياق ذكر صفاتهم: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾[3].

وقال تعالى في ذم المكذبين بالحساب ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧﴾[4].

3 – ما جاء من نصب الموازين, لوزن الأعمال.

مما يدل على إثبات الحساب والجزاء, الميزان الذي سيوضع في ذلك اليوم العظيم لإظهار مقادير الحساب ليكون الجزاء بحسبها, لأن الوزن للجزاء.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[5].

4 – ما جاء أن الله تعالى يكلم العباد في ذلك اليوم.

---

[1] لوامع الأنوار البهية, للسفاريني, (1/394).

[2] سورة المائدة, (4).

[3] سورة الرعد, (21).

[4] سورة النبأ, (27).

[5] سورة الأنبياء, (47).

ومما يدل على إثبات الحساب والجزاء مساءلة الله سبحانه وتعالى لخلقه في عرصات القيامة, والمساءلة كما هو معلوم لا تكون إلا بالكلام.

قال الله تعالى:﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾[1].

5 – تطاير الصحف عند العرض والحساب, وأخذها باليمين أو الشمال.

قال الله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾[2].

6 – دلالة نصوص القنطرة على إثبات الجزاء والحساب, وذلك من وجوه عديدة منها ما يأتي:

أ – دلالة النصوص على الاقتصاص, والسؤال, والمحاسبة:

دلت النصوص أن الذنوب عند الله سبحانه ثلاثة, ذنب لا يعبأ الله به شيئا, وذنب لا يترك الله منه شيئا, وذنب لا يغفره الله.

فالذنب الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه, والذنب الذي لا يغفره الله تعالى فالشرك به سبحانه, وأما الذنب الذي لا يترك الله منه شيئا, بل لا بد من المحاسبة والقصاص فظلم العباد بعضهم بعضا.

عن عائشة قالت: قال رسول الله :«الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة, ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله فأما الديوان

---

[1] () سورة الأعراف, (6-7).

[2] () سورة الحاقة, (19-29).

الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله عز وجل إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز ان شاء وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة»[1].

وقد دلت نصوص القنطرة أن الحبس فيها هو لأجل الاقتصاص, والسؤال, والمحاسبة على مظالم كانت بين المؤمنين في الدنيا, وأنه لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى يقتص منهم.

ففي حديث أبي سعيد الخدري ، قال: قال رسول اللَّهِ :«فيقتص لِبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا, حتى إذا هذبوا وَنقوا أذن لهم في دخول الجنة»[2].

وجه الدلالة من الحديث على إثبات الجزاء والحساب: أن هذا الاقتصاص في القنطرة هو من أجل التهذيب و التخليص من الآثام بمحاسبةٍ بعضهم ببعض عل الذنوب الذي لا يترك الله منه شيئاً.

قال ابن منظور –رحمه الله تعالى-:"والاقتصاص: أخذ القصاص, وقاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره"[3].

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله :«قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسون»[4].

---

[1]() تقدم تخريجه, (ص:55).
[2]() تقدم تخريجه, (ص:43).
[3]() لسان العرب, (7/76).
[4]() تقدم تخريجه, (ص:47).

وجه الدلالة من الحديث على إثبات الجزاء والحساب:
أن النبي بين أن الحبس في القنطرة لأهل الجد إنما هو لأجل السؤال والمحاسبة على فضول أموالهم.
قال ابن الحجر –رحمه الله تعالى-:"محبوسون أي ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال وكأن ذلك عند القنطرة التي يتقاصون فيها بعد الجواز على الصراط"[1].
وقال العيني –رحمه الله تعالى-:"وأصحاب الأموال محبوسون على قنطرة بَين الْجنَّة وَالنَّار يُسْأَلُون عَن فضول أَمْوَالهم"[2].

ب – دلالة النصوص على الخصومة الحاصلة بين المؤمنين:

أول ما يحاسب عليه المرء في حقوق العباد:
هي الخصومات والدماء، فإذا تجاوز المرء الحساب وكان حسابه يسيراً وقد كتب الله له الجنة فإنه يوقف على القنطرة، ولا يعبر ولا يمر حتى يقضي الله جل في علاه في الخصومات بين المؤمنين بعضهم لبعض في هذا المكان، فكل إنسان له مظلمة عند أخيه حتى الدرهم والدينار فلا بد من القصاص حتى يرى منزله من الجنة أو من النار.
وقد دلت نصوص القنطرة على الخصومة الحاصلة بين المؤمنين يوم القيامة وهي محاسبتهم ومحاكمتهم عند الله تعالى فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته، ويردها في حسنات من وجبت له, ومما يدل على ذلك ما يأتي:
أ – قوله تبارك وتعالى: ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ [3].

---

[1] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/420).
[2] () عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (6/132).
[3] () سورة الزمر, (31).

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية:" ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيؤخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحقّ"[(1)].

وتخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى, عند الحساب وإعطاء المظالم.

قال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"تخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى، فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته، ويردها في حسنات من وجبت له. وهذا عام في جميع المظالم"[(2)].

وقال السفاريني –رحمه الله تعالى-:"تختصمون عند الحساب وإعطاء المظالم"[(3)].

ب - عن الزبير قال: لما نزل قول تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾: قلنا: يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال:«نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حَقه» فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد»[(4)].

وجه الدلالة من الحديث على إثبات الجزاء والحساب: أن النبي بين أنهم يحاسبون يوم القيامة على ما كان بينهم في الدنيا من الخصومات, حتى يؤدى إلى كل ذي حق حَقه.

ج – إرصاد الله خلقه على قناطر جهنم ليجازي كلاً بعمله, وأن في كل قنطرة من قناطر جهنم ملائكة يسألون الناس:

دلت نصوص القنطرة أن الله سبحانه وتعالى يرصد العباد فيما يعملون، ويجازي كلا بسعيه في الدنيا

---

[1]() جامع البيان في تأويل القرآن, (21/287).

[2]() الجامع لأحكام القرآن, (15/255).

[3]() الرد على الجهمية والزنادقة, لإمام أحمد, (ص:62), ولوامع الأنوار البهية, (2/174),

[4]() تقدم تخريجه, (ص:39).

والآخرة، على قناطر جهنم، يكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة.

أ - قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"أي يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، يكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة"[2].

وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلًا بما يستحقه. وهو المنزه عن الظّلم والجور"[3].

ب - عَن أَيفع بن عبد الكلَاعِي ، قَالَ:«إِن لِجَهَنَّم سبع قناطر والصراط عَلَيْهِنَّ فَيحْبس الْخَلَائق عِنْد القنطرة الأولى فَيَقُول: قفوهم إِنَّهُم مسؤلون فيحاسبون على الصَّلَاة ويسألون عَنْهَا فَيهْلك فِيهَا من هلك وينجو من نجا فَإِذا بلغُوا القنطرة الثَّانِيَة حوسبوا على الْأَمَانَة كَيفَ أدوها وَكَيف خانوها فَيهْلك من هلك ينجو من نجا فَإِذا بلغُوا القنطرة الثَّالِثَة سئلوا عَن الرَّحِم كَيفَ وصلوها وَكَيف قطعوها فَيهْلك من هلك وينجو من نجا وَالرحم يَوْمئِذٍ متدلية إِلَى الْهوى فِي جَهَنَّم تَقول: اللَّهُمَّ من وصلني فَصله وَمن قطعني فاقطعه».

وجه الدلالة من الأثر على إثبات الجزاء والحساب: ظاهر, حيث دل الأثر أنهم يوقفون في كل قنطرة من هذه القناطر فيسألون ويحاسبون عن أنواع من التكاليف.

قال الإمام السفاريني -رحمه الله تعالى-:"وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر يسأل كل عبد

---

[1]() سورة النبأ, (14).

[2]() جامع البيان في تأويل القرآن, (21/411).

[3]() تفسير القرآن العظيم, (8/397).

عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف"[1].

د – دلالة النصوص على العدل التام الذي لا يشوبه ظلم, وأنه لا يؤخذ أحد بجريرة غيره[2]:

دلت نصوص القنطرة على عدل الله سبحانه الذي لا يشويه ظلم, وأنه لا يؤخذ أحد بجريرة غيره, وقاعدة الحساب والجزاء تمثل قمة العدل ومنتهاه أن الله سبحانه يجازي العباد بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولا يحمل أحدا وزر غيره, قال تعالى:﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾[3].

قال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:" أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى، ولا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها. وأصل الوزر الثقل، وهو هنا الذنب"[4].

وقال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[5].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"فتأويل الآية: إن الله لا يظلم عبدًا وجب له مثقال ذَرّة قِبَل عبد له آخر في مَعاده ويوم لقائه فما فوقه، فيتركه عليه فلا يأخذه للمظلوم من ظالمه، ولكنه يأخذه منه له، ويأخذ من كل ظالم لكل مظلوم تَبِعَتَهُ قِبَله"[6].

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله-:"فَالْآيَةُ عَلَى هَذَا التأويل في الخصوم، وأنه تعالى لا يظلم مثقال ذرة

---

[1]() لوامع الأنوار البهية, (2/191).

[2]() انظر التفصيل ذلك في المبحث الذي يأتي, (ص:).

[3]() سورة الإسراء, (15).

[4]() الجامع لأحكام القرآن, (2/139).

[5]() سورة النساء, (39).

[6]() جامع البيان في تأويل القرآن, (8/365).

للخصم على الخصم يأخذ له منه، ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضعفها له"[1].

[1]) الجامع لأحكام القرآن, (5/196).

المبحث الثالث
إثبات عدل[1] الله جل وعلا

إن إثبات عدل الله سبحانه وتعالى أصل عظيم يدخل في جميع أبواب الدين, وأصوله, وفروعه.
قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"وهذا الأصل دخل في جميع أبواب الدين؛ أصوله، وفروعه؛ في خلق الربّ لما يخلقه، ورزقه، وإعطائه، ومنعه، وسائر ما

---

[1]() **تعريف العدل لغة:**قال ابن فارس –رحمه الله تعالى-:"العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج. والعدل: الحكم بالاستواء. ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله. وعدلت بفلان فلانا، وهو يعادله. والمشرك يعدل بربه - تعالى عن قولهم علوا كبيرا - كأنه يسوي به غيره". مقاييس اللغة, (4/246).
"والعدل: خلاف الجور. يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل. وبسط الوالي عدله ومعدلته. وفلان من أهل المعدلة، أي من أهل العدل. ورجل عدل، أي رضا ومقنع في الشهادة. وهو في الأصل مصدر. وقوم عدل وعدول أيضا، وهو جمع عدل". الصحاح, للجوهري, (5/1760), وانظر مقاييس اللغة, لابن فارس, (4/247).
وقال ابن منظور:" العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم, والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل. وهو حكم عادل: ذو معدلة في حكمه. والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه". لسان العرب, (11/430).
تعريف العدل شرعاً:
قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:" والعدل وضع كل شيء في موضعه وهو سبحانه حكم عدل يضع الأشياء مواضعها ولا يضع شيئا إلا في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ولا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين مختلفين ولا يعاقب إلا من يتسحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل".جامع الرسائل, (1/123).

يفعله تبارك وتعالى، ودخل في أمره، ونهيه، وجميع ما يأمر به، وينهى عنه. ودخل في المعاد"[1].

وقال -رحمه الله تعالى-:"وهذا الأصل؛ وهو عدل الربّ، يتعلّق بجميع أنواع العلم والدين؛ فإنّ جميع أفعال الرب ومخلوقاته داخلة في ذلك، وكذلك أقواله وشرائعه وكتبه المنزلة، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد، ومسائل النبوات، وآياتهم، والثواب والعقاب، ومسائل التعديل والتجوير، وغير ذلك"[2].

وإذا كان الناس يحبون هذه الصفة, ويحبون من اتصف بها, ويعظمونه بفطرتهم السليمة, فما من إنسان سوي إلا وهو يحب العدل, ويكره الجور بطبعه, فإذا كان هذا حال الإنسان وهو الظلوم الجهول, فكيف بحال خالق الإنسان, القوي القدير ذي الصفات الكاملة في كل شيء, الذي لا يظلم مثقال ذرة؟

قال الشيخ غالب عواجي –حفظه الله تعالى-:"وما من إنسان سوي في نفسه إلا وهو يحب العدل, ويكره الجور بطبعه, ويحاول دائماً أن يتصف بصفة العدل, وينفر دائماً من صفة الجور.

فإذا كان هذا حال الإنسان وهو الظلوم الجهول, فكيف بحال خالق الإنسان, القوي القدير ذي الصفات الكاملة في كل شيء, الذي لا يظلم مثقال ذرة, وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً؟ أفلا يكون له من تلك الصفات الحميدة أعلاها وأكملها؟ بلى, لا يشك في ذلك مسلم, بل وأي إنسان سليم الفطرة"[3].

وقد تنوعت أدلة الكتاب والسنة على إثبات عدل الله سبحانه بأساليب متعددة وعبارات بليغة, فالله سبحانه

---

[1]() النبوات, (1/467).

[2]() جامع الرسائل, (1/125).

[3]() الحياة الآخرة, (2/1011).

وتعالى لا يبعث العباد في يوم القيامة إلا ليقيم العدل بينهم.

قال سبحانه: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾[1].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير"[2].

وكل مشهد من مشاهد يوم القيامة يدل على كمال عدل الله ﷻ.

فقد بين الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ, أنه يقيم الحساب بالعدل بين خلقه, بحيث يشمل ذلك حتى الحيوانات, وكذلك وضع الموازين بالقسط والعدل, وتطاير الصحف, ووضع الصراط على متن جهنم, كل ذلك يدل على كمال عدله سبحانه.

ومن أعظم المشاهد التي تدل على كمال عدله ﷻ, هو القصاص العام يوم القيامة, والاقتصاص بين المؤمنين في القنطرة.

وقد تنوعت دلالات نصوص القنطرة على إثبات عدل الله, من وجوه عديدة منها ما يأتي:

1 – دلالة النصوص على نفي الظلم عن الله ﷻ وأن حقوق الآدميين لا بد فيها من القصاص:

---

[1] () سورة الجاثية, (21).

[2] () جامع البيان في تأويل القرآن, (22/72).

لقد تضافرت دلالة نصوص القنطرة على نفي الظلم عن الله سبحانه, وأنه لا يظلم مثقال ذرة ولا يجزي أحدا إلا بذنبه ولا يخاف أحد ظلما ولا هضما, لا يهضم من حسناته ولا يظلم فيزاد عليه في سيئاته لا من سيئات غيره ولا من غيرها, بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره, وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[1].

قال الزجاج –رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية: "يَخْتَصِم المؤمِنُ والكافِرُ، ويخاصِمُ المظلومَ الظالِمَ"[2].

عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله يقول: يحشر الله العباد حفاة عراة غرلا قلنا ما هما قال: ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منها حتى اللطمة قلنا كيف وان نأتي الله غرلا بهما قال: بالحسنات والسيئآت وتلا رسول الله ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾[3].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله -"فبين في الحديث العدل والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار"[4].

فمن كمال عدل الله سبحانه وحكمته أنه لا يعذب أحدا إلا بذنبه ولا ينقص أحدا من حسناته ولا يعطي أحدا من

---

[1] () سورة غافر, (17).
[2]) (4/353) ,معاني القرآن وإعرابه.
[3] () تقدم تخريجه, (ص:53).
[4] () مجموع الفتاوى, (18/188), وانظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية, (1/113).

سيئات غيره, ولا يترك مظلمة لأحد على أحد, بل لا بد من القصاص, وكل ذلك من كمال عدله سبحانه.

قال ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-:"إن حقوق الآدميين لا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات"[1].

وقال الإمام الترمذي –رحمه الله تعالى-:"فإن الله وضع العدل بين خلقه، ثم لم يرض من الظلم بقليل، ولا كثير، ولامثقال ذرة، ولا حبة خردل، وليس بتارك أحدا من خلقه يوم القيامة حتى يقضي له"[2].

2 – دلالة النصوص أن القصاص عام لجميع المظالم الفعلية والقولية.

دلت النصوص أن من كمال عدله سبحانه, أنه يقيم القصاص بين العباد في جميع أنواع المظالم الفعلية والقولية.

فعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله :«ما من رجل يضرب عبداً له إلا أقيد منه يوم القيامة»[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة»[4].

هذا بالنسبة للمظالم الفعلية, أما المظالم القولية فالغيبة التي يتساهل الناس في أمرها, وقذف المحصنات الغافلات فقد دلت النصوص أنه يقتص منهم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«من كان عنده لأخيه مظلمة في دم أو مال أو عرض فليأته فليستحل منه»[5].

---

[1]() التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد, (22/83).

[2]() المنهيات, (ص:174).

[3]() تقدم تخريجه, (ص:57).

[4]() تقدم تخريجه, (ص:52).

[5]() تقدم تخريجه, (ص:49).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"والاغتياب من ظلم الأعراض, وقد نبههم رسول الله على التوبة من الاغتياب وهو من الظلم"[1].

3 – دلالة النصوص على الاقتصاص بين جميع الخلق, حتى الحيوانات من بعضها البعض, حيث تقتص البهيمة التي لا قرن لها ممن نطحتها في الدنيا من ذوات القرون.

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"يحشر يوم القيامة كل شيء، يقضي الله تعالى بينهم بحكمه وعدله، وهو السميع العليم، يقتص من البهائم بعضها مع بعض، ومن الآدميين بعضهم مع بعض، ومن الجن بعضهم مع بعض، ومن الجن والإنس بعضهم مع بعض، لأن الإنس قد يعتدون على الجن، والجن قد يعتدون على الإنس"[2].

وقال حافظ الحكمي –رحمه الله تعالى-:"فيقضي سبحانه بين خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء"[3].

وإذا كان القصاص وظهور العدل شمل الحيوانات التي لا تعقل, فكيف بالعباد الذين هم محل التكليف والمسؤلية؟

قال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى- :"إن الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببني آدم"[4].

وقال -رحمه الله تعالى-:"فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه وأنه لا محيص لمخلوق عنه"[5].

---

[1]() الفتاوى الكبرى, (1/113).

[2]() شرح رياض الصالحين, (2/489).

[3]() معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول, (2/804).

[4]() الجامع لأحكام القرآن, (19/229).

[5]() المصدر نفسه, (6/421).

فالغرض من القصاص بين الحيوانات التي هي غير مكلفة, هو إظهار لعدل الله سبحانه, وإعلام العباد أن الحقوق لا تضيع.
قال علي القاري -رحمه الله تعالى- "فإن قيل : الشاة غير مكلفة ، فكيف يقتص منها؟ قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل ، والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع ، بل يقتص حق المظلوم من الظالم, وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين ، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف ، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف ، والقوي والضعيف؟"[1].

4 – تتضمن النصوص الرد على من قال:"لا يجوز في حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها.

وهذا زعموا جورا وأولوا قول الله تعالى:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2], فقالوا: كيف تصح هذه الأحاديث وهي تخالف ظاهر القرآن وتستحيل في العقل؟"[3].
قال الأزهري في الجواب عن مثل هذه النصوص:"أن الآية في شخصين لا حق لواحد منهما على الآخر، فأما هذه فبذنبه أخذ وبكسبه غفرت، ومحل الطرح المذكور إذا مات الظالم وهو قادر على القضاء، وأما إذا مات عاجزا فلا يطرح عليه من سيئات مظلومه شيء"[4].
وقال ابن حجر –رحمه الله تعال-:"ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته

---

[1]() مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, (8/3203).
[2]() سورة الأنعام, (164).
[3]() انظر الجواب المفصل على هذا الإعتراض, في المبحث الثاني من الفصل السادس, (ص:).
[4]() الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني, (1/89).

فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده"[1].

وقال الشيخ غالب عواجي –حفظه الله تعالى-:"وأما قولهم إن العقل يحيل ذلك, فهذا مردود, لأن معنى استحالة العقل: أن لا يتصور العقل وقوع ذلك, فما الذي يحيله العقل أو لايتصوره, بل العقل لا يجوز فقط, وإنما يحتم هذا القصاص في الآخرة التي ليس فيها بيع ولا خلال ولا ينفع مال ولا بنون, وإنما المجازات تكون بالسيئات والحسنات, وهذا منتهى العدل الرباني الذي وعد به, وإلا فكيف يجازى الذي اغتاب وفعل ما فعل من الموبقات.

فالحكمة تقتضي أن يؤخذ من حسناته أو تكال عليه سيئات خصمه, وكيف لا يكون ذلك وقد دلت النصوص وجاءت الأحاديث بإثباته؟"[2].

---

[1]() فتح الباري شرح صحيح البخاري, (5/102).

[2]() الحياة الآخرة, (2/1023).

المبحث الرابع
إثبات صفة الرحمة[1] لله تعالى

إن صفة الرحمة لله هي صفة كمال لائقة بذاته كسائر صفاته العلى، وليست كرحمة المخلوقين التي يعتريها النقص والعجز والضعف؛ بسبب نقصهم وعجزهم وضعفهم، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق؛ فكانت له الرحمة الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.
إنها رحمة رَحِمَ بها عباده من ملائكة وإنس وجن وحيوان، ورحم بها جميع مخلوقاته، وإذا كان
ما في الوجود من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهدًا بملكه سبحانه؛ فإن ما لله تعالى على خلقه من الإحسان والإنعام شاهدٌ برحمةٍ تامةٍ وسعت كل شيء.

---

[1]() **تعريف الرحمة لغة:**
قال ابن فارس –رحمه الله تعالى-:"الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه. والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى". معجم مقاييس اللغة, (2/498).
وقال الجوهري:"الرحمة: الرقة والتعطف. والمرحمة مثله. وقد رحمته وترحمت عليه. وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, (5/1929), وانظر لسان العرب, (12/230).
وقال ابن منظور –رحمه الله تعالى-:الرحمة: الرقّة والتّعطّف, والرحمة: المغفرة, والرحمة في بني آدم:رقّة القلب وعطفه. ورحمة الله: عطفه ،وإحسانه، ورزقه". لسان العرب, (12/230).
تعريف الرحمة في الاصطلاح:
قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فالرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه ، وشقت عليها ، فهذه هي الرحمة الحقيقية". إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان, (2/174).

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"إن ظهور آثار هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه"[1].

وآثار رحمته العامة والخاصَّة باديةٌ للعيان، ظاهرةٌ للعقلاء، أدركتها العقول، واستقرت في الفِطَر، وشاهدها الخلق, وليس يحدها الحد، ولا يحصيها العد؛ ففي كل شأن من شؤون الخلق تجد آثارًا لرحمة أرحم الراحمين بهم.

والرحمة صفة من صفات الله ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"فعقيدة أهل السنة والجماعة إثبات الرحمة لله وأنها صفة حقيقية يتصف الله بها حقاً"[2].

وقد تنوعت أدلة الكتاب والسنة على إثبات صفة الرحمة لله سبحانه بأساليب متعددة وعبارات مختلفة, منها ما يأتي:

1 – إخبار الله سبحانه, أنه كتب الرحمة على نفسه:

قال سبحانه:﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾[3].

2 – **سعة رحمة الله تعالى:**

قال الله تعالى:﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[4].

---

[1] () مختصر الصواعق المرسلة, (ص:368).
[2] () شرح العقيدة السفارينية, (ص:247).
[3] () سورة الأنعام, (12).
[4] () سورة الأعراف, (156).

وقال الله تعالى إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون:﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾[1].

3 – رحمة الله تغلب غضبه:

عن أبي هريرة عن النبي قال:«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي»[2].

4 – الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها:

عن عمر بن الخطاب : قدم على النبي سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي :«أترون هذه طارحة ولدها في النار» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[3].

4- لله سبحانه وتعالى مائة رحمة, أنزل واحدة منها في الأرض, وأخر تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة:

عن أبي هريرة ، عن النبي قال:«إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»[4].

---

[1]() سورة غافر, (7).

[2]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب بدء الخلق, باب ما جاء في قول الله تعالى﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم, 27], (ص:531), رقم(3194), ومسلم في صحيحه, كتاب التوبة, باب في سعة رحمة الله تعالى, وأنها تغلب غضبه, (ص:1192), رقم(2751).

[3]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الأدب, باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته, (ص:1050), رقم(5999).

[4]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب التوبة, باب في سعة رحمة

فكل مشهد من مشاهد يوم القيامة يدل على عظيم رحمته تبارك وتعالى, حتى قال النبي ﷺ:«ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»"[1].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-:"جميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحدا إلا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته"[2].

6- دلالة نصوص القنطرة على إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى, من وجوه عديدة منها ما يأتي:

1 – دلالة النصوص أن من رحمة الله ﷻ تطهير القلوب وتهذيبها من الغل والحقد قبل دخول الجنة.

من رحمة الله سبحانه على المؤمنين أنه يوقفهم بعد مجاوزتهم النار على القنطرة ليقتص بعضهم من بعض على مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى لا يبقى في قلوبهم الغل والحقد, فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر.

عن أبي نضرة –رحمه الله- أنه قال في تفسيره لقوله تعالى﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾[3]: يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من

الله تعالى, وأنها تغلب غضبه, (ص:1193), رقم(2752).

[1] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الرقاق, باب الرجاء مع الخوف, (ص:1122), رقم(6469), ومسلم, كتاب التوبة, باب في سعة رحمة الله, وأنها تغلب غضبه, (ص:1194), رقم(2755).

[2] () مفتاح دار السعادة, (2/109).

[3] () سورة الأعراف, (43).

بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحدًا بقلامة ظُفُرٍ ظلمها إياه"[1].

قال الامام الشوكاني –رحمه الله تعالى-:"هذا من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة، أن ينزع الله ما في قلوبهم من الغل على بعضهم بعضا حتى تصفو قلوبهم ويود بعضهم بعضا، فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر"[2].

2 – دلالة النصوص أن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل القصاص بين الخلق يوم القيامة سبباً من الأسباب التي تندفع بها العقوبة.

من رحمة الله سبحانه بالعباد أنه لا يعجل لهم العذاب, والعقوبة, بل قد جعل أسباباً تندفع بها العقوبة، وينتفي بسببها الوعيد، ويزول موجب الذنوب.

قال الله تعـالى:﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُـورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِـذُهُم بِمَـا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِـدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨﴾[3].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"أخبر تعـالى عن سعة مغفرته ورحمتـه، وأنـه يغفـر الـذنوب، ويتـوب اللـه على من يتوب، فيتغمده برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنــه لو آخذ العباد على ما قـدمت أيـديهم من الـذنوب، لعجـل لهم العـذاب، ولكنـه تعـالى حليم لا يعجـل بالعقوبـة، بـل يمهل ولا يهمل"[4].

وقد تقرر فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى جعل القصاص بين الخلق يوم القيامة سبباً من الأسباب التي

---

[1] () جامع البيان عن تأويل آي القرآن, للطبري (10/199).
[2] () فتح القدير, (2/234).
[3] () سورة الكهف, (58).
[4] () تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (ص:480).

تندفع بها العقوبة، وينتفي بسببها الوعيد، ويزول موجب الذنوب, وكل ذلك من رحمته عز وجل.
قال الشيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب ... السبب الثامن والتاسع والعاشر من بلاء القبر وأهوال يوم القيامة واقتصاصهم من بعض, وذلك ما ثبت في الصحيحين «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[1].
فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن إلا نفسه، كما قال فيما يرويه عنه رسوله «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم أياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[2]"[3].

3 – دلالة النصوص أن من رحمة الله سبحانه أنه يلقي في قلوب المؤمنين العفو لبعضهم عن بعض, أو يرضي الله سبحانه وتعالى الخصم حتى يعفو المظلوم عن أخيه.

دلت نصوص القنطرة أن الله تعالى إذا شاء أن يعوض المظلوم من عنده مظلمة, ويلقي في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض, فلا راد لفضله ورحمته, ولا معقب لحكمه .
قال البيهقي -رحمه الله تعالى- عند شرحه لقول النبي :«حتى إذا هذبوا ونقوا» قال: بأن يرضى عنهم خصماؤهم، ورضاهم قد يكون بالاقتصاص، وقد يكون بأن

---

[1]() تقدم تخريجه,) ص:43).
[2]() تقدم تخريجه, (ص:36).
[3]() منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية, (6/238).

يثيب الله المظلوم خيرا من مظلمته، ويعفو عن الظالم برحمته"[1].

عن أبي هريرة قال:«بينما رسول الله ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل, فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء، فقال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ، ثم قال:«إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم»، ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره ما أعجبه من الخير والنعمة فقال: لمن هذا يا رب؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه. قال ومن يملك ثمن ذلك؟ قال أنت. قال: بم إذاً؟ قال بعفوك عن أخيك. قال يا رب فإني قد عفوت عنه. قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. ثم قال رسول الله «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»[2].

وعن أنسٍ بن مالك قال: قال رسول الله : «إِذا التقى الخَلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد يسمع الخلائق: يا أهل الجنة تتاركوا المظالم وثوابكم عليّ»[3].

وجه الدلالة من هذين الحديثين على إثبات صفة الرحمة لله سبحانه:

أن النبي بين فيهما أن الله سبحانه من رحمته ولطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد أنه

---

[1]() شعب الإيمان, (1/523).

[2]() تقدم تخريجه, (ص:59).

[3]() تقدم تخريجه, (ص:146).

يصالح عن عبده الذي له به عناية من ظلمه, بما يريه من قصور الجنة ونعيمها.

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"فيه أن الله تعالى يصالح عن عبده الذي له به عناية من ظلمه, بما يريه من قصور الجنة ونعيمها"[1].

4 – دلالة النصوص أن مآل أهل القنطرة إلى الجنة, والجنة محض فضل الله سبحانه ورحمته.

دلت نصوص القنطرة أن المؤمنين بعد تهذيبهم وتنقيتهم في القنطرة يؤذن لهم بدخول الجنة.

ففي حديث أبي سعيد الخدري , قال: قال النبي :« حتى إذا هذبوا وَنقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزِلِه كان في الدنيا».

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"فمن مر على الصراط؛ دخل الجنة. فإذا عبروا عليه؛ وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا؛ أذن
لهم في دخول الجنة"[2] .

والجنة هي محض فضله ورحمته , فما فاز أحد بالجنة إلا بفضل الله ورحته.

عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال:«لن ينجي أحدا منكم عمله, قال رجل:ولا إياك يا رسول الله, قال:ولا إياي, إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سددوا»[3].

---

[1]() البداية والنهاية, (20/39).

[2]() مجموع الفتاوى, (3/147).

[3]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الرقاق, باب القصد والمداومة على العمل, (ص:1121), رقم(6463), ومسلم في صحيحه, كتاب صفات المنافقين وأحكامهم, باب لن يدخل أحد الجنة بعمله, بل برحمة الله تعالى, (ص:1226), رقم(2816).

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-:"جميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحدا إلا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته وإذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم, لا لكونه قادرا عليهم وهم ملكه بل لاستحقاقهم, ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم"[1].

[1]() مفتاح دار السعادة, (2/109).

المبحث الخامس

إثبات نعيم الجنة[1] وعذاب النار[2]

إن الإيمان بالجنة والنار، داخل في الإيمان باليوم الآخر، الذي يشمل: (الإيمان بالبعث، والحساب، والصراط، والميزان، والقنطرة, والجنة والنار)، فمن لم يؤمن بالجنة والنار, فليس

بمؤمن، وهو مُكذب لله، ومن كذب الله كفر.

---

[1] **تعريف الجنة لغة:** هو الستر والتستر, وهي البستان، ومنه الجنات. والعرب تسمي النخيل جنة.
قال ابن فارس –رحم الله تعالى-:"الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر و التستر. فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم. والجنة البستان، وهو ذاك لأن الشجر بورقه يستر. وناس يقولون: الجنة عند العرب النخل الطوال".معجم مقاييس اللغة, (1/421).
وقال ابن الأثير –رحمه الله تعالى-:" الجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان وهو الستر، لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها. وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنا إذا ستره، فكأنها سترة واحدة؛ لشدة التفافها وإظلالها". النهاية في غريب الحديث والأثر, (1/307), وانظر لسان العرب, (13/100).
وفي اصطلاح الشرع: هي دار الكرامة التي أعدّ الله لأوليائه يوم القيامة، وفيها نهر يطرد، وغرفة عالية، وشجرة مثمرة، وزوجة حسناء. بل فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذّ الأعين؛ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. انظر أضواء البيان, للشيخ محمد الأمين الشنقيطي, (7/161), والجنة والنار, لعمر الأشقر, (ص:117).

[2] **تعريف النار لغة:**"عنصر طبيعي فعال يمثله النُّور والحرارة المحرقة وَتطلق على اللهب الَّذِي يَبْدُو للحاسة كَمَا تطلق على الْحَرَارَة المحرقة, جمع نيران وأنور وَيُقَال استضاء بناره استشاره وَأخذ بِرَأْيِهِ وأوقد نَار الْحَرْب أثارها وهيجها". انظر المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, (2/962), ومعجم اللغة العربية المعاصرة, لأحمد مختار عمر, (3/2303).

فلا بد من الإيمان بأن الله خلق الجنة والنار، وخلق للجنة أهلا، وخلق للنار أهلا، وهما الآن مخلوقتان موجودتان، دائمتان لا تفنيان ولا تبيدان، هذا معتقد أهل السنة والجماعة[1].

وقد ورد ذكر نعيم الجنة وعذاب النار في القرآن الكريم وسنة النبي ، في مواضع كثيرة، وبدلالات مختلفة مصوراً ذلك, أو مخبراً عنهما, أو مبشراً بالجنة, ومحذراً من النار، كل ذلك لزيادة العناية وللفت الأنظار, وليستعد العباد بالعمل الصالح إذ المراد ببعث الناس وقيامهم من قبورهم, وحسابهم وجزائهم هو من أجل ذلك.

وقد دلت نصوص القنطرة على إثبات نعيم الجنة وعذاب النار, من وجوه عديدة, منها ما يأتي:

1 – دلالة النصوص أن الله ينزع ما في قلوب المؤمنين من الغلّ على بعضهم بعضاً قبل دخول الجنة, ليتم عليهم نعمته بأن يكونوا في نعيم في قلوبهم، كما أن أجسامهم في نعيم.

دلت نصوص القنطرة أن الله سبحانه وتعالى ينزع ما في قلوب المؤمنين من الغلّ على بعضهم بعضاً قبل أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

وفي اصطلاح الشرع: النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين.

وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه.

قال الله تعالى:رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢سورة آل عمران, (192).

[1]() انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية, (6/659), ومجموع الفتاوى, (5/77), و شرح العقيدة الطحاوية, لابن أبي العز, (ص:420).

فإن الجنة مكان طاهر مطهر اختاره الله تعالى سكناً لعباده الأتقياء الأطهار، وإنه لطهارته كان من فيه جميعاً في طهارة كاملة حسية ومعنوية، طهارة الأبدان وطهارة القلوب التي في الصدور، وإن أشد ما يدرن القلوب الغل والحسد، والأحقاد الدنيوية، فإنها أمراض تصيب القلوب، لتجعل الإنسان في هم مستمر، وعذاب مقيم، فكان من مقتضى النعيم الذي أنعم الله به على الأبرار أن يتم عليهم نعمته بأن يكونوا في نعيم في قلوبهم، كما أن أجسامهم في نعيم.

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾[1].

وجه الدلالة من الآية على إثبات نعيم الجنة:

أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن مما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم, وذلك أن صاحب الغل متعذب به ولا عذاب في الجنة.

قال ابن عطية –رحمه الله تعالى-:"هذا إخبار من الله عز وجل أنه ينقي قلوب ساكني الجنة من الغل والحقد، وذلك أن صاحب الغل متعذب به ولا عذاب في الجنة"[2].

وقال الامام القرطبي –رحمه الله تعالى-:"ذكر الله عز وجل أنه مما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم"[3].

فنزع الغل والحقد والحسد من قلوب المؤمنين التي تكون في القنطرة هي من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة, فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر.

---

[1] () سورة الأعراف, (43).

[2] () المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, (2/401), وانظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن, للثعالبي, (3/31).

[3] () الجامع لأحكام القرآن, (7/208).

2 – دلالة النصوص أن من حُبس على القنطرة فقد نجا من عذاب النار وأمن من الدخول فيها.

دلت نصوص القنطرة أن من حبس عليها فقد خلص من النار, ونجا منها وأمن الدخول فيها.

ففي حديث أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ:« يخلص المُؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار»[1].

وجه الدلالة من الحديث على إثبات عذاب النار:

أن النبي ﷺ بين في هذا الحديث أنهم قد خلصوا من النار, والخلوص هو النجاة من السقوط فيها والسلامة من العذاب.

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"إذا خلص المؤمنون من النار أي نجوا من السقوط فيها بعد ما جازوا على الصراط"[2].

وقال العيني –رحمه الله تعالى-:"قوله: «إذا خلص المؤمنون»، بفتح اللام أي: إذا سلموا ونجوا من النار"[3].

فالخلوص, والتخلص هو النجاة والسلامة.

قال الجوهري –رحمه الله تعالى-:"خلص الشئ بالفتح يخلص خلوصا، أي صار خالصا. وخلص إليه الشئ: وصل. وخلصته من كذا تخليصا، أي نجيته فتخلص"[4].

وقال ابن منظور –رحمه الله تعالى-:"خلص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصا وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم"[5].

---

[1]() تقدم تخريجه, (ص:43).

[2]() فتح الباري, (11/399).

[3]() عمدة القاري شرح صحيح البخاري, (12/285).

[4]() الصحاح تاج اللغة, (3/1037).

[5]() لسان العرب, (7/26).

المبحث السادس
بيان رحمة النبي ﷺ بأمته

نبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، فرسالته رحمة للإنس والجن، بل تعدَّت رحمة النبي ﷺ العالمين لتصلَ إلى البهائم، بل الجمادات؛ كالجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ.
قال الله سبحانه:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1].
فإذا كان إرسال الرسل رحمة لقومهم، فإن رسالة النبي ﷺ رحمة لمن اتبعه وعصاه.
قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"فالله أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذِّبة رسلها من قبله"[2].
وقال الامام الشوكاني –رحمه الله تعالى-:"أي: وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس. ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين. ومعنى كونه رحمة للكفار: أنهم أمِنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال. بدليل قوله سبحانه:﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾[3].
فالرحمة من صفات الجمال والكمال الخُلقي، ولنبينا ﷺ النصيب الأوفى منه، إذ كان أحسن الناس رحمة، وألطفهم عشرة، يعفو عن المسيء، ويصفح عن المخطئ، وقد امتدحه الله على أخلاقه كلها فقال:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[4].

---
[1]() سورة الأنبياء, (107).
[2]() جامع البيان في تأويل القرآن, (18/552).
[3]() سورة الأنفال, (33).
[4]() سورة القلم, (4).

فكان ﷺ يحرص كل الحرص على هداية النـاس, وحصـول النفع الدنيوي والأخروي إليهم, ويعـز عليـه الشـيء الـذي يعنت أمته ويشق عليها.
قال الله تعالى:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[1].
قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"(لقد جاءكم) ، أيها القوم، رسول الله إليكم (من أنفسكم) ، تعرفونه، لا من غيركم، فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم (عزيز عليه ما عنتم) ، أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى (حريص عليكم) ، يقول: حريص على هُدَى ضُلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق «بالمؤمنين رءوف» ،: أي رفيق رحيم"[2].
وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:" وقوله: «عزيز عليه ما عنتم» أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها, وقوله:«حريص عليكم» أي راغب ومجتهد على هدايتكم، وحصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم، والحرص شدة طلب الشيء على الاجتهاد فيه، حتى قال ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم»[3]. وقوله:«بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ». أي بليغ الرأفة والشفقة بهم لا بغيرهم"[4].
فاقتضت هذه الأوصاف أن بلغ حرصه ﷺ بأمته, أن أمرهم بالتحلل من المظالم في الدنيا, وأنذر أمته وحذرهم عن الظلم الذي هو أعظم الذنوب, والذي هو سبب إفلاس العبد يوم القيامة, وشبه حرصه على أمته, بقوله ﷺ:«إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار

---

[1]() سورة التوبة, (128).
[2]() جامع البيان في تأويل القرآن, (14/584).
[3]() أخرجه الطبراني في المعجم والكبير, رقم (1647), وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (4/416).
[4]() تفسير القرآن العظيم, (4/241).

يقعن فيها، فجعل الرجل يحجزهن، ويغلبنه، فيتقحمن[1] فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تقحمون فيها»[2].

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-:"وفي الحديث ما كان فيه من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة"[3].

فهو الرحيم بأمته ، الرؤوف بهم، الحريص على وقايتهم من سبل الغواية، وحمايتهم من كل ما يكون سببا في هلاكهم, في الدنيا والآخرة.

والأدلة الدالة على رحمة النبي بالأمة لا تعد, ولا تحصى, فما من خير إلا دل الأمة عليه, وما من شر إلا وحذرها منه.

وليس الغرض ذكر النصوص التي تدل على رحمته بالأمة, بل الغرض أن نبين دلالات العقدية المستنبطة من نصوص القنطرة على بيان رحمة النبي بالأمة.

وقد دلت نصوص القنطرة على رحمة النبي بأمته, من وجوه عديدة منها ما يأتي:

1 – دلالة النصوص على أمر النبي , بالتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه, ولا درهم.

إن من أعظم مشاهد يوم القيامة هو مشهد القصاص, ورد المظالم إلى أهلها.

قال الله تعالى: وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١[4].

---

[1] () تقحمون, أي تقعون فيها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (4/18).

[2] () أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب أحاديث الأنبياء, باب قول الله تعالى:وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠[ص:30], (ص: 575), رقم(3426).

[3] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, (11/318).

[4] () سورة طه, (111).

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"أي: يوم القيامة، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء"[1].

ومن رحمة النبي , وشفقته بالأمة أنه أمرهم بالتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن يأتي ذلك اليوم العظيم الذي يحيط على الظالم خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني. بل الأمر أعظم مما يتصور كما قال الزبير لما بين له رسول الله أنه ليكرر ما كان عليهم في الدنيا مع خواص الذنوب حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه, فقال :«والله إن الأمر لشديد»[2], فكان من مقتضى رحمته بالأمة أن أمرهم بالتحلل من المظالم على بعضهم بعضاً في الدنيا.

فعن أبى هريرة أن النبى قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه»[3].

وجه الدلالة من الحديث على بيان رحمة النبي بالأمة: أنه من رحمته بهم أمره بردهم المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده, ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة, لأنه إن لم يتحلل في الدنيا فلا بد من التحلل يوم القيامة الذي ليس فيه دينار ولا درهم وإنما بالحسنات والسيئات.

2 – تتضمن النصوص تحذير النبي أمته من المظالم.

---

[1]() تفسير القرآن العظيم, (5/318).

[2]() تقدم تخريجه, (ص:39).

[3]() تقدم تخريجه, (ص:49).

تقرر فيما سبق أن الظلم مرتعه وخيم, وهو من أقبح المعاصي وأشدها عقوبة, بل ليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم بعد الشرك بالله عز وجل، لأن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى، فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنك، فإذا كان الذنب بينك وبين العباد، فلا حيلة لك سوى رضا الخصم.

وقد حذر النبي الأمة من الظلم أشد التحذير, ولا شك أن الوقوف في القنطرة, والاقتصاص فيها هو لسبب المظالم الحاصلة بين المؤمنين.

فمن رحمته بالأمة أنه ما من خير إلا دل الأمة عليه, وما من شر إلا وحذرها منه, وما من شيء يقرب من الجنة, ويباعد عن النار إلا أمر به, وما من شيء يقرب من النار ويباعد من الجنة إلا وحذر عنه.

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله :«إنه ما من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وإنه ما من شيء يقربكم من النار ويبعدكم مِنَ الجنة إلا قد نهيتكم عنه»[1].

ومن أعظم الأمور التي حذر منها, والتي هي سبب من الأسباب التي تقرب من النار وتبعد عن الجنة, وتفلس الأعمال, ظلم العباد بعضهم لبعض.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله :«أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل

---

[1]() أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه, (7/79), رقم(34332), والحاكم في مستدركه, (2/5), رقم(2136), والبيهقي في شعب الإيمان, (13/19), رقم(9891), وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب, (2/144):"صحيح لغيره".

أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح فى النار»[1].

---

[1]() تقدم تخريجه, (ص:56).

الفصل الخامس: ثمرات الإيمان بالقنطرة 0

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: ظهور آثار أسماء الله وصفاته0
- المبحث الثاني: الإيمان بالقنطرة أمارة على صدق العبد وتقواه لربه0
- المبحث الثالث: الإيمان بالقنطرة يفتح باب الخوف والرجاء للعبد0
- المبحث الرابع: شفاء صدور المؤمنين والمظلومين0
- المبحث الخامس: الإيمان بالقنطرة يقوي جانب محبة العبد لنبيه محمد الرحيم بأمته0
- المبحث السادس:الإيمان بالقنطرة يزهد العبد في الدنيا0

تمهيد

قبل البدء ببيان ثمرات الإيمان بالقنطرة, فإنه يحسن بنا أن نعرف الثمرات لغة واصطلاحا.

تعريف الثمرات لغة:

قال ابن فارس:"الثاء والميم والراء أصل واحد، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، ثم يحمل عليه غيره استعارة.

فالثمر معروف. يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر. والشجر الثامر: الذي بلغ أوان يثمر. والمثمر: الذي فيه الثمر. وثمر الرجل ماله أحسن القيام عليه. ويقال في الدعاء:" ثمر الله ماله" أي نماه. والثميرة من اللبن حين يثمر فيصير مثل الجمار الأبيض; وهذا هو القياس. ويقال لعقدة السوط ثمرة; وذلك تشبيه"[1].

قال ابن الأثير –رحمه الله تعالى-:"يقال شجر ثامر إذا أدرك ثمره.

وفيه «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم»[2], قيل للولد ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر، والولد ينتجه الأب"[3].

تعريف الثمرات اصطلاحاً:

---

[1]() معجم مقاييس اللغة, (1/388).

[2]() أخرجه الترمذي في سننه, كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ, باب فضل المصيبة إذا احتسب, رقم(1021), قال الترمذي:"هذا حديث حسن غريب", والحديث حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب, (3/201).

[3]() النهاية في غريب الحديث والأثر, (1/221), وانظر لسان العرب, (4/106).

وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، ثم يحمل عليه غيره استعارة.

والإيمان باليوم الآخر عموماً والقنطرة خصوصاً يثمر ثمرات جليلة, وأخلاقاً جميلةً, وعبوديات متنوعة, وآثاراً حميدة تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

قال العلامة السعدي - رحمه الله -:"إن معرفة ذلك اليوم حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر، كأحوال القبر وشدته، وأحوال المواقف الهائلة، وصفات النار المفزعة، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أن يعرف بذلك، فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة، والموجب لكمال حمده، والثناء عليه بما هو أهله.

وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته"[1].

وقال أيضاً –رحمه الله تعالى-:"إن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلب، وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر اللذين هما أساس الخيرات"[2].

ويمكن تلخيص جل الثمرات بالإيمان بالقنطرة في الآتي:

1 - ظهور آثار أسماء الله وصفاته0

2 - الإيمان بالقنطرة أمارة على صدق العبد وتقواه لربه0

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (ص:37).

[2]() المصدر نفسه, (ص:37).

3 - الإيمان بالقنطرة يفتح باب الخوف والرجاء للعبد 0

4 - شفاء صدور المؤمنين والمظلومين0

5 - الإيمان بالقنطرة يقوي جانب محبة العبد لنبيه محمد الرحيم بأمته0

6 - الإيمان بالقنطرة يزهد العبد في الدنيا0

وهذا ما سيكون موضع البحث في هذا الفصل, إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول
ظهور آثار أسماء الله تعالى وصفاته

إن أجل المقاصـد وأنفع العلوم وأشرفها وأعلاها العلم بأسماء الله - عز وجل- الحسنى، وصفاته العلا؛ ذلك لأنها تُعرِّف الناس بربهم سبحانه، الذي هو أشرف معلوم، وأعظم مقصود وتعرِّفهم بخالقهم وخالق السماوات والأرض، ومن فيهن وهذا يستلزم عبادته سبحانه ومحبته وخشيته، وتعظيمه, وإجلاله.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:"... إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم، وأفضلها. ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها... والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته. والجهل به مستلزم للجهل بنفسه، ومصالحها وكمالها، وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته"[1].

بل ولا سعادة للعباد, ولا صلاح لهم, إلا بمعرفة ربهم ومعبودهم, وكلما ازداد معرفتهم بربهم ازداد إيمانهم، وكلما نقص نقص.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"لا سعادة للعباد، ولا صلاح لهم، ولا نعيم إلا بأن يعرفوا ربهم ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتعرف إليه قرة عيونهم.. ومتى فقدوا

---

[1]() مفتاح دار السعادة, (1/86).

ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام. وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل"[1].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص. وأقرب طريق إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن"[2].

وعقيدة أهل السنة والجماعة هو الإيمان بآثار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا القائمة على إثبات الأسماء والصفات الثابتة للأحكام والآثار, فلا بد من ظهور آثارها في العالم.

فإن الأسماء تقتضي متعلقات تتعلق بها, وآثارا تتحقق بها, فلم يكن بد من وجود متعلقاتها وإلا تعطلت تلك الأوصاف وبطلت تلك الأسماء, فلكل اسم من أسمائه سبحانه أثر من الآثار في الخلق والأمر لا بد من ترتبه عليه.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-:" أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله فلا بد من ظهور آثارها في العالم فإنه محسن ويستحيل وجود الإحسان بدون من يحسن إليه, ورزاق فلا بد من وجود من يرزقه, وغفار وحليم وجواد ولطيف بعباده ومنان ووهاب وقابض وباسط وخافض ورافع ومعز ومذل, وهذه الأسماء تقتضي متعلقات تتعلق بها وآثارا تتحقق بها فلم يكن بد من وجود متعلقاتها وإلا تعطلت تلك الأوصاف وبطلت تلك الأسماء, فتوسط تلك الآثار لا بد منه في تحقق معاني تلك الأسماء والصفات"[3].

---

[1]() الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة, (1/366).

[2]() مفتاح دار السعادة, (1/86).

[3]() شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, (ص:215).

وقال –رحمه الله تعالى-:" وأسماؤه الحسنى تقتضي آثارها وتستلزمها استلزام المقتضى الموجب لموجبه ومقتضاه, فلا بد من ظهور آثارها في الوجود"[1].
هذا هو مذهب السلف خلافاً للمعطلة الذين لا يثبتون لله سبحانه الأسماء والصفات فليس لهم آثار فيه, بل جعلوا أسماء الله تعالى فارغة لا معنى لها أو معناه من جنس الألغاز والأحاجي.
قال الامام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وأما توحيد المعطلين: فنفي حقائق أسمائه وصفاته وتعطيلها، ومن أمكنه منهم تعطيلها من لسانه: عطَّلها؛ فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها ولا حديثًا يُصرِّح بشيءٍ منها، ومن لم يُمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفى حقيقتها، وجعلها اسمًا فارغًا لا معنى له أو معناه من جنس الألغاز والأحاجي"[2].
وهذا هو أبطل الباطل, وأعظم محال, فإن أوصاف الله تعالى صفات كمال، وأفعاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه.
قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال عن المفعولات، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته.
وإذا كانت أوصافه صفات كمال، وأفعاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه، ولهذا ينكر سبحانه على من عطله عن أمره ونهيه، وثوابه وعقابه، وأنه بذلك نسبه إلى ما لا يليق به وإلى ما يتنزه عنه، وأن ذلك حكم سيئ ممن حكم به

---

[1]() الصواعق المرسلة, (4/1564).
[2]() مفتاح دار السعادة, (1/86).

عليه، وأن من نسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره، ولا عظمه حق تعظيمه"[1].

فمشهد الأسماء والصفات, ومعرفة تعلق الوجود خلقا وأمرا بالأسماء الحسنى، والصفات العلا، وارتباطه بها, هو من أعظم المشاهد, وأجل المعارف وأشرفها.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها، وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل

تشير بإثبات الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل

فلست ترى شيئا أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلا وحسا، وفطرة ونظرا، واعتبارا"[2].

وعلى هذا كان من أعظم ثمرات الايمان بالقنطرة, ظهور آثار أسماء الله تعالى وصفاته.

ومن تلكم الأسماء والصفات التي تظهر آثارها من إيماننا بالقنطرة ما يأتي:

1 – ظهور آثار اسم الله الرحمن, الرحيم:

معنى الرحمن, الرحيم:

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه, والرحيم دال على تعلقها

---

[1]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (1/418).

[2]() المصدر السابق, (3/332).

بالمرحوم. فكان الأول للوصف والثاني للفعل, فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1], ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها"[3].

وجه ظهور هذا الاسم من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

أ – ما ثبت في السنة الصحيحة أن الله سبحانه يختص بالرحمة والفضل والإحسان المؤمنون به وبرسله, في ذلك اليوم, ويكرمهم بالصفح والعفو والغفران ما لا تعبر عنه الألسنة ولا تتصوره الأفكار.

عن أبي هريرة ، عن النبي قال:«إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»[4].

والقنطرة هو من جملة تلك المشاهد العظيمة التي تظهر فيها رحمة الكريم المنان.

ب – أن من رحمة الله تعالى بالمؤمنين أنهم إذا وقفوا على القنطرة فقد جاوزوا الصراط, وأمنوا من الدخول في النار.

ج – أن من رحمة الله تعالى أنه لا يأذن لأحد بدخول الجنة حتى يطهر قلوبهم من الغل والحقد, فإن الغل لو

---

[1]() سورة الأحزاب, (43).
[2]() سورة التوبة, (117).
[3]() بدائع الفوائد, (1/24).
[4]() تقدم تخريجه, (ص:217).

بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر.

د - أن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل القصاص بين الخلق يوم القيامة سبباً من الأسباب التي تندفع بها العقوبة.

ر – أن من رحمته سبحانه أن جعل مآل أهل القنطرة إلى الجنة, والجنة محض فضل الله سبحانه ورحمته.

2 – ظهور آثار اسم الله الحكم العدل:

معنى الحكم العدل في حق الله سبحانه:

قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"ومن أسمائه الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا، والآخرة بعدله، وقسطه فلايظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

وهــو العــدل في تــدبيره، وتقــديره ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

والحكم العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة،

ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء، والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة[2].

---

[1]() سورة هود, (56).

[2]() تفسير أسماء الله الحسنى, (ص:185).

وجه ظهور هذان الاسمان من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

لقد تضافرت دلالة نصوص القنطرة على نفي الظلم عن الله سبحانه, وأنه لا يظلم مثقال ذرة ولا يجزي أحدا إلا بذنبه ولا يخاف أحد ظلما ولا هضما, لا يهضم من حسناته ولا يظلم فيزاد عليه في سيئاته لا من سيئات غيره ولا من غيرها, بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره, وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

فمن كمال عدل الله سبحانه وحكمته أنه لا يعذب أحدا إلا بذنبه ولا ينقص أحدا من حسناته ولا يعطي أحدا من سيئات غيره, ولا يترك مظلمة لأحد على أحد, بل لا بد من القصاص, وكل ذلك من كمال عدله سبحانه.

قال الإمام الترمذي –رحمه الله تعالى-:"فإن الله وضع العدل بين خلقه، ثم لم يرض من الظلم بقليل، ولا كثير، ولامثقال ذرة، ولا حبة خردل، وليس بتارك أحدا من خلقه يوم القيامة حتى يقضي له"[1].

وكذلك فإن من عدل الله جل وعلا أن جعل القصاص يوم القيامة للعالمين، فلا ينجو أحد بظلمه حتى يقتص منه، وذلك يوم عصيب وشديد، يوم تشيب منه الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها، فما من أحد إلا وسيقتص له أو منه في ذلك اليوم الرهيب.

3 – ظهور آثار اسم الله الحكيم:

معنى الحكيم في حق الله سبحانه:

قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"الحكيم: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه, فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع شيئا سدى،

---

[1]() المنهيات, (ص:174).

الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه. والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها"[1].

وجه ظهور هذا الاسم من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

أ – أن من حكمة الله سبحانه أنه وضع القنطرة قبل دخول الجنة حتى يقيم العدل بين المؤمنين, فلا يساوى المحسن والمسيء.

ب – أن من حكمة الله تعالى أنه وقف المؤمنين على القنطرة ليظهر التفاوت بينهم جلياً واضحاً, يقتنع كل منهم بذلك, ولا يبقي حجة لأحد, ولله الحجة البالغة.

ج – إن أشد ما يدرن القلوب الغل والحسد، والأحقاد الدنيوية، فإنها أمراض تصيب القلوب، لتجعل الإنسان في هم مستمر، وعذاب مقيم، فكان من مقتضى حكمة الله تعالى أن يوقف المؤمنين على القنطرة حتى يتم عليهم نعمته بأن يكونوا في نعيم في قلوبهم، كما أن أجسامهم في نعيم.

4 – ظهور آثار اسم الله العفو, الغفور:

معنى العفو والغفور في حق الله سبحانه:

قال الشيخ عبد الرزاق البدر –حفظه الله تعالى-:"العفو: هو الذي يمحو السيئات, ويتجاوز عن المعاصي, وهو قريب من الغفور, ولكنه أبلغ منه, فإن الغفران ينبئ عن الستر, و العفو ينبئ عن المحو, والمحو أبلغ من الستر, وهذا حال الاقتران, أما حال انفرادهما فإن كل واحد منهما يتناول معنى الآخر"[2].

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (945).

[2]() انظر الأسماء والصفات للبيهقي, (1/148), وتيسير الكريم الرحمن, (1/24), وفقه الأسماء الحسنى, (ص:142).

وجه ظهور هذان الاسمان من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

أ – إن من عفو الله سبحانه وغفرانه, أن جعل الوقوف في القنطرة سبباً من الأسباب التي تندفع بها العقوبة، وينتفي بسببها الوعيد، ويزول موجب الذنوب.

ب – أن من كمال عفو الله سبحانه وتعالى أنه يلقي في قلوب المؤمنين العفو لبعضهم عن بعض, أو يرضي الله سبحانه وتعالى الخصم حتى يعفو المظلوم عن أخيه.

5 – ظهور آثار اسم الله العليم, الخبير:

معنى العليم والخبير في حق الله سبحانه:

قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"العليم الخبير هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"[1].

وجه ظهور أثر هذين الإسمين من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

تقرر فيما سبق أن القصاص الواقع في القنطرة التي بين الجنة والنار هو لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخل المؤمنون الجنة وليس في قلوبهم غل, وكل ذلك يدل على عظيم علم الله سبحانه حيث يعلم ما تخفي الصدور, ولا يخفى عليه خافية.

ولذلك لما ذكر الله عز وجل الآية التي فيها دلالة على إثبات القصاص, وهو قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[2], قال بعدها: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[3].

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (), وانظر فقه الأسماء الحسنى, (ص:134).

[2] () سورة غافر, (17).

[3] () سورة غافر, (19).

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر"[1].

6 – ظهور آثار اسم الله الملك, والمالك:

معنى الملك, والمالك في حق الله سبحانه:

قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"الملك، المالك: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه"[2].

وجه ظهور أثر هذين الإسمين من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

كل ما في الوجود هو ملك لله وتحت قهره وتصرفه, فكل ما في السموات والأرض هو ملك له سبحانه.

قال الله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"يعني تبارك وتعالى بذلك: والله له تصريف ما في السموات والأرض وما بينهما , يعني: وما بين السماء والأرض , يهلك من يشاء من ذلك, ويبقي ما يشاء منه, ويوجد ما أراد, ويعدم

---

[1]() تفسير القرآن العظيم, (7/137).

[2]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (1/32),وانظر فقه الأسماء الحسنى, (ص:99).

[3]() سورة المائدة, (17).

ما أحب, لا يمنعه من شيء أراد من ذلك مانع, ولا يدفعه عنه دافع؛ ينفذ فيهم حكمه, ويمضي فيهم قضاءه"[1].

ولكن يوجد في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعون الله الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية, حتى يأتي يوم القيامة فيتبين لهم أن الملك كله لله, ولذلك قال الله تعالى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[2].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"أن للَه المُلْك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية. فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرة الأذِلّة، وأنّ له - من دُونهم، ودون غيرهم - المُلك والكبرياء، والعزة والبهاء، كما قال جلّ ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله:﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[3]. فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالمُلك دون ملوك الدنيا، الذين صارُوا يوم الدّين منْ مُلكهم إلى ذِلّة وصَغار، ومن دُنياهم في المعاد إلى خسار"[4].

فكان من مقتضى ملكه وكمال تصرفه في الخلق والأمر والجزاء, أنه جل وعلا يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة عراة ليس عليهم ثياب, حفاة بلا نعال, غرلا أي: غير مختتنين, بهما ليس معهم شيء من متاع الدنا, ثم يجازيهم ويحاسبهم على ما قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال, إن خيراً فخير, وإن شراً فشر, وأن يوقف العباد فلا يدخل أحد الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا يدخل أحد النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى يقتص منه.

---

[1] () جامع البيان في تأويل القرآن, (10/148).
[2] () سورة الفاتحة, (4).
[3] () سورة غافر, (16).
[4] () جامع البيان في تأويل القرآن, (1/149).

والدليل على ظهور هذا الاسم من الإيمان بالقنطرة حديث عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله يقول:«يحشر الله الناس يوم القيامة وأشار بيده إلى الشام عراة غرلاً بهمًا -قلت ما بهمًا- قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه قالوا: وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً قال: بالحسنات والسيئات»[1].

7 – ظهور آثار اسم الله الديان:

معنى الديان في حق الله سبحانه:

هو المجازي المحاسب.

قال الحليمي–رحمه الله تعالى-:"الديان هو: المحاسب والمجازي, ولا يضيع عملاً, ولكنه يجزي بالخير خيراً, وبالشر شراً"[2].

وجه ظهور هذا الاسم من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

إن الله تعالى هو الديان المحاسب والمجازي للعباد, وهو الحاكم بينهم يوم الجزاء والفصل والقضاء, اليوم الذي يحكم الله فيه بين الناس, ويقتص فيه للمظلوم من الظالم, ومن السيد لعبده.

فكان من كمال مجازاة الرب تبارك وتعالى في ذلك اليوم أنه لا يترك لأحد على أحد مظلمة حتى يقتص منه.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[3]:

---

[1] (1) تقدم تخريجه, (ص:53).

[2] () شجرة المعارف والأحوال, (ص:1).

[3] () القائل هو علي بن أبي طالب كتب هذه الأبيات فأرسلها إلى معاوية بن أبي سفيان . انظر: شعب الإيمان, للبيهقي, (9/549).

أما والله إن الظلم شُؤْمٌ ولا زال المسيءُ هو الظلُوم
ستعلم يا ظلومُ غداً إذا التقينا عند المليكِ مَن المَلُوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قال الشيخ عبد الرزاق البدر –حفظه الله تعالى-:"فتفكر أيها العبد في هذا اليوم العظيم, وتذكر أن الرب سبحانه ديان, وأن الحقوق ستؤدى في ذلك اليوم إلى أهلها, وأن ما ثَم في ذلك اليوم إلا الحسنات والسيئات"[1].

6 – ظهور آثار اسم الله تعالى الطيب:

معنى الطيب في حق الله سبحانه:

أنه تعالى مقدس ومنزه عن النقائص والعيوب كلها, لأن أصل الطيب هو الطهارة والسلامة من الخبث, والله تعالى لم يزل ولا يزال كاملاً بذاته وصفاته[2].

وجه ظهور آثار هذا الاسم من الإيمان بالقنطرة ما يأتي:

إن الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا الطيب, وقد جعل الجنة دار طيبة لا يدخلها إلا الطيب, كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[3], فهي لا تصلح للنفوس الخبيثة, ولذلك كان من مقتضى طيبه سبحانه أن جعل القنطرة موقفاً يحبس فيها من كان في نفسه خبث حتى يطهر ويهذب قبل دخول الجنة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:" فالنّفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنّة الطّيّبة التي

---

[1]() فقه الأسماء الحسنى, (ص:276).

[2]() المصدر نفسه, (ص:283).

[3]() سورة الزمر, (73).

ليس فيها من الخبث شيْء. فإن ذلك موجب للفساد أو غير ممكن. بل إذا كان في النفس خبث طهّرت وهذّبت حتى تصلح لسكنى الجنة"[1].

وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:" ولا ريب إن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم

كانت بينهم في الدنيا حتى إذا ذهبوا ونفوا أذن لهم في دخول الجنة"[2].

وقال في موضع آخر: "والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، ولهذا يدخل النار من أهل التوحيد

من فيه خبث وشر حتى يتطهر فيها ويطيب، ومن كان فيه دون ذلك حبس على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هذب ونقي أذن له بالدخول"[3].

---

[1] () مجموع الفتاوى, (14/344).

[2] () حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح, (ص:379).

[3] () مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة, (ص: 261).

المبحث الثاني
الإيمان بالقنطرة أمارة على صدق العبد وتقواه لربه

إن في الإيمان باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لآثاراً واضحة وثماراً طيبة، لابد أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه، وفي حياته كلها, فالإيمان باليوم الآخر عموماً والقنطرة خصوصاً يثمر ثمرات جليلة, وأخلاقاً جميلةً, وعبوديات متنوعة, وآثاراً حميدة تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

ومن تلك الثمرات الجليلة, والأخلاق الجميلة, والآثار الحميدة الصدق والتقوى.

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۧنَ... إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[1].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"يعني تعالى ذكره بقوله:"أولئك الذين صدقوا"، من آمن بالله واليوم الآخر، ونعتهم النعتَ الذي نعتهم به في هذه الآية. يقول: فمن فعل هذه الأشياء، فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم – لا مَنْ ولّى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله في أمره، وينقض عهده وميثاقه، ويكتم الناسَ بَيانَ ما أمره الله ببيانه، ويكذِّب رسله.

وأما قوله:"وأولئك هُم المتقون"، فإنه يعني: وأولئك الذين اتقوا عقابَ الله، فتجنَّبوا عصيانه، وحَذِروا وعده، فلم يتعدَّوا حدوده، وخافوه، فقاموا بأداء فرائضه"[2].

---

[1] () سورة البقرة, (177).

[2] () جامع البيان في تأويل القرآن, (3/356).

وقبل الشروع في بيان أن الإيمان بالقنطرة يثمر على العبد الصدق والتقوى لربه فإنه يحسن أن نعرف الصدق والتقوى, تعريفاً موجزاً.

تعريف الصدق لغة:

الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أنبأه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة"[1].

معنى الصدق اصطلاحًا:

الصدق: هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب.

قال الراغب الأصفهاني –رحمه الله تعالى-:"الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، متى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا"[2].

والصدق بداية الطريق إلى الله عز وجل، وهو طريق القوم الذي تندرج منه جميع مقامات السالكين، الطريق الواضح الذي من لم يسر عليه لا يصل إلى رب العالمين، به تميز سكان الجنان من سكان النيران، وهو أساس عمود اليقين.

قال الامام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"منزلة الصدق هي منزلة القوم الأعظم. الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه. ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه. من صال به لم ترد صولته. ومن

---

[1]() لسان العرب, لابن منظور, (10/193), وانظر مختار الصحاح, للرازي, (ص:174).

[2]() المفردات في غريب القرآن, (1/478).

نطق به علت على الخصوم كلمته. فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين. ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين. ومن مساكنهم في الجنات تجرى العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين. كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين.

والإيمان أساسه الصدق. والنفاق أساسه الكذب. فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر"[1].

تعريف التقوى لغة:

هي الاسم من التقى والمصدر الاتقاء وهي مأخوذة من مادة وقى فهي من الوقاية، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه ، وتدل على دفع شيء عن شيء لغيره، فالوقاية ما يقي الشيء ، ووقاه الله السوء وقاية أي حفظه"[2].

تعريف التقوى شرعاً:

أن تجعل بينك وبين ما يغضب الله تعالى وقاية، ولا يكون ذلك إلا بامتثال الأوامرِ واجتناب النواهي، أن يراك الله حيث أمرك ولاَ يراك حيث نهاك .

قال ابن رجب -رحمه الله تعالى-:"وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه"[3].

وقال الإمام الذهبي –رحمه الله تعالى-:"قال طلق بن حبيب –رحمه الله تعالى-:إذا وقعت الفتنة فأطفئوها

---

[1]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (2/257).

[2]() لسان العرب, لابن منظور, (15/401).

[3]() جامع العلوم والحكم, (1/398).

بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟قال: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نورٍ من الله، تخاف عقاب الله قلت (أي الإمام الذهبي), أبدعَ وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع.
ولا ينفع ذلك إلا بالاخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن دوام على هذه الوصية فقد فاز"[1].
ولعظيم أثَر التقوى على المتَّصِف بها، وجميل عاقبتها في الدنيا والأخرى، وشرف الاتِّصاف بها من أولي النهى - كانت الوصيَّة من الله - تعالى - بها للسابِقين واللاحِقين من المكلَّفين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[2].
و جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به.
قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3].
قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"فقال:«وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق.
«وَصَدَّقَ بِهِ» أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق،

---

[1] () سير أعلام النبلاء, للإمام الذهبي, (4/601), وانظر جامع العلوم والحكم, (1/400).
[2] () سورة النساء, (131).
[3] () سورة زمر, (33).

فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.
«أُولَئِكَ»أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين «هُمُ الْمُتَّقُونَ» فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به"[1].

ومما يدل على أن الإيمان بالقنطرة يثمر صدق العبد وتقواه لربه ما يأتي:

1 – عموم قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ... إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[2].

وجه الدلالة من الآية أن الإيمان بالقنطرة يثمر صدق العبد وتقواه لربه:

أن فيها دلالة ظاهرة أن الايمان باليوم الآخر يثمر على العبد الصدق وتقواه لربه, والإيمان بالقنطرة يدخل في عموم نصوص الإيمان باليوم الآخر لأنه جزء مما سيجري في ذلك اليوم.

2 - أن الله سبحانه وتعالى جعل الايمان بالغيب الذي هو التصديق الجازم والتام بكل ما أخبر به الله تعالى من الأمور الغيبية, وأخبر به رسوله ﷺ, واليقين بلقاء الآخرة من صفات المتقين الصادقين, ويدخل في ذلك الإيمان بالقنطرة.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥﴾[3].

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"يقول الله تعالى:«أولئك» أي: المتصفون بما تقدم: من الإيمان

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, ().
[2]() سورة البقرة, (177).
[3]() سورة البقرة, (1-5).

بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق من الذي رزقهم الله، والإيمان بما أنزل الله إلى الرسول ومن قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة، وهو يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات.
«على هدى» أي: نور وبيان وبصيرة من الله تعالى. «وأولئك هم المفلحون» أي: في الدنيا والآخرة"[1].
فجعل الله سبحانه وتعالى المتصفين بهذه الصفات من المتقين الذين قد فازوا بالهداية والفلاح, فهم قد ثبتوا على الهدى واستقروا عليه, ووفقهم الله تعالى للفلاح بإيمانهم الصادق, والصدق هو الذي يهدي إلى الفلاح الحقيقي, وهو لا يتحقق إلا بالإيمان الجازم بهذه الأمور المذكورة في هذه الآية الكريمة.
عن ابن مسعود قال, قال رسول الله :«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا»[2].
فبين النبي أن الصدق يهدي إلى البر, وأن البر يهدي إلى الجنة, والجنة هي دار المتقين.
قال المناوي –رحمه الله تعالى-:"بين أن الصدق هو الأصل الذي يهدي إلى البر كله, وذلك لأن الرجل إذا تحرى الصدق لم يعص أبدا, لأنه إن أراد أن يشرب أو يزني أو يؤذي خاف أن يقال له زنيت أو شربت, فإن سكت جر الريبة, وإن قال لا, كذب, وإن قال نعم, فسق, وسقطت منزلته وذهبت حرمته (وما يزال الرجل يصدق) في كلامه (ويتحرى الصدق) أي يجتهد فيه (حتى

---

[1]() تفسير القرآن العظيم, (1/171).
[2]() أخرجه مسلم في صحيحه, كتاب البر والصلة, باب قبح الكذب, وحسن الصدق وفضله, (ص:1138), رقم(2607).

يكتب عند الله صديقا) أي يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديق"[1].

3 - وقد أخبر الله تعالى أنه في يوم القيامة لا ينفع العبـد وينجيه من عذابه إلا صدقه.

قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

والقنطرة مشهد من مشاهد ذلـك اليـوم, فكلمـا زاد علم العبد بتفاصيل ذلك اليوم زاد صدقه وتقواه.

4 – المؤمن الصادق يتحلل من مظالمه في الدنيا قبل أن يأتي ذلك اليوم العظيم الذي لا دينار ولا درهم فيه, امتثالاً لأمر النبي ﷺ, وتصديقاً لخبره.

5 – إن المؤمن بلقاء الله عموماً وبالقنطرة خصوصاً لا يسمَحُ لنفسه بأن يلقي كلامًا جزافًا دون تروٍّ ولا بصيرة، ولا يسمح لنفسه بأن يتبع ما ليس له به علم، فيحكم بالظنون التي ليس لها ما يدعمها ويؤيدها من الأدلة الكافية للإثبات أو للنفي، ولا يسمح لنفسه بأن يرائي أو ينافق في أعماله لأنه يحرص على الصدق ويتحرى بإرادته الجازمة الصدْق في أقواله وأعماله، وعندئذ يكون صدِّيقًا.

6 - إن من آداب الصدق الوفاء بالعهد, وتأدية الأمانة, وصلاح المعاملات, وحفظ اللسان عن تحريف الأقوال, وأن يكون مدخله مدخل صدق, ومخرجه مخرج صدق, ولسانه لسان صدق, ومقعده مقعد صدق, وأن يبتعد عن الإفك والبهتان, والغدر والخيانة, والظلم, ونقض العهد, وشهادة الزور, وكل ذلك من ثمرات الإيمان بالقنطرة, وذلك أن من كان على ضد هذا فقد أخبر النبي ﷺ أنه لا

---

[1]() فيض القدير شرح الجامع الصغير, (4/343).

[2]() سورة المائدة, (119).

بد من التحلل منها إما في الدنيا, وإما في الآخرة وكل ذلك يوجب على العبد الصدق والتقوى.

المبحث الثالث
الإيمان بالقنطرة يفتح باب الخوف والرجاء للعبد

الخوف والرجاء بالنسبة للمؤمن الحق منهج حياة، فتراه جامعاً بينهما مدة حياته، مغلباً الخوف حال صحته وعافيته، ومغلباً الرجاء حال مرضه وسقمه، فالخوف يحمله على الطاعة، وترك المعصية، والرجاء يحمله على التوبة من الذنب، وإحسان الظن بالرب سبحانه، وهذا هو دأب المؤمنين الصالحين.

وقبل الشروع في بيان أن الإيمان بالقنطرة يفتح على المؤمن باب الخوف والرجاء فإنه يحسن أن نعرف الخوف والرجاء تعريفاً موجزاً.

1 - تعريف الخوف لغة واصطلاحاً:

تعريف الخوف لغة:

قال ابن فارس –رحمه الله تعالى-:" الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع.

يقال خفت الشيء خوفا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة. ويقال خاوفني فلان فخفته، أي كنت أشد خوفا منه.

فأما قولهم تخوفت الشيء، أي تنقصته، فهو الصحيح الفصيح، إلا أنه من الإبدال، والأصل النون من التنقص، وقد ذكر في موضعه"[1].

تعريف الخوف اصطلاحاً:

فقد عرفه العلامة ابن القيم –رحمه الله تعالى- بقوله:"الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر الخوف"[2].

---

[1]() معجم مقاييس اللغة, (2/230), انظر لسان العرب, لابن منظور, (9/99).

[2]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (1/508).

وقال الراغب الأصفهاني –رحمه الله تعالى-:"والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات

ولذلك قيل: لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا.

والتخويف من الله تعالى: هو الحث على التحرز"[1].

والخوف من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد[2].

2 – تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً:

تعريف الرجاء لغة:

"الرجاء من الأمل: وهو نقيض اليأس، ممدود. رجاه يرجوه رجوا ورجاء ورجاوة ومرجاة ورجاة، وهمزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاوة"[3].

هو الأمل. يقال رجوت الأمر أرجوه رجاء. ثم يتسع في ذلك، فربما عبر عن الخوف بالرجاء. قال الله تعالى:﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾[4] ، أي لا تخافون له عظمة"[5].

تعريف الرجاء اصطلاحاً:

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عدة تعاريف فقال:" الرجاء " حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب. وهو الله والدار الآخرة. ويطيب لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى. والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى"[6].

---

[1]() المفردات في غريب القرآن, (ص:901).

[2]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (ص:507).

[3]() لسان العرب, لابن منظور, (14/309).

[4]() سورة نوح, (13).

[5]() معجم مقاييس اللغة, (2/494).

[6]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (2/36-37).

فالرجاء هو الطمع فيما عند الله تعالى من النعيم المقيم بفعل الطاعات وترك المعاصي.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل"[1].

"والخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه. وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص. وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت"[2].

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف"[3].

ومما يدل على أن الإيمان بالقنطرة يفتح على العبد باب الخوف والرجاء ما يأتي:

1 – أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بإنذار الناس من يوم الفصل والقضاء, وذلك بعد ذكر الآية التي فيها دلالة على إثبات القنطرة.

قال الله تعالى:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[4].

والإنذار هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم.

---

[1] () المصدر نفسه, (2/37).
[2] () المصدر نفسه, (2/37).
[3] () المصدر نفسه (1/513).
[4] () سورة غافر, (18).

فالخوف من عذابه سبحانه, حاصل بالإيمان باليوم الآخر وبما سيجري في ذلك اليوم العظيم من الأمور العظام كالوقوف في المحشر, والحوض, والميزان, والصراط, والقنطرة, والجنة والنار, فكلما زاد معرفة العبد بهذه المشاهد وتذكر وتفكر فكل ذلك يفتح عليه باب الخوف والرجاء.

قال العلامة السعدي - رحمه الله -:"إن معرفة ذلك اليوم حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان

باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر، كأحوال القبر وشدته، وأحوال المواقف الهائلة، وصفات النار المفزعة، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه"[(1)].

ولذلك لما علم الصحابة بأن القصاص واقع يوم القيامة, وأنه سيأدى إلى كل ذي حق حقه, خافوا من شدة الموقف.

فعن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله : ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [(2)].قلت: يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدّنيا مع خواصّ الذنوب؟قال: «نعم ليكررن عليكم حتّى يؤدى إلى كل ذي حق حقه», قال الزبير: والله إن الأمر لشديد»[(3)].

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (ص:37).

[2]() سورة زمر, (31).

[3]() تقدم تخريجه, (ص:39).

وعن أبي ليلى قال: خرج سلمان الفارسي فإذا علف دابته يتساقط من الآري، فقال لخادمه: لولا أني أخاف القصاص لأوجعتك»[1].

فمنعه خوف القصاص في الآخرة من وجع وضرب خادمه لأن النبي قال:«من ضرب سوطاً ظلما اقتص منه يوم القيامة»[2].

وسمع ابن سيرين رجلا يسب الحجاج فقال:«مه أيها الرجل إنك لو وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله حكم عدل إن أخذ من الحجاج لمن ظلم شيئا فسيأخذ للحجاج ممن ظلمه، فلا تشغلن نفسك بسبه»[3].

2 – أن من مظاهر الخوف والرجاء على الجوارح كفها عن المعاصي وإلزامها الطاعات, تلافيا لما فرط واستعداداً للمستقبل.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله"[4].

والإيمان بالقنطرة يوجب على العبد الكف عن المظالم التي هي من الديوان الذي لا يعبئ الله منه شيئ, ويوجب التحلل منها.

والصحابة رضي الله عنهم كانت عندهم شفافية في النفس تجاه الظلم، كانوا يتحرون أشد التحري في قضية الظلم.

عن عائشة رضي الله عنها قـالت:«جـاء رجـل فقعـد بين يدي رسول الله ، فقال: يا رسول الله! إن لي مملوكين

---

[1]() تقدم تخريجه, (ص:62).

[2]() تقدم تخريجه, (ص:52).

[3]() أخرجه أبو نعيم في الحلية, (2/271), و ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة, (ص:60).

[4]() مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (1/511).

يكـذبونني ويخونونـني ويعصـونني، وأشـتمهم وأضـربهم. فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يحسـب مـا خـانوك وعصـوك وكـذبوك في كفـة وعقابـك إياهم في الكفـة الأخـرى، فـإن كـان عقابـك إيـاهم بقـدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إيــاهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كـان عقابـك إيـاهم فـوق ذنوبهم -عـاقبتهم أكـثر ممـا يسـتحقون- اقتص لهم منـك الفضل -أخذوا منك الفـرق- فتنحى الرجـل وجعـل يهتـف ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: أما تقرأ قول الله تعـالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[1].

فقال الرجل: يا رسـول اللـه! مـا أجـد لي ولهـؤلاء شـيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار»[2].

فهذا الصحابي أعتق العبيد كلهم؛ لأنه خشي أن يكون قد ظلمهم أو عاقبهم أكثر مما أساءوا إليه. كل هذا خوفا من عقاب الله سبحانه, ورجاء في ثوابه.

3 - إن الإيمان بالقنطرة يجعل الإنسان دائماً مشتغلاً بعيوب نفسه وآفات عمله, ناظراً إلى سعة فضل ربه وعفوه, وهما النظران اللذان يحتاج إليهما السالك إلى طريق الآخرة.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وللسالك نظران: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله، فيفتح عليه باب الخوف, ونظر إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره فيفتح عليه باب الرجاء"[3].

4 – أن الإيمان بالقنطرة يهذب النفس وينقيها من الأخلاق السيئة، ويطهر القلب من أدوائه, ويزجر العبد عن الظلم والعدوان, وكل ذلك من ثمرات الخوف, فمن

---

[1] () سورة الأنبياء, (47).

[2] () تقدم تخريجه, (ص:54).

[3] () مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (2/37).

خاف انزجر، فيأمن الناس شرَّه، ويسلم المسلمون من لسانه ويده.

المبحث الرابع
شفاء صدور المؤمنين والمظلومين

إن من محبة الله تعالى بالمؤمنين إعتنائه بأحوالهم الباطنة والظاهرة, ولذلك جعل سبحانه وتعالى من المقاصد الشرعية في تشريع الجهاد شفاء صدور المؤمنين.

قال الله تعالى:﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾[1].

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-:"يقول تعالى ذكره: قاتلوا، أيها المؤمنون بالله ورسوله، هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم، ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم، وأخرجوا رسول الله ﷺ من بين أظهرهم, «يعذبهم الله بأيديكم»، يقول: يقتلهم الله بأيديكم «ويخزهم»، يقول: ويذلهم بالأسر والقهر «وينصركم عليهم» ، فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة «ويشف صدور قوم مؤمنين»، يقول: ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم، وإذلالكم وقهركم إياهم. وذلك الداء، هو ما كان في قلوبهم عليهم من المَوْجِدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه"[2].

فكان هذا الشفاء الحاصل في صدور المؤمنين من حكمة الله تعالى في تشريع الجهاد ولهذا ختم الآية بقوله ﴿والله عليم حكيم﴾.

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"«والله عليم» أي: بما يصلح عباده، «حكيم» في أفعاله وأقواله الكونية والشرعية، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو العادل

---

[1]() سورة التوبة, (14).

[2]() جامع البيان في تأويل القرآن, (14/160).

الحاكم الذي لا يجور أبدا، ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر، بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة"[1].
وإن لم يحصل هذا الشفاء في الدنيا بجهاد هؤلاء الكفار الذين كانوا ينالون بالمؤمنين من الأذى والمكروه.
فسينتقم الله منهم في الآخرة بأن يجعل المؤمنين يضحكون عليهم.
قال الله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[2].
قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"«فاليوم» يعني: يوم القيامة «الذين آمنوا, من الكفار يضحكون» أي: في مقابلة ما ضحك بهم أولئك، «على الأرائك ينظرون» أي: إلى الله عز وجل، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، ليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته.
وقوله: «هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون»؟ أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا؟ يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله"[3].
وهل هناك شفاء لصدور المؤمنين أعظم من هذا, حيث يظهر الضحك على صفحات وجوههم.
قال الشيخ السعدي –رحمه الله تعالى-:"فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال"[4].
وفي إقامة القصاص في الدنيا فيه شفاء لصدور أولياء المقتول, ولذلك جعل الله القصاص حياة, لأنه إذا علم

---
[1]() تفسير القرآن العظيم, (4/118).
[2]() سورة المطففين, (34-36).
[3]() تفسير القرآن العظيم, (8/354).
[4]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, (ص:916).

القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه, وإذا رأى أولياء المقتول أن القصاص قد أقيمت عليه فإنهم لا يتعدون, ولا يقتل بالمقتول غيرُ قاتله في حكم الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾[1].

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى-:"ولكم يا أولي العقول، فيما فرضتُ عليكم وأوجبتُ لبعضكم على بعض، من القصاص في النفوس والجراح والشجاج، مَا مَنع به بعضكم من قتل بعض، وقَدَع بعضكم عن بعض، فحييتم بذلك، فكان لكم في حكمي بينكم بذلك حياة"[2].

أما يوم القيامة، فيأتي المقتول يجر القاتل، فيقول: يا رب! انظر هذا فيمَ قتلني؟

جاء رجل إلى ابن عباس فسأله عن رجل قتل مؤمنا متعمدا ثم تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فقال ابن عباس: وأنى له الهدى سمعت نبيكم ﷺ يقول:«يؤتى بالمقتول يوم القيامة متعلقا بالقاتل يشخب[3] أوداجه دما حتى ينتهي به إلى العرش فيقول: رب سل هذا فيم قتلني؟», قال ابن عباس ﭬ:«والله لقد أنزلها الله على نبيه ﷺ ثم ما نسخها منذ أنزلها»[4].

---

[1]() سورة البقرة, (179).

[2]() جامع البيان في تأويل القرآن, (3/381).

[3]() الشخب: السيلان. وقد شخب يشخب ويشخب. وأصل الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (2/450).

[4]() أخرجه النسائي في سننه, كتاب تحريم الدم, باب تعظيم الدم, (ص:618), رقم(3999), وابن أبي شيبة في مصنفه, (5/433), رقم(27736), والامام أحمد في مسنده, (4/44), رقم(2142), والديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة, (6/444).

وفي هذا دلالة أن الله سبحانه سيمكن المقتول من القاتل في عرصات يوم القيامة حتى يرى ما يُفعل به فيشفى صدره.

وإن من كمال حكمة الله تعالى وعدله أنه جعل القصاص بين الخلق يوم القيامة من أعظم الأسباب لشفاء صدور المؤمنين والمظلومين, وذلك للاقتصاص الواقع بينهم على مظالم كانت بينهم في الدنيا.

عن جابر ، قال: لما رجعت إلى رسول الله مهاجرة البحر، قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل، بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا، قال: يقول رسول الله : «صدقت، صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟»[1].

ففي هذا الحديث العظيم دلالة على أن الإيمان بالقصاص يوم القيامة –ومن ذلك القصاص في القنطرة- يجعل المؤمن واسع الصدر مطمئن البال لعلمه أنه وإن ظُلم في هذه الدنيا الفانية فسيأتي ذلك اليوم الذي سيقتص فيه من الظالم, ويرجع الحق إلى نصابه.

بل الأمر أعظم من ذلك فإن الإيمان بالقصاص عموماً والقنطرة خصوصاً يبعث في نفس المؤمن خلق الصبر والإحتساب, فيصبر على ظلم الناس وتعديهم عليه في الدنيا, ويحتسب الأجر عند الله تعالى, وينتظر القصاص لتزيد حسناته, وتخف سيئاته.

---

[1] () تقدم تخريجه, (ص:58).

ففي هذه الدنيا قد يأكل القوي الضعيف, والغني الفقير, والسيد العبد, وقد يقع في قلوب هؤلاء الضعفاء والفقراء والعبيد شيئ من الحزن والضيق, ولكن هذا المقبور وهذا المظلوم المغلوب الذي يقع تحت نيل الظلم والغلبة بأولئك الجبارين المتكبرين في الأرض، هذا الرجل أو هذه المرأة سيتكفل الله بإرجاع الحق له يوم القيامة، وربما يكون من الخير له أن ظلم الآن حتى يأخذها يوم القيامة بالحسنات والسيئات، يأخذ من حسنات ظالمه فإذا فنيت حسنات الظالم أخذ من سيئات المظلوم فطرحت على الظالم ثم طرح في النار.

عن أبي أيوب أن رسول الله قال:«أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها، يشهدان عليها بما كانت تغيب لزوجها، وتشهد يداه ورجلاه بما كان يوليها، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك، ثم يدعى بأهل الأسواق، فما يؤخذ منهم دوانيق[1] ولا قراريط[2]، ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم، وتدفع سيئات هذا إلى الذي ظلمه»[3].

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله :«ما من رجل يضرب عبدا له إلا أقيد منه يوم القيامة»[4].

وقد أورد هذا الحديث الإمام البخاري في كتابه الأدب المفرد تحت "باب: قصاص العبد"[5].

---

[1] () دوانيق جمع دنق وهو: سدس الدينار والدرهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (2/137).

[2] () القراريط جمع القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد, انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير, (4/42).

[3] () تقدم تخريجه, (ص:53).

[4] () تقدم تخريجه, (ص:57).

[5] () الأدب المفرد, (ص:96).

ولعل فيه إشارة أن العبد وإن ظلم في هذه الدنيا من قبل سيده ومولاه, فإن إيمانه وتصديقه بوقوع القصاص يوم القيامة يبعث في قلبه انشراحاً للصدر, واحتساباً للأجر الذي سيناله يوم القيامة.

المبحث الخامس
الإيمان بالقنطرة يقوي جانب محبة العبد لنبيه محمد ﷺ الرحيم بأمته

إن حقوق النبي ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته كثيرة جداً, حقوق قد أوجبها له من اصطفاه واختاره على العالمين, ليكون خاتم المرسلين, ومن تلك الحقوق التي تجب على العبد المؤمن تجاه النبي ﷺ, وجوب محبته.

فإن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الإسلام، وشرط من شروط صحة الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1].

قال القاضي عياض –رحمه الله تعالى- في شرح الآية:"فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى «فتربصوا حتى يأتي الله بأمره» ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"فانظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي قد توعد الله به من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله فعلم أنه يجب أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إلى المؤمن من الأهل والمال والمساكن والمتاجر والأصحاب والإخوان وإلا لم يكن مؤمنا حقا"[3].

---

[1] () سورة التوبة, (24).

[2] () الشفا بتعريف حقوق المصطفى, (2/43).

[3] () مجموع الفتاوى, (10/750).

والرسول ينفى الإيمان عمن لم يجعل محبته مقدمة على محبة الأهل والمال والولد.

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله :«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[1].

وحين قال عمر للنبي :«يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. أجابه الرسول بقوله:«لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك».

فقال عندها عمر :«فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي :«الآن يا عمر»[2].

وليس الغرض ذكر الأدلة الدالة على وجوب محبة النبي , فإنها أكثر من أن تحصى, ولكن الغرض أن نبين أن من ثمرات الإيمان بالقنطرة أنها يقوي جانب محبة المؤمن لرسوله الرحيم بأمته وذلك من وجوه عديدة:

1 – أن البواعث التي تدعو المسلم إلى محبة النبي أمور عدة منها:

أ – موافقة مراد الله عز وجل, في محبته لنبيه وتعظيمه له, فقد أقسم الله بحياة النبي في قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3], كما أثنى عليه فقال:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4], فلا يذكر بشر في الدنيا ويثنى عليه كما يذكر النبي ويثنى عليه, وقد اتخذه الرب تعالى خليلاً.

---

[1]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الإيمان, باب حب الرسول من الإيمان, (ص:6), رقم(15), ومسلم, كتاب الإيمان, باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين, وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة, (ص:41), رقم(44).

[2]() أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الأيمان والنذور, باب حب كيف كان يمين النبي , (ص:1146), رقم(6632),

[3]() سورة الحجر, (72).

[4]() سورة القلم, (4).

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعا لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسوله وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه فإن أمته يحبونه لحب الله له ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له فهي محبة لله من موجبات محبة الله وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله"[1].

ب – ما ميزه –تعالى- به من شرف النسب, وكرم الحسب, وصفاء النشأة, وكمال الصفات والأخلاق والأفعال.

ج – شدة محبته لأمته وشفقته عليهم ورحمته بها.

قال الله تعالى: لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ[2].

فكان من مقتضى هذه المحبة والشفقة والرحمة أن حذر الأمة من الظلم وبين لهم أن عاقبة الظلم وخيمة, وأمرهم بالتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن يأتي اليوم الذي ليس فيه دينار ولا درهم, فكل ذلك مما يدعو المؤمن ويقوي في قلبه محبة هذا النبي الكريم .

2 – إن محبة النبي هي من مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله, ولازم من لوازمها.

ومعنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً: طاعته فيما أمر, وتصديقه فيما أخبر, واجتناب ما عنه نهى وزجر, وأن لا يعبد الله إلا بما شرع".

فاتباع سنة نبينا أكبر دليل وأعظم برهان على صدق محبته والإخلاص في حبه.

وإذا كانت المحبة والتعظيم عبادة, فإن العبادة محلها القلب واللسان والجوارح.

---

[1]() جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام, (ص: 187).

[2]() سورة التوبة, (128).

ويتحقق تعظيم النبي بالقلب بتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين, إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك, ثم إنه لا توقير ولا تعظيم بلا محبة.

وإنما يزرع هذه المحبة معرفة قدره ومحاسنه [(1)].

وإذا استقرت تلك المحبة الصادقة في القلب كان لها لوازم هي في حقيقتها مظاهر للمحبة ودلائل عليه, تظهر على اللسان بالتصديق, وعلى الجوارح بالامتثال.

فبناء على هذا التقرير يتبين أن من تحقيق محبة النبي هو الإيمان والتصديق بنصوص القنطرة, والسعي إلى التحلل من المظالم في الدنيا إمتثالاً لأمره , وتصديقاً لخبره.

قال القاضي عياض –رحمه الله تعالى-:"اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه، وكان مدعيا, فالصادق في حب النبي من تظهر علامة ذلك عليه, وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه"[(2)].

ومن اجتناب نواهيه, ما حذرنا من الظلم في الدنيا, ومن امتثال أمره, ما أمرنا بالتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن يأتي اليوم الذي لا دينار فيه ولا درهم.

---

[1]() انظر شعب الإيمان, للامام الذهبي, (2/133).

[2]() الشفا بتعريف حقوق المصطفى, (2/56).

المبحث السادس
الايمان بالقنطرة يزهد العبد في الدنيا

إذا أكثر العبد ذكر الآخرة, وما سيجري فيه من الأمور العظام، وكانت منه دائما على بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكترث بزهرتها، ولا يحزن على فواتها، ولا يمدن عينيه إلى ما متع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[1].

وهذه الثمرة يتولد عنها بدورها ثمار أخرى مباركة طيبة منها: القناعة، وسلامة القلب من الحرص والحسد والغل والشحناء؛ لأن الذي يعيش بتفكيره في الآخرة وأنبائها العظيمة لا تهمه الدنيا الضيقة المحدودة، ولا يذهب نفسه حسرات بظلم الظالمين لعلمه ويقينه أن هناك يوم سيقتص منهم, وأن لله في ذلك الحكمة البالغة.

فكلما قوي إيمان العبد بلقاء الآخرة –وذلك لا يكون إلا بالعلم بتفاصيل ذلك اليوم- فإن ذلك يثمر عليه الزهد في هذه الدنيا.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد"[2].

---

[1] () سورة طه, (131).

[2] () مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, (2/29).

بل وليس هناك شيئ أبلغ في عمل الآخرة من الزهد في الدنيا.
عن أبي واقد اللّيثي[1] أنه قَالَ:«تابعنا الأعمال في الدنيا، فلم نجد شيئا أبلغ في عمل الآخرة من الزهد في الدّنيا»[2].
وكتب عمر إِلىَ أبي موسى الأشعري –رضي الله عنهما-:«إنكَ لن تنال عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا»[3].
وقال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله تعال- للحسن عظني وأوجز، فكتب إليه:«إن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكر، والتفكر بالاعتبار، فإذا أنت فكرت في الدنيا لم تجدها أهلا أن تتبع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا، فإن الدنيا دار بلاء، ومنزل قلعة»[4].

---

[1]() أبو واقد الحارث بن عوف الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني الليثي. تقدم نسبه في الحارث بن عوف. اختلف في اسمه، فقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف بن الحارث. وقيل: الحارث بن مالك.قيل: إنه شهد بدرا، وقيل: لم يشهدها.وكان معه لواء بني ضمرة وبني ليث وبني سعد ابن بكر بن عبد مناة يوم الفتح، وقيل: إنه من مسلمة الفتح. والصحيح أنه شهد الفتح مسلما يعد في أهل المدينة، وشهد اليرموك بالشام، وحاور بمكة سنة، ومات بها، ودفن في مقبرة المهاجرين بفخ سنة ثمان وستين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل: خمس وثمانين سنة. انظر: أسد الغابة, (6/319).

[2]() أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد, (ص:219), رقم(3), والإمام أحمد في الزهد, (ص:131), رقم(957).

[3]() أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد, (ص:220), رقم(4), والإمام أحمد في الزهد, (ص:101), رقم(647).

[4]() أخرجه الإمام البيهقي في الزهد الكبير, (ص:149), رقم(313).

فلا يوافي القيامة أحد أفضل من ذي زهد وعلم وورع[1].
وقبل الشروع في بيان أن الإيمان بالقنطرة يثمر الزهد في الدنيا, فإنه يحسن أن نعرف الزهد وحقيقته تعريفاً موجزاً.

تعريف الزهد في اللغة:

قال ابن فارس:"الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء. والزهيد: الشيء القليل"[2].
"وهو خلاف الرغبة. تقول: زهد في الشئ وعن الشئ، يزهد زهدا وزهادة. وزهد يزهد لغة فيه. وفلان يتزهد، أي يتعبد. والتزهيد في الشئ وعن الشئ: خلاف الترغيب فيه"[3].

تعريف الزهد في الاصطلاح:

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر عدة تعاريف للزهد:"ولعل أجمع تعريف للزهد هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:"الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة "[4].
وهذا يشمل ترك ما يضر، وترك ما لا ينفع ولا يضر.
فحقيقة الزهد هو استصغار الدنيا، والحذر من طغيانها وسيطرتها على القلب.
قال ابن القيم في وصف حقيقة الزهد:"وليس المراد رفضها من الملك. فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا محمد ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة.

---

[1]() قوت القلوب في معاملة المحبوب, لأبي طالب المكي (1/440).
[2]() معجم مقاييس اللغة, (3/30).
[3]() الصحاح, للجوهري, (2/481).
[4]() مجموع الفتاوى, لابن تيمية, (11/28), و مجموعة الرسائل والمسائل, (1/220), مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, لابن القيم, (2/12).

وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان - رضي الله عنهم - من الزهاد. مع ما كان لهم من الأموال. وكان الحسن بن علي من الزهاد، مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن، وأغناهم. وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد، مع مال كثير"[1].

ومما يدل على أن الإيمان بالقنطرة يثمر الزهد في الدنيا ما يأتي:

أ – قول الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد"[2].

وقوة الإيمان بلقاء الله تعالى لا يكون إلا بالعلم بتفاصيل ذلك اليوم, ومنها القصاص العام والقصاص الخاص الذي سيكون بين المؤمنين في القنطرة, فكلما زاد علم العبد بما سيجري في ذلك اليوم من المشاهد العظيمة قوي إيمانه, وهذا الإيمان لا بد أن يثمر ثمرات جليلة منها الزهد في الدنيا.

ب – أن الإيمان بالقنطرة مما يعين على الزهد في الدنيا, وذلك أن الذي يصحح هذا الزهد أمرين إثنين:

أحدها: علم العبد أنّ الدّنيا ظلّ زائل، وخيال زائــر، فهي كما قال تعالى:كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَـاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا[3] وسمّاها الله مَتاعُ الْغُرُورِ ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغـترّين، وحذّرنا مثل مصارعهم، وذمّ من رضي بها، واطمأنّ إليها.

الثّاني: علمه أنّ وراءها دار أعظم منها قدرا، وأجلّ خطرا، وهي دار البقاء، فالزّهد فيها لكمال الرّغبة فيما هو أعظم منها[4].

---

[1]() مدارج السالكين, (2/16).
[2]() المصدر نفسه, (2/29).
[3]() سورة الحديد, (20).
[4]() نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم , (6/ 2219).

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها وهم حال الظفر بها وغم وحزن بعد فواتها فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما هنا فهى كمال الله سبحانه: ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡر وَأَبۡقَىٰٓ﴾[1] فهي خيرات كاملة دائمة وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره وزهد فيما يقتضي الزهد فيه فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة الى إذا تبين له فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له وإما لعدم رغبته في الأفضل وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى وإما أن لا يصدق بذلك كان عادما للإيمان رأسا وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيء الاختيار لنفسه وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في

---

[1]() سورة الأعلى, (17).

الإيمـان وإمـا من فسـاد في العقـل ومـا أكـثر مـا يكـون منهما"[1].

ج – أن الإيمان بالقنطرة يدعو المؤمن إلى سلامة الصدر من الغل والحسد وكل ذلك من خصال الزهد.

قال إبراهيم بن أدهم[2] –رحمه الله تعالى-:"أقرب الزهاد من الله عز وجل أشدهم خوفا، وأحب الزهاد إلى الله أحسنهم له عملا، وأفضل الزهاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة، وأكرم الزهاد عليه أتقاهم له، وأتم الزهاد زهدا أسخاهم نفسا وأسلمهم صدرا، وأكمل الزهاد زهدا أكثرهم يقينا"[3].

فلا يتم الزهد إلا لمن سلم صدره من الغل والحسد, وغيرها من أمراض القلوب.

د – إن الإيمان بالقنطرة يجعل المؤمن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب الآخرين, لأنه موقن أن الاشتغال بغيره يورثه الحسد والبغضاء, والغيبة, بل وقد يؤدي إلى ما هو أعظم من ذلك من الظلم عليهم, وكل ذلك من موجبات الوقوف في القنطرة.

وإن من أعظم خصال الزهد أن الزاهد يعزف عن القيل والقال, وما لا يعنيه.

---

[1] () الفوائد, (ص:95), وانظر مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار, لعبد العزيز السلمان, (1/264).

[2] () إبراهيم بن أدهم ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة، الإمام، العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي -وقيل: التميمي- الخراساني، البلخي، نزيل الشام. مولده في حدود المائة.
قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لابن المبارك: إبراهيم بن أدهم ممن سمع؟ قال: قد سمع من الناس، وله فضل في نفسه، صاحب سرائر، وما رأيته يظهر تسبيحا، ولا شيئا من الخير، ولا أكل مع قوم قط، إلا كان آخر من يرفع يده. وتوفي سنة اثنتين وستين ومائة، وقبره بزار. انظر: سير أعلام النبلاء, (7/70-75).

[3] () أخرجه أبو نعيم الأصبهاني قي حلية الأولياء, (8/70).

وقد جمع النبي حقيقة الزهد والورع في الحديث الذي رواه أبو هريرة , أن النبي قال:«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة, وأعظم من ذلك ظلم العباد.

قال إبراهيم بن أدهم –رحمه الله تعالى-:"الزاهد يكفي من الأحاديث والقال والقيل وما كان وما يكون بقول الله تعالى:لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥[2]. يوم يقال: ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا[3]"[4].

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه, كتاب الشهادات عن رسول الله , باب, (ص:524), رقم(2317), وابن ماجه في سننه, كتاب الفتن, باب كف اللسان في الفتنة, (ص:656), رقم(3976), والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي, (ص:524).

[2] سورة المرسلات, (12-15).

[3] سورة الإسراء, (14).

[4] أخرجه أبو نعيم الأصبهاني قي حلية الأولياء, (8/70).

الفصل الســـادس: موقـــف المخالفين من القنطرة والرد عليهم 0

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: موقف الجهمية من القنطرة والرد عليهم0
- المبحث الثـاني: موقـف المعتزلـة من القنطرة والرد عليهم0
- المبحث الثالث: موقف الخوارج من القنطرة والرد عليهم0
- المبحث الرابع: موقف الباطنية من القنطرة والرد عليهم0

تمهيد

بعث الله نبينا محمداً بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً, وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً, أرسله ربه على حين فترة من الرسل, ودروس من الكتب, حين حرف الكلم, وبدلت الشرائع, واستند كل قوم إلى أهوائهم وآرائهم, ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى-:"فإن الله تعالى علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق, وتباين العقول والأخلاق, حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر, وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر, فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين, ومبينين للإنسان ما يضله ويهديه, وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"[(1)].

وكلما بعد العهد عن شمس النبوة قل العلم والورع, وكثر الجهل, وازداد الخلاف والجرأة على القول على الله بلا علم, وتلك الأدواء متفشية وسارية في الأمة منذ أزمان متطاولة, وقد كان بدء إطلالها في أواخر عهد الصحابة –رضي الله عنهم- حيث ظهرت بعض الفرق المخالفة للكتاب والسنة.

وقد أوردت أصحاب هذه الفرق المحدثة على الناس شبهات, بكلمات متشابهات, خدعوا بها جهال الناس, فأوقعوا الكثير منهم في حبائلهم.

ولم يقف علماء الأمة من هذه الفرق موقف المتفرج, بل أخذوا يظهرون عوارها, ويبينون ضلال أصحابها, ويدعون الضال التائه إلى الهدى, ويصبرون من المخالفين لهم على الأذى, ويحيون بكتاب الله الموتى,

---

[1]() من مقدمة شيخ الإسلام لكتاب: تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل, (ص:29-30).

ويبصرون بنور الله أهل العمى, ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين[1].

وفي تصدي العلماء للرد على المخالف فوائد جمة منها:

1 – في الرد على المخالف تحقيق لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي مناط خيرية الأمة.

2 – إظهار الحق وتقريره وإيضاحه وتجليته, وذلك ليكون الحق ظاهراً لمن طلبه, فلا يبقى ملتبساً على الخلق.

3 – محق الباطل وتعريته, وذلك من المطالب الشرعية, كما قال تعالى:﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[2], وقال سبحانه:﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3].

4 – كشف الشبه العارضة التي تحول دون اتباع الحق أو تشكك أتباعه فيه.

5 – كسر المبطل وقطعه لكف شره عن الناس, ولكي لا يغتر به أحد منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل

[1] () اقتباس من أثر رواه ابن وضاح في كتاب «البدع والنهي عنها», (ص:10), عن عمر وهو مشابه لما ذكره الإمام أحمد في مقدمة كتابه في الرد على الجهمية, (ص:6).

[2] () سورة الأنفال, (8).

[3] () سورة الأنبياء, (18).

لأحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى-:الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله, إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء"[1].

وممن تناولهم العلماء بالرد بيان مواقف المخالفين في القنطرة والرد عليهم وبيان ذلك في المباحث الآتية.

---

[1]() مجموع الفتاوى, (28, 231-232).

المبحث الأول
موقف الجهمية من القنطرة والرد عليهم

الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه، وترجع في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي[1]، الذي كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية حيناً من الدهر، وقد عتوا واستكبروا واضطهدوا المخالفين لهم حينما تمكنوا منهم، ثم أدال الله عليهم فلقوا نفس المصير الذي حل بغيرهم على أيديهم. سنة الله في خلقه ولن تجد لسنته تبديلاً.

ولقد كان هؤلاء الجهمية العقبة الكؤود في طريق العقيدة السلفية النقية وانتشارها؛ حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل شغلتهم وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبهات الجهمية ومجادلاتهم لهم وخصامهم معهم، وكانت العاقبة الحسنة – ولا تزال – لأهل السنة والجماعة ولله الحمد[2].

وقد بين عبد الله بن المبارك –رحمه الله تعالى- سبب تسميتهم بالجهمية فقال:"وإنما سموا الجهمية لأن جهم

---

[1]() أبو محرز الراسبي مولاهم, السمرقندي, الكاتب, المتكلم, رأس الضلالة, ورأس الجهمية. كان صاحب ذكاء وجدال. كتب للأمير حارث بن سريج التميمي وكان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه ويقول: بخلق القرآن ويقول إن الله في الأمكنة كلها. وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب, وإن تلفظ بالكفر. هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا، لكنه زرع شرا عظيما. انظر: سير أعلام النبلاء, (6/204), وميزان الإعتدال, (1/426).

[2]() انظر فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام, لغالب عواجي, (3/1131).

بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية، وهم صنف من العجم كانوا بناحية خراسان[1]، وكانوا شككوه في دينه، وفي ربه حتى ترك الصلاة أربعين يوما لا يصلي، فقال: لا أصلي لمن لا أعرف، ثم اشتق هذا الكلام"[2].

➢ أما موقف الجهمية من القنطرة:

فلم أجد في كلام أهل العلم ذكراً لموقف الجهمية من القنطرة, إلا أن الناظر في مذهبهم وموقفهم من أمور الآخرة يجزم بأنهم ينكرونها, وفيما يأتي بياناً لموقفهم من بعض الأمور الآخرة:

1 – قالوا: إن الحسنات والسيئات أعراض قد عدمت, فلا يمكن إعادتها, ومعلوم أن القصاص يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات:

ويظهر هذا جلياً في موقفهم من الميزان, حيث أنكروا وضع الموازين يوم القيامة، واعترضوا على أن يكون ثمة ميزان حقيقي له لسان وكفتان.

وقد حكى ذلك عنهم بعض العلماء من أمثال الملطي -رحهه الله تعالى- في تنبيهه حيث قال -لما استعرض الفرق المتشعبة من الجهمية وأهم أفكار كل فرقة منهم-:"ومنهم صنف أنكروا الميزان، أنكروا أن يكون لله ميزان يزن به الخلق وأعمالهم"[3].

---

[1]() بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها. وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا, وذلك في سنة 31 في أيام عثمان، رضي الله عنه. انظر معجم البلدان, للحموي, (2/350).

[2]() الإبانة الكبرى, لابن بطة, (1/379).

[3]() التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع, (ص:98).

وقـــال بوجـــه الخصـــوص عن قائـــدهم الجهم بن صفوان:"وأنكر جهم الميزان والله تعالى يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1]"[2].

وكذلك نسب البغدادي للجهمية إنكار الميزان[3].

وقال الشيخ غالب عواجي –حفظه الله تعالى-:"الميزان من أمور الآخرة الغيبية التي يجب الإيمان بها وقد أنكرته الجهمية, وقد ذهبت الجهمية وغيرهم من أهل البدع إلى إنكاره بلا دليل ؛ لأنه في زعمهم –يستحيل وزن الأعراض ، كما أنكروا أن يكون هناك ميزان حقيقي

له كفتان ولسان، معرضين عن النصوص الثابتة بذلك كما قدمنا بعضها"[4].

فيلاحظ أن شبهة الجهمية في إنكار الميزان, هو زعمهم أن الحسنات والسيئات أعراض ثم قالوا:

أ – أن هذه الحسنات والسيئات قد عدمت فلا يمكن إعادتها.

ب – أنه إن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها, ولا توصف الأعراض بالخفة والثقل[5].

وبناء على هذه الشبهة فإن إنكارهم للميزان يلزم منه إنكار للقصاص عموماً والقنطرة خصوصاً, وذلك لأنه قد تبين لنا فيما سبق أن القصاص يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات, والجهمية جعلوا الحسنات والسيئات أعراض قد عدمت فلا يمكن إعادتها.

---

[1] () سورة الأنبياء, (47).

[2] () التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع, (ص:110).

[3] () كتاب أصول الدين, (ص:245).

[4] () فرق معصرة تنتسب إلى الإسلام, (3/1151).

[5] () انظر مقالات الإسلاميين, للأشعري, (2/165), والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة, (ص:364), والجامع لأحكام القرآن, (7/107).

➢ والجواب على هذه الشبهة من وجهين[6]:

أ – أنهم إنما اعتمدوا على استبعادات عقلية لا حجة فيها, مصادمين بها الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ب – أن الله تعالى قادر على أن يعيد تلك الأعمال, وأن يجعلها في صورة توضع في الميزان وتثقل وتخف.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى-:"والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساما تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضا كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضا ومن الأجسام أجساما, فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعا بين النقيضين ولا شيئا من المحال"[2].

2 - أنهم أنكروا الصراط, وذلك لاعتقادهم بأن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا نقصان, بل المؤمن يذهب إلى الجنة مباشرة، وأنه لا حاجة للجسر ليختبر عليه العباد[3]:

وعلى رأس هؤلاء الجهم بن صفوان فهو ينكر أن يكون في يوم القيامة صراط مادي ينصب على جهنم ليعبر عليه البشر قبل ذهابهم إلى الجنة، وهو في إنكاره هذا ليس له ما يستند عليه من الشرع، ولم تعرف له حجة ولا برهان، شأنه شأن غيره ممن ينفي الصراط الحسي في يوم القيامة دون دليل .

وقد ذكر الملطي –رحمه الله تعالى- أن النصوص المثبتة للصراط تكذّب ما ذهب إليه جهم بن صفوان من إنكار له، فقال:"والآثار جاءت بتكذيب جهم في إنكاره أن الله يجيز على الصراط عباده..." [4].

---

[6]() المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات, لصالح سندي, (1/461-463).

[2]() حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح, (ص:402).

[3]() انظر جهم بن صفوان, ومكانته في الإسلام, تأليف خالد العلي, (ص:144).

[4]() التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع, (ص:110).

وقد أخبر البغدادي –رحمه الله تعالى- عن إنكار الجهمية للصراط فقال:"هذا الأصل في إثبات الحوض والصراط والميزان وسؤال الملكين وأنكر ذلك الجهمية ..... وقلنا في منكر الحوض لا سقاهم الله منه ، ومنكر الصراط يزل عن الصراط إلى النار لا محالة"[1].

وكذلك جاء في الفتوى الحموية نسبة هذا الإنكار للجهمية، وفيه:"وأنكره الجهمية، والمعتزلة، وجماعة من الخوارج، وتأولوا النصوص الواردة فيه بأن المراد منه هو الطريق، وأنكر آخرون أن يكون أدق من الشعر وأحد من السيف. وقالوا: لأن ذلك تعذيب ولا يمكن العبور عليه، والنصوص ترد على كلا الطائفتين وحجة عليهم، وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها والتسليم لها"[2].

فإنكار الجهمية وغيرهم للصراط ليس لهم ما يتمسكون به إلا شبهات باطلة واستبعاد له، ظانين أن استبعاده في عقولهم يصح أن يكون دليلاً على إنكاره، وبغض النظر عن سرد تلك الشبهات فإن النتيجة واحدة وهي إنكار الصراط، ويكفي في الرد عليهم أن يقال لهم: إنكم تردون أقوال نبيكم ﷺ بمحض الهوى والشبهات، وليس لكم أي دليل، ومن رد أقوال النبي ﷺ بعد صحة ثبوتها، فلا ريب في خسرانه ومفارقته طريق المؤمنين[3].

وقال الشيخ غالب عواجي –حفظه الله تعالى-:"وقد استند في إنكاره لبعض الحجج، وهي حجج أو اعتذارات غير مجدية في نفي الصراط، وربما كان نفي جهم لفكرة الصراط متأتيًا عن اعتقاده بأن المؤمن يذهب إلى الجنة مباشرة، وأن لا حاجة للجسر ليختبر عليه العباد، فالمؤمنون يذهبون إلى الجنة، والكفار إلى النار، وذلك

---

[1]() أصول الدين, للبغدادي, (ص:245-246).

[2]() انظر تعليق حمد التويجري على تحقيقه لفتاوى الحموية الكبرى, لشيخ الإسلام ابن تيمية, (1/437).

[3]() انظر فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام, للدكتور غالب عواجي, (3/1151).

لأن جهمًا يعتقد أن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فمن كان في قلبه إيمان دخل الجنة بدون اختبار .
ومن جهة أخرى قد يكون اعتقاد جهم أن الإسلام هو الصراط، وبذلك يدخل الجنة كل من اتبع الإسلام وآمن به, وتكون النار مصير من حاد عنه وزاغ عن طريقه"[1].

[1]() الحياة الآخرة, ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار, وانظر جهم بن صفوان, ومكانته في الإسلام, تأليف خالد العلي, (ص: 144).

المبحث الثاني
موقف المعتزلة من القنطرة والرد عليهم

المعتزلة فرق عقلانية كلامية فلسفية تتكون من طوائف من أهل الكلام الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة, وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومنهاج الاستدلال, ومنهج تقرير العقيدة, وتجمعهم غالباً الأصول الخمسة وهي:

1 – المنزلة بين المنزلتين: وهو قولهم بأن الفاسق الملي «مرتكب الكبيرة» لا مؤمن ولا كافر, بل في منزلة بينهما.

2 – التوحيد, ويقصدون به نفي صفات الله تعالى.

3 – العدل, ويقصدون به نفي القدر.

4 – الوعد والوعيد, وهو زعمهم أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات على كبيرته.

5 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ويقصدون به الخروج على ولاة الأمور, وإلزام الناس بعقائدهم وآرائهم[1].

أما موقفهم من القنطرة:

لم أجد في كتب المعتزلة ذكراً للقنطرة على وجه الخصوص إلا أن الناظر في مصادر التلقي عندهم, ومنهجهم في تقرير العقيدة, وموقفهم من القصاص العام يوم القيامة يجزم بأن موقفهم من القنطرة هو الإنكار, والذي يدل على ذلك ما يأتي:

1 - أن النصوص الواردة في إثبات القنطرة هي من قبيل الأخبار الآحاد, والمعتزلة موقفهم من الأخبار الآحاد هو إنكارها, وردها مطلقاً, وإليك

[1] () انظر الجهمية والمعتزلة, لناصر العقل, (ص:127).

بعض النقولات الواردة في بيان موقفهم منها, مع الجواب عليها:

أ – قالوا: أن هذه الآحاد إنما تفيد الظن فلا تقبل في الأصول التي يجب أن تكون أدلتها يقينية قطعية.

قال الجويني[1] –رحمه الله تعالى-:"ذهبت الحشوية[2] من الحنابلة وكتبة الحديث إلى أن خبر الواحد العدل يوجب العلم، وهذا خرق لا يخفى مدركه على ذي لب, ولا متعلق لهم إلا ظنهم أن خبر الواحد يوجب العمل"[3].

ب – قالوا: أن من رد شيئاً من الأصول والعقائد يكفر وأخبار الآحاد لا يكفر من رد منها شيئاً للاختلاف في ثبوتها.

وقد جعل الغزالي –رحمه الله تعالى- عدم إفادة خبر

---

[1] () الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف. ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة. كان أبو المعالي، إمام الأئمة على الإطلاق، مجمعا على إمامته شرقا وغربا، لم تر العيون مثله. تفقه على والده، وتوفي أبوه ولأبي المعالي عشرون سنة، فدرس مكانه, كان من رؤوس أهل الكلام إلا أنه تراجع في آخر حياته, فرجح مذهب السلف في الصفات وأقره. قال الفقيه غانم الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالي يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام. انظر سير أعلام النبلاء, (14/17-20).

[2] () وهذا التعبير يغمز به أهل البدع أهل الحديث, فهو مصطلح يلقب به أهل السنة وأهل الحديث, مثبتي الصفات صفات الله!! وقال ابن القيم إن معنى الحشو أن الله في السماء وفوق خلقه قد حشو رب العباد بالأكوان ، وأول من نطق بالحشوية هو عمرو بن عبيد المعتزلي إذ قال إن عبد الله بن عمر بن الخطاب حشويًا . انظر : معجم ألفاظ العقيدة :أبي عبد الله عامر بن فالح, (ص:142-143).

[3] () البرهان في أصول الفقه, (1/231).

الواحد للعلم معلوما بالضرورة! وفسر ذلك بقوله:"فإنا لا نصدق بكل ما نسمع، ولو صدقنا وقدرنا تعارض الخبرين فكيف نصدق بالضدين"[1].

ج - قالوا: إن الحق واحد في باب الخبر اتفاقاً، فمن رد شيئاً منه فهو كافر أو فاسق، بخلاف الطلب، فإن الصواب متعدد، فالحق يرجع إلى ما حكم به المجتهد، فإن كل مجتهد مصيب، وبهذا ردت المعتزلة جميع الآحاد مطلقاً.

قال العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى-:"إذ لو شرط فيها العلم لفات معظم المصالح الدنيوية والأخروية، ولا يكفي فيما يتعلق بأوصاف الإله إلا العلم والاعتقاد، والفرق بينهما أن الظان مجوز بخلاف مظنونه، وإذا ظن صفة من صفات الإله فإنه يجوز نقيضها وهو نقص، ولا يجوز تجويز النقص على الإله؛ لأن الظن لا يمنع من تجويز نقيض المظنون، بخلاف الأحكام، فإنه لو ظن الحلال حراما والحرام حلالا لم يكن ذلك تجويز نقص على الرب سبحانه وتعالى، لأنه لو أحل الحرام وحَرَّم الحلال لم يكن ذلك نقصاً، بخلاف الصفات فإن كمالها شرف وضده نقصان"[2].

➢ والجواب عن هذا القول من وجوه عديدة منها[3]:

أ - إن التفريق بين العقائد والأحكام في الأخذ بأخبار الآحاد ، بدعة لا عهد للسلف بها، بل سيرتهم، وتصانيفهم تثبت عكس ذلك تمامًا.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:"الخبر الذي يجب قبوله شرعًا لا يكون باطلا في نفس الأمر، ومما يحقق أن خبر الواحد الواجب قبوله يوجب العلم

---

1 () المستصفى, (1/145).

2 () قواعد الأحكام في مصالح الأنام, (ص:266).

3() انظر وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة, للشيخ الألباني, (ص:8-14), وقد ذكر-رحمه الله تعالى- عشرين وجهاً في الرد على من يرد الخبر الواحد في أمور العقيدة.

قيام الحجة القوية على جواز نسخ المقطوع به كما في رجوع أهل قباء عن القبلة التي كانوا يعلمونها ضرورة من دين الرسول بخبر الواحد"[1].
ومن أهل الظاهر الذين صرحوا بذلك ابن حزم –رحمه الله تعالى- إذ قال:"إذا جاء خبر الراوي الثقة عن مثله مسندًا إلى الرسول فهو مقطوع به على أنه حق من عند الله"[2].
ب - أن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة لمجرد كونها في العقيدة، وعقيدتهم أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة. وإذا كان الأمر كذلك عند
هؤلاء المتكلمين فنحن نخاطبهم فنقول: أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة من آية أو حديث متواتر؟.
ج - هذا القول مخالف لأدلة حجية خبر الآحاد في الأحكام الشرعية لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله عن ربه سواء كان عقيدة أو حكمًا، فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص.
د - أن القول المذكور مخالف لما كان عليه الصحابة فإننا على يقين أنهم كانوا يجزمون بكل ما يحدث به أحدهم عن رسول الله , ولم يقل أحد منهم لمن حدثه :خبرك خبر واحد لا يفيد العلم.
ر - من لوازم هذا القول إبطال الأخذ بالحديث مطلقًا في العقيدة من بعد الصحابة الذين سمعوه من النبي مباشرة، وبيانه أن جماهير المسلمين، وخاصة قبل جمع الحديث وتدوينه إنما وصل إليهم الحديث بطريقة الآحاد، والذين وصل إليهم شيء منه من طريق التواتر، إنما هم أفراد قليلون في كل عصر، توجهوا لتتبع طرق الحديث

---
[1] () المسودة في أصول الفقه, (ص:247).
[2] () النبذة الكافية في أحكام أصول الدين, (ص:34).

وإحصائها، فاجتمع عند كل واحد منهم عدد لا بأس به من الحديث المتواتر.

2 - وكذلك فإن أكثر المعتزلـة أنكـروا الصـراط, وقد ذكر بعض أهل العلم كالسيوطي وغـيره أن القنطــرة هي من تتمـــة الصـــراط[1], فيكـــون إنكارهم الصراط إنكار للقنطرة.

وفيما يأتي بيان لموقف المعتزلة من الصراط:

قال السفاريني –رحمه الله تعـالى-:"وأنكـر هـذا الظـاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي[2]، وكثير من أتباعـه زعمـا منهم أنــه لا يمكن عبــوره، وإن أمكن ففيــه تعــذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقولـه تعـالى:﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾[3]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعـالى:﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[4]. ومنهم من حملــه على الأدلـــة الواضحة"[5].

ولكن بالرجوع إلى كتب المعتزلة ، فإننا نجد القاضي عبد الجبار يفسر الصراط بأنه الطريق فقط، وأن إثبات صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة إنما هو من وصف الحشوية -كما يزعم – غير أنه لم يرتض قول كثير

1() انظر المبحث الأول, من الفصل الثاني, (ص:73).

2() هو القاضي عبد الجبار: ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية. ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، تخرج به خلق في الرأي الممقوت. مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين. انظر: سير أعلام النبلاء, للذهبي, (13/42).

3() سورة محمد, (5).

4() سورة الصافات, (23).

5() لوامع الأنوار البهية, (2/192-193), وانظر المواقف للإيجي, (3/523), وشرح المقاصد, للتفتازاني, (2/223).

من مشايخهم – فيما يذكر – من ذهابهم إلى أن الصراط المراد به الأدلة الواضحة .
ويظهر بوضوح من تعريف القاضي عبد الجبار للصراط بأنه لا يثبت صراحة ذلك الصراط الوارد به وبصفاته في الشرع فهو يقول:"وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه"[1].
ثم يعود القاضي فيذكر عن كثير من مشايخهم أنه ليس هناك صراط حسي، لا واسع ولا ضيق، وأن ما ورد من ذكر الصراط فإنما يراد به المعاصي والطاعات.
قال القاضي:"حكي عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار.
وذلك مما لا وجه له, لأن فيه حملا لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره، وقد ذكرنا القول في أن كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب، دون أن

يصرف عنه إلى المجازي"[2].
ويتحصل مما سبق تقريره من مذهب المعتزلة .أن بعضهم ينفي الصراط مطلقًا، وأن بعضهم يثبته لكن بغير وصفه الذي نص عليه الحديث، وإنما يثبتونه على أنه طريق واضح بين الجنة والنار, يضيق على أهل العصيان ويتسع للمؤمنين .

3 – إن القصاص الحاصل يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات, وقد أنكر ذلك بعض المعتزلة.

---

[1]() شرح الأصول الخمسة, (ص:737).
[2]() المصدر السابق, (ص:737-738).

فإنهم قالوا: لا يجوز في حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها، وهذا زعموا جوراً وأولوا قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1], **قالوا:** فكيف تصح هذه الأحاديث وهي تخالف ظاهر القرآن وتستحيل في العقل[2]؟.

➢ والجواب عن هذا الإعتراض من وجوه:

أ – الوجه الأول: هو ما ذكره الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى- عن هؤلاء الناس, ثم قال في جوابه عن ذلك:"إن الله سبحانه وتعالى لم يبن أمور الدين على عقول العباد، ولم يعد ولم يوعد على ما تحملته عقولهم ويدركونها بأفهامهم، بل وعدوا وعداً بمشيئته وإرادته وأمر ونهى بحكمته، ولو كان كلما لا تدركه العقول مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع عقول العباد، وذلك أن الله تعالى أوجب بخروج المني الذي هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأئمة، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف بين الأئمة وسائر من يقول بالعقل وغيره في نجاسته وقذارته ونتنه، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير المتفاحش، فبأي عقل يستقيم هذا وبأي رأي تجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد على الريح نتناً وقذراً، وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن

---

[1]() سورة الأنعام, (164).

[2]() العقل أو ما يسمونه بالعقليات, أو القواعد العقلية, هو المصدر الأول من مصادر التلقي عند المعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء, حيث جعلوها هي الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدبن, وقدموها على نصوص الكتاب والسنة, وجعلوا التخرصات العقلية هي المحكمة, ونصوص الشرع هي المحكوم عليها المتهمة, فصار العقل عندهم هو الخصم للشرع وهو الحكم على كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ. انظر الجهمية والمعتزلة, لناصر العقل, (ص:165).

بعشرة دراهم، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك، ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار، فيكون القطع فيهما سواء، وأعطى الأم من ولدها الثلث، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن ترث الإخوة من ذلك شيئاً.

فبأي عقل يدرك هذا إلا تسليماً وانقياداً من صاحب الشرع إلى غير ذلك, فكذلك القصاص بالحسنات والسيئات، وقد قال وقوله الحق ﴿: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾[1] الآية.

وقال:﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[2], وقال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[3] وهذا يبين قوله تعالى:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4] أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها، كما تقدم في أسماء القيامة عند قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[5]"[6].

ب – **الوجه الثاني:** أنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه ووزره ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته, وتعديه على الآخرين.

قال الأزهري في الجواب عن مثل هذه النصوص:"أن الآية في شخصين لا حق لواحد منهما على الآخر، فأما هذه فبذنبه أخذ وبكسبه غفرت، ومحل الطرح المذكور

---

[1]() سورة الأنبياء, (47).
[2]() سورة العنكبوت, (13).
[3]() سورة النحل, (25).
[4]() سورة الأنعام, (164).
[5]() سورة البقرة, (48).
[6]() التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة, (643-645).

إذا مات الظالم وهو قادر على القضاء، وأما إذا مات عاجزا فلا يطرح عليه من سيئات مظلومه شيء"[1].

وقال ابن حجر –رحمه الله تعال-:" ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده"[2].

وقال الامام النووي –رحمه الله تعالى-:"لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه وعدله في عباده فأخذ قدرها من سيئات خصومه فوضع عليه فعوقب به في النار فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه وهذا كله مذهب أهل السنة والله أعلم"[3].

ب – الوجه الثالث: أن قولهم هذا مخالف للإجماع المعتبر[4], وقد دلت نصوص كثيرة على تحريم مخالفة الإجماع, منها ما يأتي:

قوله تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[5].

فتواعد الله تعالى على مخالفة سبيل المؤمنين، فدلَّ على وجوب اتباع سبيلهم، وحرمة مخالفته، وسبيل المؤمنين هو ما أجمعوا عليه والتزموه .

---

[1] () الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني, (1/89).
[2] () فتح الباري شرح صحيح البخاري, (5/102).
[3] () المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, (16/136).
[4] () انظر المبحث الخامس, من الفصل الأول: في دلالة الإجماع على إثبات القنطرة, (ص:69).
[5] () سورة النساء, (115).

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-:"أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: «ويتبع غير سبيل المؤمنين» هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم ...وهذه الآية من أحسن الاستنباطات وأقواها على حجية الإجماع, وتحريم مخالفته، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك"[1].

وبين شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- أنه يجب على جميع الأمة أن يأخذوا دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

قال –رحمه الله تعالى-:"ولا يجوز لأحد أن يعدل عما جاء في الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلاف ذلك... فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها... وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل"[2].

بل قرر الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى- أن الإجماع هو أحد الأدلة السمعية, وأن كل معقول يخالفه فهو فاسد, فقال:" إن الأدلة السمعية هي الكتاب والسنة والإجماع.... وقد صان الله الأمة أن تجمع على خطأ أو

[1] () تفسير القرآن العظيم, (2/412).
[2] () مجموع الفتاوى, (11/490).

على ما يعلم بطلانه بصريح العقل...بل إذا وجدنا معقولًا يخالفه الإجماع علمنا قطعا أنه معقول فاسد"[1].

ج - الوجه الثالث: أن هذه الأمور غيبية يجب على العبد أن يقف مع النص, ويحرم عليه مخالفة الدليل:

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-:"كل شيء خالف أمر رسول الله يسقط، ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله قاطع العذر بقول رسول الله ، فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمر به ونهى عنه"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "وكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين أنه لا يقبل من أحد أن يعارض القرآن والسنة برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده, فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم"[3].

وقال–رحمه الله تعالى-:"فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به, فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض"[4].

وقال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله تعالى – "فالواجب كمال التسليم للرسول ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولا"[5].

د - الوجه الرابع: أن حكمة الله تعالى وعدله تقتضي محاسبة الخلائق لتجزى كل نفس بما كسبت.

قال الشيخ غالب عواجي –حفظه الله تعالى-:"وأما قولهم إن العقل يحيل ذلك, فهذا مردود, لأن معنى استحالة العقل: أن لا يتصور العقل وقوع ذلك, فما الذي

---

[1] () الصواعق المرسلة, (3/835).
[2] ()كتاب الأم, (2/250).
[3] () مجموع الفتاوى, (13/28).
[4] () المصدر نفسه, (7/36).
[5] () شرح العقيدة الطحاوية, (ص:200).

يحيله العقل أو لايتصوره, بل العقل لا يجوز فقط, وإنما يحتم هذا القصاص في الآخرة التي ليس فيها بيع ولا خلال ولا ينفع مال ولا بنون, وإنما المجازات تكون بالسيئات والحسنات, وهذا منتهى العدل الرباني الذي وعد به, وإلا فكيف يجازى الذي اغتاب وفعل ما فعل من الموبقات.

فالحكمة تقتضي أن يؤخذ من حسناته أو تكال عليه سيئات خصمه, وكيف لا يكون ذلك وقد دلت النصوص وجاءت الأحاديث بإثباته؟"[1].

[1]() الحياة الآخرة, (2/1023).

المبحث الثالث
موقف الخوارج من القنطرة والرد عليهم

الخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية، وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي. شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن, ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي[1] المنتشر في بعض المناطق.

والخارجي هو كل من خرج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان.

قال الشهرستاني –رحمه الله تعالى-:"كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"[2].

وقد خاض الخوارج في مسائل اعتقادية خالفوا بها أهل السنة والجماعة ومن ذلك انكارهم للقصاص بين الخلق يوم القيامة وذلك لما يأتي:

1 – قولهم أن كبائر الذنوب محبطة للحسنات:

ذهب الوعيدية من الخوارج وغيرهم إلى أن كبائر الذنوب محبطة للحسنات جميعاً وللإيمان أصله وفرعه, فهي عندهم بمنزلة الشرك في الإحباط.

---

[1]() الإباضية فرقة من فرق الخوارج لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي, لكونهم كانت لهم صولة وقوة. وقد نسبوا إلى عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام, واسمه عبد الله بن يحيى بن إباض من بني مرة بن عبيد, وينسب إلي بني تميم, وهو تابعي, عاصر معاوية وابن الزبير وكانت له آراء واجه بها الحكام. انظر فرق معاصرة, لغالب عواجي, (1/245).

[2]() الملل والنحل, (1/114).

وهذا القول مبني على قولهم بإنفاذ الوعيد والقطع بخلود الفساق في النار.
قال التفتازاني –رحمه الله تعالى-:"والمشهور من مذهبهم أنه (أي من يعمل الطاعات والكبائر) من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة, فأشكل عليهم الأمر في إيمانه وطاعاته وما ثبت من استحقاقاته, أين طارت؟ وكيف زالت؟ فقالوا بحبوط الطاعات, ومالوا إلى أن السيئات يذهبن الحسنات, حتى ذهب الجمهور منهم إلى أن الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات"[(1)].
وقال الشيخ صالح سندي –حفظه الله تعالى-:"وينبغي أن يعلم أن قول الوعيدية بالإحباط مؤسس على قولهم بإنفاذ الوعيد والقطع بخلود الفساق في النار, لأنه بخلود الفساق في النار لا تنفعه طاعاته وإيمانه فكانت حابطة"[(2)].
وقد تبين لنا فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى جعل القصاص بين الخلق يوم القيامة سبباً من الأسباب التي تندفع بها العقوبة، وينتفي بسببها الوعيد، ويزول موجب الذنوب.
قال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله تعالى-:"فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة"[(3)].

---
[1]() شرح المقاصد, (5/142).
[2]() المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات جمعاً ودراسة, لصالح سندي, (2/776).
[3]() شرح العقيدة الطحاوية, (ص:327).

ثم شرع في ذكر هذه الموانع بالتفصيل. وبين–رحمه الله تعالى- أن من مسقطات الذنوب القصاص يوم القيامة في المظالم التي حصلت في الدنيا[4].
وكذلك فإن النبي بين أن الظالم يكون له حسنات فيستوفي المظلوم منها حقه, وأنها لم تحبط مع ارتكابه كبائر عظام كسفك الدم والقذف وأخذ المال من غير حله[2].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى-:" وقد ثبت بالكتاب والسنة المتواترة الموازنة بين الحسنات والسيئات، فلو كانت الكبيرة تحبط الحسنات لم تبق حسنة توزن معها"[3].

2 - **موقفهم من عفو الله تعالى ومغفرته لأهل الكبائر:**

ذهب الخوارج والمعتزلة على أن من مات على كبيرة مصراً عليها ولم يتب منها فإنه مخلد في عذاب جهنم, ولا يغفر الله له, ولا يجوز أن تناله رحمة الله تعالى, لأن الله تعالى توعد العصاة بالعذاب, ولا يجوز عليه الخلف والكذب[4].
وقد تقرر لنا فيما سبق أن القصاص بين المظلومين يوم القيامة سيكون بالاقتصاص, أو بأن يثيب الله تعالى المظلوم خيرا من مظلمته، ويعفو عن الظالم برحمته[5].

---

[4]() انظر مجموع الفتاوى, (7/487), ومنهاج السنة النبوية, (6/238).
[2]() انظر منهاج السنة, (3/397), وشرح العقيدة الطحاوية, (ص:322), وانظر المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات, لصالح سندي, (2/779).
[3]() منهاج السنة النبوية, (5/296).
[4]() انظر شرح الأصول الخمسة, للقاضي عبد الجبار, (ص:136).
[5]() انظر المبحث الثالث من الفصل الثالث, (ص:140).

قال الإمام البيهقي -رحمه الله تعالى- عند شرحه لقول النبي ﷺ:«حتى إذا هذبوا ونقوا» قال: بأن يرضى عنهم خصماؤهم، ورضاهم قد يكون بالاقتصاص، وقد يكون بأن يثيب الله المظلوم خيرا من مظلمته، ويعفو عن الظالم برحمته"[1].

[1]() شعب الإيمان, (1/523).

المبحث الرابع
موقف الباطنية من القنطرة والرد عليهم

إن الباطنية ليست مذهبا إسلاميا أو فرقة من فرق أهل الإسلام، وإنما هي مذهب وطريقة أراد بها واضعوها هدم الإسلام وإبطاله عقيدة وشريعة.
قال البغدادي –رحمه الله تعالى-:"اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم"[1].
وقال الرازي –رحمه الله تعالى-:"اعلم أن الفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفي أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار, وهم عدة فرق ومقصودهم على الإطلاق إبطال الشريعة بأسرها ونفي الصانع ولا يؤمنون بشيء من الملل ولا يعترفون بالقيمة إلا أنهم لا يتظاهرون بهذه الأشياء إلا بالآخرة"[2].
وقد أطلق الإمام أبو المظفر الإسفايني صيحة تحذيرية مشابهة لصيحة البغدادي والرازي, حيث قال:"الباطنية وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوما وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهي قائمة بعد"[3].
وقبل الشروع في بيان موقفهم من القنطرة فإنه يحسن بنا أن نعرفهم تعريفاً موجزاً مع بيان أهم فرقهم.
تعريف الباطينية لغة:
مأخوذة من الباطن, وهو داخل كل شئ, وهو عكس الظاهر, والبطن خلاف الظهر. يقال بطن الشئ بطوناً, إذا خفي. وبطنت الأمر, إذا خبرته وعرفت باطنه, وأنت أبطن بهذا الأمر

---
[1] () الفرق بين الفرق, (ص:265).
[2] () اعتقادات فرق المسلمين والمشركين, (ص:76).
[3] () التبصير في الدين, (ص:140-141).

: أي أكثر به خبرة[1].

تعريف الباطنية اصطلاحاً:

قال الغزالي –رحمه الله تعالى-:"أما الباطنية فانما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة"[2].

فالباطينية لقب عام تشترك فيه كل الفرق والطوائف التي تقول بأن لظواهر النصوص الشرعية بواطن, يجب الأخذ بها, وترك الظواهر, ويقولون: إن من ارتقى إلى علم الباطن, انحط عنه التكليف. واستراح من أعبائه[3].

فليست الباطنية فرقة مستقلة بذاتها, وإنما هي طائفة يندرج تحتها عدد من الفرق, يجمعها القول بالظاهر والباطن.

وهذه الفرق وإن اتحدت في قولها: إن لنصوص الشريعة ظاهراً وباطناً, وخصت نفسها بعلم الباطن, إلا أنها تختلف فيما بينها في مسائل كثير وهامة, تعد من أسس العقيدة[4], ولعل من أشهر فرق الباطنية ما يأتي:

1 – فرقة الإسماعيلية.

2 – فرقة النصيرية.

3 – فرقة الدروز.

4 – فرقة البابية والبهائية.

وإليك فيما يأتي بيان لمعتقد هذه الفرق وموقفهم من اليوم الآخر.

---

[1]() انظر الصحاح للجوهري, (2080-5/2079), والقاموس المحيط للفيروزآبادي, (ص:1523-1524).

[2]() فضائح الباطنية, (ص:11).

[3]() انظر المصدر السابق, (ص:12).

[4]() انظر موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر, للشيخ عبد القادر بن محمد عطا, ضمن مجلة الدراسات العقدية, (3/275).

1 – موقف الإسماعيلية من اليوم الآخر[5]:

الإسماعيلية واحدة من فرق الباطنية, إضافة إلى كونها إحدى فرق الشيعة الإمامية, لأن من معتقداتها أن الإمامة في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب, على نحو قول الشيعة الإثني عشرية, لكنهم خالفوا الاثني عشرية في تسلسل الإمامة بعد جعفر الصادق, حيث زعموا أن الإمامة انتقلت بعد بموت جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل بن جعفر, أو ولده محمد بن إسماعيل على خلاف بينهم[2].

أما موقفهم من اليوم الآخر: فإنهم لم يؤمنوا بالمعاد والحشر, والنشر, والحوض, والميزان, والصاراط, والقنطرة, وكل ما يجري في ذلك اليوم, والجنة والنار, وغيرها من العقائد الغيبية كما آمن بها المسلمون. فمعتقدهم هو الإنكار الكامل والمخالفة التامة لما أجمعت عليه الأمة الإسلامية لمعنى القيامة.

قال أبو حامد الغزالي –رحمه الله تعالى-:"وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الانسان من نطفة والنطفة من إنسان وتولد النبات وتولد الحيوانات لا يتصرم أبدا الدهر وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامهما, وأولوا القيامة وقالوا إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير... وأما المعاد فانكروا ما ورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للاجساد ولا الجنة والنار ولكن قالوا معنى المعاد عود كل شئ الى أصله والانسان متركب من العالم الروحاني الجسماني, أما الجسماني

5() انظر موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر, للشيخ عبد القادر بن محمد عطا, ضمن مجلة الدراسات العقدية, (3/275).

2() انظر الفرق بين الفرق للبغدادي, (ص:62-62), والتبصير في الدين للإسفرايني, (ص:38), وفضائح الباطينية, للغزالي, (ص:16), والملل والنحل للشهرستاني, (ص:191).

منه وهو جسده فمتركب من الأخلاط الأربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم فينحل الجسد ويعود كل خلط الى الطبيعة العالية أما الصفراء فتصير نارا وتصير السوداء ترابا ويصير الدم هواء ويصير البلغم ماء وذلك هو معاد الجسد. وأما الروحاني وهو النفس المدركة العاقلة من الانسان فإنها إن صفيت بالمواظبة على العبادات وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة من الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها"[1].

فهم ينكرون البعث والحساب والصراط والقنطرة وكل ما يجري في ذلك اليوم من ثواب وعقاب, وجنة ونار.

يقول أحد دعاتهم:"إن اعتقاد عامة المسلمين بالقيامة, وما فيها من أهوال, وتغير الأرض والسموات والجبال وبعث الناس للحساب والجزاء, سخف وحمق وجهالة, وإن الاعتقاد الصحيح هو الأبدية وأن المراد بها القائم"[2].

وتـأولوا قـول اللـه تعـالى:﴿قُـلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾[3].

فقالوا:"إلى صاحب الدور السـابع الـذي هـو اليـوم الآخـر واليوم المعلوم المبشر به"[4].

فعلى هذا الاعتقاد يكون ظهور صاحب الدور السابع هو قيام القيامة, وبظهوره ينتهي دور الستر الذي كان واقعاً على من سبقه من النطقاء, يبتدئ دور الكشف والظهور. فإذا ظهر ألغيت الشرائع والتكاليف, وبطلت الأعمال, وانتهت دورة الحياة الاعتيادية, وبعد ذلك يتولى القائم الحساب والجزاء في الدورة الجديدة[5].

---

[1]() فضائح الباطنية, (ص:45).

[2]() الافتخار, للسجستاني, (ص:74-75).

[3]() سورة الواقعة, (49-50).

[4]() راحة العقل, (ص:540), وانظر كنز الولد لإبراهيم الحامدي, (ص:239), وأساس التأويل, للقاضي النعمان, (ص:63).

وزعموا أن كل ما ذكر الله تعالى في كتابه من جنة ونار وحساب وميزان وعذاب ونعيم,

فإنما هو في الحياة الدنيا فقط.
قال الملطي[1] –رحمه الله تعالى-:"وزعموا أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وأن من مات بلى جسده ولحق روحه بالنور الذي تولد منه حتى يرجع كما كان... وزعموا أن كل ما ذكر الله عز وجل في كتابه من جنة ونار وحساب وميزان وعذاب ونعيم فإنما هو في الحياة الدنيا فقط من الأبدان الصحيحة والألوان الحسنة والطعوم اللذيذة والروائح الطيبة والأشياء المبهجة التي تنعم فيها النفوس, والعذاب هو الأمراض والفقر والآلام والأوصاب وما تتأذى به النفوس وهذا عندهم الثواب والعقاب على الأعمال"[2].

2 – موقف النصيرية من اليوم الآخر[3]:

النصيرية واحدة من فرق الباطنية, وقد كان مؤسسها –أولاً- ينتسب إلى الشيعة الإمامية الاثني عشرية, لكنه ترك هذه الفرقة نتيجة خلاف حصل بينه وبين أتباعها, وأسس لنفسه فرقة ضمنها أسوأ ما في الفرق المعاصرة له من معتقدات.

---

[5]() انظر أصول الإسماعيلية, للدكتور سليمان عبد الله السلومي, (2/411).

[1]() هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي العسقلاني: عالم القراآت. من فقهاء الشافعية: من أهل " ملطية " نزل بعسقلان، وتوفي بها. له تصانيف في الفقه وغيره، منها " التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" و "قصيدة" في 59 بيتا، عارض بها قصيدة لموسى ابن عبيد الله الخاقاني، في وصف القراءة والقراء, توفي أبو الحسين الملطي بعسقلان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. انظر: تاريخ دمشق, (51/71-73).

[2]() التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع, (ص:20-21).

[3]() انظر موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر, للشيخ عبد القادر بن محمد عطا, ضمن مجلة الدراسات العقدية, (3/275).

وقد غلب اسم النصيرية على هذه الطائفة, نسبة إلى مؤسسها وزعيمها "محمد بن نصير النميري"[1], وقيل غير ذلك[2].
ولهم اعتقادات فاسدة, كالقول بأن للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً, وأن الباطن غير مراد,
وكسب الصحابة –رضي الله عنهم-, والقول بارتدادهم, وكذلك القول بالتناسخ[3], والقول بالإباحية, والذي يعنينا في هذا المبحث هو موقفهم من اليوم الآخر.
فإنهم –كسائر فرق الباطينية-يلغون المعاد وما يتصل به من ثواب وعقاب, وجنة ونار, وحشر ونشر, ويستعيضون عنه بمبدأ التناسخ الذي أوجدوه خصيصاً من أجل إلغاء هذا الركن الأصيل وهدمه[4].

---

[1]() هو أبو شعيب، وكان من الشيعة الاثني عشرية، وأصله من فارس، ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر فلم تقرّ له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكوّن له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة 260هـ، وبعضهم يذكر أنه في سنة 270هـ وقد كان فيما يقول علماء الفرق - مولى للحسن العسكري- الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية- ولقد كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية. انظر العلوية أو النصيرية, لأبي موسى الحريري, (ص:3).

[2]() انظر تاريخ الإسلام السياسي, للدكتور حسن إبراهيم حسن, (4/265-267), والنصيرية, للدكتور سهير الفيل, (ص:30-32, 54-60).

[3]() هذه أهم قضية في عقائد النصيرية, وهي انتقال الأرواح في الأجساد. فزعموا أنه لا دار إلا الدنيا, وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر. وهذا له عند النصيرية أربعة أشكال, وهي: =النسخ, والمسخ, والفسخ, والرسخ. انظر الدراسات في الفرق والذاهب القديمة المعاصرة, للأمين, (ص:115), وفرق معاصرة, لغالب عواجي, (2/567).

[4]() انظر حركة الغلو وأصولها الفارسية, لنظلة الجبوري, (ص: 23).

فقد قالوا:"ليس قيامة ولا آخرة وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور: فمن كان محسناً جوزي: بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم ومن كان مسيئاً جوزي: بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم وليس شيء غير ذلك وأن الدنيا لا تزال أبداً هكذا"[1].

والحقيقة أن التناسخ في حكم الإسلام عقيدة باطلة تؤدي إلى الكفر, لأن الأخبار اليقينية التي جاءت عن طريق القرآن والسنة بينت بطلان هذا الاعتقاد, وأن الإنسان بعد موته يسأل في القبر[2].

3 – موقف الدروز من اليوم الآخر[3]:

الدروز إحدى الفرق الباطنية التي انشقت عن الإسماعيلية في عصرها العبيدي, واتخذت لها مبادئ مخالفة في ظاهرها لمبادئ الإسماعيلية, وإن كانت لم تخالفها في جوهر عقائدهم,

ونسبوا إلى أحد دعاة الضلال المجوس نشتكين الدرزي, وإن كانوا لا يحبون هذه التسمية[4].

أما موقف الدروز من اليوم الآخر: فهو شبيه بموقف من تقدم من فرق الباطنية, الإنكار التام لهذا المعتقد.

فالدروز لا يؤمنون باليوم الآخر بل يلغون المعاد وما يتصل به من حساب وثواب وعقاب, وجنة ونار, وحشر ونشر, ويقولون:"لا تموت الأرواح لتبعث, إذ ليس ثم موت ولا قيامة ولا بعث"[5].

---

[1] () مقالات الإسلاميين, لأبي الحسن الأشعري, (1/119).

[2] () انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي, للخطيب, (ص: 244).

[3] () انظر موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر, للشيخ عبد القادر بن محمد عطا, ضمن مجلة الدراسات العقدية, (3/275).

[4] () انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي, لمحمد أحمد الخطيب, (ص:199), وفرق معاصرة لغالب عواجي, (2/594).

أما الثواب والعقاب عند الدروز:فهم يرون أن العذاب إنتقال الإنسان من درجة عالية إلى درجة دونها, ويستمر تنقله من جسد إلى جسد آخر, حتى يصل إلى أقل الدرجات.
وأما الثواب فيكون بتنقل الإنسان بين الأحساد, وارتفاعه أثناء ذلك من درجة إلى درجة أخرى[1].

4 – موقف البابية والبهائية من اليوم الآخر:

هي من الفرق الباطنية التي ظهرت في العصر الحديث, وهي نشأت وتربت في أحضان الشيعة الاثني عشرية, ثم انشقت عنها, وأتت بمعتقدات فاسدة.
وسميت البابية بهذا الاسم لدعوى مؤسسها[2] أن روح المهدي المنتظر –القائم, صاحب
الزمان, الإمام المنتظر-قد خلت فيه, فصار وكيله, والسفير بينه وبين الخلق, والباب الموصل إليه[3].
وتعد البابية الحركة الأم التي وضعت الأسس, ومهدت السبل لظهور البهائية, إذ تعود أصول أغلب التعاليم والمعتقدات البهائية إلى البابية التي سلكت طريقاً يعد استكمالاً لما بدأته الفرق الباطنية.

5() مذهب الدروز والتوحيد, لعبد الله النجار-الدروزي المعاصر-, (ص:81).

1() انظر من كتبهم: الدروز والثورة السورية, لكريم ثابت, (ص: 48), نقلاً من موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر, للشيخ عبد القدر عطا صوفي,(ص:302), وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم, (1/93), والحركات الباطنية, لمحمد أحمد الخطيب, (ص:242).

2() مؤسس البابية هو علي بن محمد رضا الشيرازي, ولد في بلدة الشيراز سنة 1235ه, وتولى زعامة البابية سنة 1260ه زعم قبل أن يقتل سنة 1265ه أنه المظهر الإلهي, وأن الحقيقة الإلهية حلت فيه أتم حلول. انظر: البابية لإحسان ظهير, (ص: 56, 158-159).

3() انظر البابية, لإحسان إلهي ظهير, (ص:56, 161), والمذاهب المعاصرة, لعبد الرحمن عميرة, (ص:253).

فالبهائية تهدف إلى إكمال فصول المسرحية التي بدأت مع بداية البابية.

وقد سميت البهائية بهذا الاسم لدعوى مؤسسها حسين علي المازندراني[1] أنه الممثل الوحيد لبهاء الله تعالى, فالله تعالى قد حل فيه بنوره, وظهر فيه –على حد زعمه-[2].

أما موقفهم عن اليوم الآخر:

فلم يؤمن البابية بالمعاد, وحشر الأجساج, والنشر, وعذاب القبر, ونعيمه, والحساب والميزان, والصراط, والقنطرة, والجنة والنار وغيرها من العقائد الغيبية كما آمن بها المسلمون, بل جاءوا بمفاهيم تغاير تماماً تلك المفاهيم التي جاء بها الإسلام[3].

فقالوا عن القيامة: إنها قيامة الروح الإلهية في مظهر بشري جديد.

أما البعث: فهو الإيمان بألوهية هذا المظهر[4].

أما الحساب والميزان والصراط, والقنطرة, فيزعم البابية أنه في هذه الدار, لا في الدار الآخرة.

قال أحد دعاتهم:"أتحسبون أن الحساب والميزان في غير هذا العالم؟ قل سبحان الله عما يظنون"[5].

---

[1]() ولد في قرية "نور" من أقليم مازندران –من بلاد فارس- سنة 1233ه. وبعد موت الباب ادعى أنه الخليفة الحقيقي له. ثم ادعى أنه الممثل الوحيد لبهاء الله, فالله قد حل فيه, وظهر فيه على حد زعمه, -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-. توفي سنة 1309ه, ودفن قرية "البهجة" بجوار عكا –في فلسطين-, وقبره هو القبلة الجديدة للبهائية. انظر: البهائية لإحسان, (ص: 42-44).

[2]() انظر البابية, لإحسان إلهي ظهير, (ص:89).

[3]() المصدر السابق, (ص:204).

[4]() انظر الإيقان, للمازندراني, (ص:144), نقلاً عن البابية, لإحسان, (ص:196).

[5]() البيان, للشيرازي, نقلاً عن البابية, لإحسان, (ص:199).

قال الشيخ عبد القادر عطا –حفظه الله تعالى-:"فهذه أمور الآخرة, مسخت عند البابية, وغايرت معتقد المسلمين, بل ومعتقدات سائر الأمم والملل, مسخوها بقصد تشكيك الناس فيها, كي يتشجعوا على فعل المحرمات لانتفاء المؤاخذة –بزعمهم- وبطلان البعث, والحشر والنشر, والميزان, والحساب, والجنة, والنار"[1].
والباحث في هذه الفرق يستخلص أن جميعها لا تؤمن بالمعاد, وحشر الأجساد, ولا بعذاب القبر ونعيمه, ولا الجنة والنار, ولا غيرها من أمور الآخرة كالحوض والميزان والصراط والقنطرة, كما يؤمن بها المسلمون, بل مفاهيمهم التي أتوا بها تغاير تماماً تلك المفاهيم التي جاء بها الإسلام, والمنكر لهذه الأمور كافر بإجماع المسلمين.

- أما الجواب عن هذه المقالات الباطلة, فبما يأتي:

1 - أن القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر, وتفاصيل ما فيه, وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك, وكذلك السنة.

قال الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله تعالى-:"بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر, وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر في بدنه ويستدل به على إعادته, وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها, فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل

---

[1] موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر, ضمن مجلة الدراسات العقدية, (3/275).

بالعاجل وعلى الغيب بالشـهادة, فيقـول عـز وجل﴿كَـذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾[1],﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[2],﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُون﴾[3],﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[4].

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدا, فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«قال الله كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك, وشتمني، ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا, وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد»[5]"[6].

2 - إجماع الأمة على أن من أنكر الجنة، أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر.

قال القاضي عياض –رحمه الله تعالى-:"من أنكر الجنة، أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بإجماعٍ للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواتراً، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة، والنار، والحشر، والنشر، والثواب، والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذَّات روحانية، ومعانٍ باطنة"[7].

وقال ابن حزم –رحمه الله تعالى-:"وأنّ البعث حقّ، والحساب حقّ، والجنة حقّ، والنار حقّ، داران مخلوقتان مخلدتان، هما ومن فيهما بلا نهاية، يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح

---

[1] () سورة ق, (11).
[2] () سورة فاطر, (9).
[3] () سورة زخرف, (11).
[4] () سورة البقرة, (73).
[5] () أخرجه البخاري, في صحيحه, كتاب التفسير, باب سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾, (الإخلاص:1), رقم(4964), (ص:892).
[6] () معارج القبول بشرح سلم الوصول, (2/762).
[7] () الشفا بتعريف حقوق المصطفى, (2/615).

والأجساد، كل هذا بإجماع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام"[1].

3 – أن كل ما في القرآن والسنة من الأمور الغيبية يجب إجرائها على ظاهرها, لأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم؛ وهو حرام.

قال أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي –رحمه الله تعالى-:"وأن كل ما في القرآن من خبرٍ عن نبيٍ، أو عن المعاد، أو عن أمةٍ من الأمم، أو عن المسخ فعلى ظاهره، لا رمز في شيء من ذلك، ولا باطن ولا سرّ، وكذلك كلّ ما فيه من أمور الجنة من أكلٍ وشربٍ، وجماعٍ، والحور العين، والولدان المخلدين، ولباسٍ، وعذابٍ في النار بالزقوم، والحميم، والأغلال. وغير ذلك، فكله حقّ, فمن خالف شيئاً من هذا فقد خرج عن الإسلام، لخلافه القرآن والسنن والإجماع"[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:"الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي, فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم؛ وهو حرام لقوله تعالى﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾[3]"[4].

---

[1] () الدرة فيما يجب اعتقاده, (ص:221).
[2] () منازل الأئمة الأربعة, (ص:126).
[3] () سورة الأعراف, (33).
[4] () تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد, (ص:20).

الخاتمة، وفيها:

النتائج والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين.

أحمده سبحانه وأشكره على توفيقه وتيسيره وفضله وإعانته, وأختم هذه الرسالة بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها, وذلك في النقاط التالية:

أولاً: أن القنطرة هي موضع بين الجنة والنار يوقف فيها المؤمنون بعد عبورهم الصراط ليقتص لبعضهم من بعض عن مظالم كانت بينهم في الدنيا, لأجل تنقية ما في القلوب, حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل.

ثانياً: إن الإيمان بالقنطرة واجب على العبد, ولها منزلة عظيمة من الإيمان, إذ لا يتحقق إيمان العبد إلا بإيمانه باليوم الآخر, والإيمان بالقنطرة هي جزء مما سيجري في ذلك اليوم.

ثالثاً: الأدلة على إثبات القنطرة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الأحاديث الصريحة الدالة على إثبات القنطرة وهما حديثان.

القسم الثاني: الأحاديث القصاص وهي كثيرة جداً.

رابعاً: لم يرد في كتاب الله عز وجل آية صريحة على إثبات القنطرة, لكن هناك آيات احتج بها بعض أهل العلم على إثباتها.

خامساً: وردت آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين على إثبات القنطرة, واهتم بها علماء الأمة, حتى ضمن بعضهم هذه الآثار ضمن مصنفاتهم وعقائدهم.

سادساً: أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان باليوم الآخر, وما يجري فيه, ويدخل في ذلك الإجماع على وجوب الإيمان بالقنطرة.

سابعاً: اتفق أهل العلم على أن القنطرة تكون بعد الصراط وقبل دخول الجنة, واختلفوا في موضعها هل هي من تتمة الصراط أو هي صراط مستقل بين الصراط الأول المضروب على
متن جهنم على قولين:
القول الأول: أن القنطرة هي جزء من الصراط وتتمة له.
القول الثاني: أنها صراط مستقل بين الصراط الأول المضروب على متن جهنم والجنة, وهذه القنطرة خاصة للمؤمنين.
والراجح فيما يظهر –والعلم عند الله-:أن القنطرة صراط مستقل وليس طرف الصراط العظيم الذي يعبر عليه جميع البشر.
ثامناً: الذي يترجح تعدد القناطر على جسر جهنم, وهي غير القنطرة الشهيرة التي أعدها الله للمؤمنين خاصة. وذلك لصحة أثري ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.
تاسعاً: دلت النصوص الشرعية على إثبات المقاصة فبل القنطرة بين عموم الخلائق في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا إلا من استثني وهم غير المكلفين.
عاشراً: تنوعت النصوص في دلالتها على كيفية القصاص بين المؤمنين على النحو التالي:
1 – أن يلقي الله في قلوب المؤمنين العفو لبعضهم عن بعض.
2 – أن يكون القصاص بينهم بالحسنات والسيئات.
الحادية عشر: دلت النصوص الشرعية على أن بعض المؤمنين مستثنون من الحبس على القنطرة, كالأنبياء –عليهم السلام-, ومن لا مظلمة عليه لأحد, ومن يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب, وغير هؤلاء.

الثانية عشر: من أوبقه عمله فسقط في النار وخرج بالشفاعة منها فإنه لا يحبس في القنطرة, والمقاصة في حق عصاة الموحدين إنما سيكون قبل دخولهم النار, أما بعد خروجهم من النار-وقد دخل أهل الجنة الجنة- فلا مقاصة لهم, لأنهم قذ هذبوا في النار, ولأن الله قد نزع الغل من قلوب أهل الجنة, والله تعالى أعلم.

الثالثة عشر: تتفاوت مدة المكوث في القنطرة بحسب المظالم, فمن كثرت مظالمه فإنه سيوقف مدة طويلة بخلاف من قلت مظالمه فإنه سيوقف مدة يسيرة.

الرابعة عشر: القنطرة ليست خاصة بأمة نبينا , بل هي عامة لجميع الأمم من الجن والإنس, لكن الذي بميز أمة محمد هو الأسبقية على الصراط, والأسبقية في دخول الجنة.

الخامسة عشر: اختلف العلماء في معنى الأعراف إلى أقوال كثيرة، وحاصلها أنها كلها تهدف إلى إثبات أن حاجزا مرتفعا يجعله الله في يوم القيامة بين الجنة والنار، يشرف منه أصحاب الأعراف على فريقي الجنة والنار, وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

وقد دلت النصوص وأقوال أهل العلم أن هناك علاقة بين أصحاب الأعراف وأهل القنطرة, حيث أنهم في موضع بين الجنة والنار, محبوسون بعد مجاوزتهم الصراط المضروب على متن جهنم, وأن مآلهم جميعاً إلى الجنة, بل ذكر بعض أهل العلم أن أصحاب الأعراف من أهل القنطرة, والعلم عند الله تعالى.

السادسة عشر: ينبغي للمسلم أن يحذر عن الظلم أشد الحذر, ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة,

ويستحضر دائماً أهوال يوم القيامة, ومن ذلك القنطرة, عسى أن يردعه ذلك عن ظلم الناس والتعدي عليهم بالقول والعمل.

السابعة عشر: دلت النصوص الواردة في القنطرة على دلالات عقدية كثيرة, كدلالتها على الاقتصاص, والسؤال, والمحاسبة, وعلى العدل التام الذي لا يشوبه ظلم, وأنه لا يؤخذ أحد بجريرة غيره.

الثامنة عشر: إن الإيمان بالقنطرة يثمر ثمرات جليلة, وأخلاقاً جميلةً, وعبوديات متنوعة, وآثاراً حميدة تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة. كالصدق والصبر والاحتساب, فإن المؤمن الصادق يتحلل من مظالمه في الدنيا قبل أن يأتي ذلك اليوم العظيم الذي لا دينار ولا درهم فيه, امتثالاً لأمر النبي , وتصديقاً لخبره.

ويصبر على ظلم الناس وتعديهم عليه في الدنيا, ويحتسب الأجر عند الله تعالى, وينتظر القصاص لتزيد حسناته, وتخف سيئاته.

التاسعة عشر: إن الإيمان بالقنطرة يقوي جانب محبة العبد بالنبي الرحيم بأمته, حيث أنه أمرهم بالتحلل من المظالم في الدنيا, وأنذر أمته وحذرهم عن الظلم الذي هو أعظم الذنوب, والذي هو سبب إفلاس العبد يوم القيامة.

العشرون: تتضمن النصوص الواردة في إثبات القنطرة الرد على من أنكرها, إذ الواجب قبول كل ما ورد على لسان الرسل الكرام من أمور الغيب إيمانًا وتصديقًا ويقينا، وتجنب الشبهات والشكوك الناشئة عن إقحام العقول في مجال غير مجاله, والقنطرة من الأمور الغيبية التي جاءت النصوص بإثباتها.

هذا وفي الختام أحمد الله تبارك وتعالى عوداً على بدء, فله الحمد أولا وآخراً, وله الحمد فبنعمته تتم الصالحات, وأسأله سبحانه لي ولجميع المسلمين العفو والغفران

والتجاوز على الخطأ والزلل والتقصير, وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح, وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.
وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين, وصل الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.